

مطبوعات مركز البحوث و الدراسات الاجتماعية - كلية الآداب - جامعة القاهرة

أنتونى جيدنز

مقدمة نقدية فى علم الاجتماع

ترجمة

أحمد زايد
محمد محيى الدين
عدلى السمرى
محمد الجوهرى

الطبعة الثانية
٢٠٠٦

أنتونى جيدنز

مقدمة نقدية فى علم الاجتماع

ترجمة

أحمد زايد | محمد محيى الدين
عدلى السمرى | محمد الجوهرى

الطبعة الثانية

٢٠٠٦

مركز البحوث والدراسات الاجتماعية

كلية الآداب – جامعة القاهرة

العنوان: ١ ش الشهيد عبدالهادى صلاح (الرماحة سابقاً)

بريد الأورمان – الجيزة

تليفون / فاكس: ٣٣٨٥٣٦٦

هذه ترجمة للكتاب الآتى

Anthony Giddens, Sociology,

A Brief but A Critical Introduction,

Second Edition,

MACMILLAN Press LTD,

London, 1989.

فهرس المحتويات

مقدمة الترجمة العربية

المؤلف والكتاب

يعد أنتونى جيدنز من أشهر علماء الاجتماع المعاصرين الذين ذاعت شهرتهم لا لكثرة مؤلفاتهم فقط ولكن لما يقدموه من إسهامات نظرية ومنهجية. ولا تقتصر شهرة أنتونى جيدنز على بريطانيا التى ولد فيها فى ١٨ يناير عام ١٩٣٨، والتى ما يزال يعمل فى جامعاتها حتى الآن، بل تمتد شهرته لتشمل العالم بأسره. ويرجع ذلك فى المحل الأول إلى جرأته فى الطرح النظرى وفى تفكيك الأفكار التى تبلورت حولها نظرية علم الاجتماع منذ نشأتها وحتى الآن. ويستطيع القارئ أن يرجع إلى ما كتبناه عن نظرية جيدنز فى مكان آخر[1]، لكى يتعرف على قيمة إسهاماته النظرية والمنهجية. وحسبنا هنا أن نقدم فكرة عن تاريخ الرجل وعن قيمة الكتاب الذى نقدمه اليوم مترجماً للقارئ العربى.

حصل جيدنز على درجته الجامعية الأولى فى علم الاجتماع وعلم النفس من جامعة هل Hull بالمملكة المتحدة فى الفترة من عام ١٩٥٦ إلى عام ١٩٥٩ بمرتبة الشرف الأولى. وحصل على درجة الماجستير فى الآداب تخصص علم الاجتماع من مدرسة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية فى الفترة من ١٩٥٩ إلى ١٩٦١؛ وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة كمبرج عام ١٩٧٦. ويعكس تاريخ التكوين الأكاديمى لأنتونى جيدنز درجة من التنوع حيث مر بخبرات متعددة فى جامعات ثلاث تعد من أعرق الجامعات البريطانية. فقد بدأ بجامعة هل، وهى جامعة بها مدرسة متميزة خاصة فى الدراسات الأنثروبولوجية، ثم انتقل إلى مدرسة لندن للاقتصاد، وهى مدرسة عريقة فى الدراسات الاقتصادية والسياسية، وانتهى فى آخر المطاف إلى جامعة كمبرج أعرق الجامعات

---

(١) أحمد زايد، آفاق جديدة فى نظرية علم الاجتماع: نظرية تشكيل البنية، **المجلة الاجتماعية القومية**، المجلد ٣٣، العددان الأول والثانى، يناير / مايو ١٩٩٦، ص ص ٥٧-٨٧.

البريطانية على الإطلاق. وهو الآن يعمل أستاذاً بهذه الجامعة ورئيساً لمركز البحوث الاجتماعية بها.

وإذا كانت خبرات التكوين العلمى على هذه الدرجة من التنوع فإن خبرات العمل الأكاديمى تظهر أشد تنوعاً. فقد حاضر فى جامعات بريطانية عدة، وعمل أستاذاً زائراً فى جامعات كندا وأمريكا واستراليا وفنلندا وألمانيا والسويد وروما والدانمرك وفرنسا. ومنحته جامعات ومؤسسات عديدة درجات شرفية. فقد منحته عشر جامعات فى بريطانيا وخارجها درجة الدكتوراه الفخرية، كما منحته جامعات عديدة ومراكز بحثية الزمالة أو العضوية الفخرية أو عضوية مجالسها العلمية.

أما عن الإنتاج العلمى لأنتونى جيدنز فإنه إنتاج ثرى لعله هو الذى حقق له هذه الشهرة العلمية. فقد كتب ما يربو على مائتى مقال، ما بين مقال بحثى، أو مراجعة كتب، أو مقال صحفى. أما قائمة الكتب التى كتبها فتضم ستة وثلاثين كتاباً أولها كتاب الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة الذى نشره عام ١٩٧١ وآخرها كتاب "علم الاجتماع" فى طبعته الرابعة والتى صدرت عام ٢٠٠١، ومروراً بكتب هامة نذكر منها كتاب "قواعد جديدة فى المنهج السوسيولوجى" (١٩٧٦)، و"نقد معاصر للمادية التاريخية" (١٩٨١)؛ و"تكوين المجتمع: الخطوط العامة لنظرية تشكيل البنية" (١٩٨٤)؛ و"الدولة القومية والعنف" (١٩٨٥)؛ و"منتجات الحداثة" (١٩٩٠)؛ و"الحداثة والهوية الذاتية" (١٩٩١)؛ و"الطريق الثالث" (١٩٩٨)؛ و"عالم منفلت: كيف تشكل العولمة حياتنا" (١٩٩٩). وقد ترجمت إلى العربية ثلاثة من هذه الكتب هى كتاب: قواعد جديدة فى المنهج السوسيولوجى"؛ والطريق الثالث؛ وعالم منفلت.

ويدور المشروع الفكرى لجيدنز حول ثلاثة محاور هى:

١- نقد نظرية علم الاجتماع: فقد كرس جيدنز الكثير من أعماله لإعادة قراءة المشروعات النظرية الكبرى. وظهر هذا الاهتمام مبكراً فى كتابه الشهير حول الرأسمالية والنظرية الاجتماعية؛ وظل مستمراً فى كتب ومقالات عديدة بعد ذلك. ويستطيع من يقرأ الأعمال النقدية لأنتونى جيدنز أن يكتشف نقداً لكل

تــراث علم الاجتماع، فهو ناقد للوظيفية فى صياغاتها الكلاسيكية، وهو ناقــد للماركسية. ولكن الأهم من ذلك أن النقد الذى يقدمه هو نقد من نــوع خـاص، يشعر قارئه أنه يسعى من نقده لا إلى مجرد الدرس والنقد وإنما المراجعة التــى تسعى إلى تكوين رؤية نظرية. ولقد أدى به ذلك إلى مراجعة النقد نفسه، فقد بدأ مشروعه النقدى بتوجيه نقد إلى الحركة النقدية فى علم الاجتماع، وذلــك فــى مقــال شهير كتبه في الستينيات من القرن العشرين راجع فيــه الأطروحــات النقدية التى راجت في السبعينات والتى ارتبطت بما سمى حينئذ بأزمــة علـم الاجتماع. من هذه الأطروحات القول بأن علم الاجتماع قد نشأ نشأة محافظــة، والقول بالاستقطاب النظرى أو الانقسام النظرى فى تاريخ العلم، وغير ذلك مـن أطروحات[1]. ولسنا هنا بصدد مناقشة هذه الأطروحات ولكن حسبنا أن نؤكد أن المسار الفكرى النقدى لأنتونى جيدنز كان متميزاً إلى درجة أنــه لـم يكتـف بمراجعة نظريات علم الاجتماع مراجعة نقدية فى العديد من كتبــه ومقالاتــه، ولكنه كان يراجع الحركة النقدية نفسها. ولاشك أن هذا السعى النقدى قد مكنــه من تكوين وجهة نظر واضحة هى التى شكلت أساس مشروعه النظرى.

٢- أما المحور الثانى من المشروع النظرى لأنتونى جيدنز فتمثل فى محاولات نقده لمشروع الحداثة الغربى. فقد كانت دراسته النقدية لنظرية علـم الاجتمـاع تصب دائماً فى استكشاف آفاق مشــروع الحداثــة فــى المجتمعــات الغربيــة المعاصرة. لقد أنجز علماء الاجتماع منذ نشأة العلم فى القــرن التاســع عشـر محاولات متعددة لدرس مشروع الحداثة الغربى من وجهات نظر متعددة بــدءاً من رؤية كونت وسان سيمون للتقدم ورؤية ماكس فيــبر لنمــو البيروقراطيــة والعقلانية وانتهاء برؤية بارسونز للتساند الوظيفى وقيم الحداثة ومروراً بصــور النقد المختلفة عند الماركسية ومدرسة فرانكفورت والمدرسة النقدية المعــاصرة. ولقد واكب جيدنز هذا التيار التنظيرى والنقدى لمشروع الحداثة، وكــانت لــه مؤلفات لدراسة البناء الطبقى والنخب السياســية فــى بريطانيــا علــى وجــه الخصوص، وكرس دراسات مستفيضة حول الدولة الوطنيــة ونتــائج الحداثــة

---

(١) يمكن للقارئ أن يرجع إلى مناقشتنا لرأى جيدنز فى كتابنا علم الاجتماع بين الاتجاهــات الكلاسيكية والنقدية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١.

والهوية الذاتية، والعولمة. ولعل ما يميز دراسة جيدنز لمشروع الحداثة أنه استطاع أن يستكشف المنعطف الذى يمر به مشروع الحداثة المعاصر وأن يحدد عدداً من الخصائص التى تميز الحداثة فى صورتها الأخيرة. ولم ينبهر جيدنز بمفهوم "ما بعد الحداثة"، وإنما نظر إلى المرحلة الراهنة من الحداثة على أنها مرحلة أخيرة من الحداثة، واستخدم مفهوم "الحداثة المتأخرة" Late Modernity ليصف هذه الحقبة ويعبر عن آفاقها الجديدة. ومن أهم ميزات مشروع درس الحداثة عند جيدنز أنه لم يقتصر على مجرد الدراسة، بل ربط نفسه بحركة التحول الاجتماعى والسياسى فى الغرب بعامة وفى بريطانيا بخاصة.

٣- ومن المتوقع من رجل مثل أنتونى جيدنز الذى بذل كل هذا الجهد النقدى والنظرى فى مراجعة نظريات علم الاجتماع وفى درس خصائص الحداثة ومشكلاتها وتحدياتها، من المتوقع أن تكون له رؤيته النظرية الخاصة. وهذه الرؤية هى التى شكلت العمود الثالث فى مشروعه النظرى. وقد تأسست هذه الرؤية من الناحية المنهجية على مفهوم التأويل الذى اتخذه جيدنز أساساً لفهم الواقع. فهو يميل دائماً إلى تأكيد الفكرة التى مؤداها أن النظرية الاجتماعية هى نظرية تأولية بالضرورة، ذلك أنها تظهر فى ضوء تأويل مزدوج يمر عبر مستويين: الأول هو التأويل الذى يقوم به الناس فى حياتهم الاجتماعية، والذى يمكنهم من فهم بعضهم بعضاً ومن تأسيس حياة اجتماعية، والتأويل الذى يقوم به من يحاول التنظير لهذا الواقع، حيث يقوم بتأويل ما تم تأويله بالفعل. واعتبر جيدنز ذلك بمثابة الأساس المنهجى الذى ينهض عليه أى جهد تنظيرى. أما من الناحية النظرية فقد تبلورت رؤية جيدنز النظرية حول مفهوم تشكيل البنية (أو التبنين) Structuration. فقد نسج جيدنز حول هذا المفهوم نظرية عرفت باسم نظرية تشكيل البنية. وقد رفض فى هذه النظرية فكرة البنية الثابتة التى لها خصائص تتعدى حدود الزمان والمكان، وهى الفكرة التى روج لها البنائيون فى علم الاجتماع والأنثروبولوجيا. وذهب جيدنز عوضاً عن ذلك إلى تأكيد أهمية البدء من ممارسات الفاعلين الأفراد فى حياتهم اليومية، ودراسة الطريقة التى تتشكل بها هذه الممارسات فى أبنية اجتماعية، قابلة للتشكل والتحول المستمرين. فى هذه النظرية تتحول ممارسات الأفراد إلى ممارسات

مفتوحة الأفق، لا تحدها حدود القواعد البنائية الصارمة، بقدر ما تحدها حدود مكنة الأفراد وقدراتهم على اختيار بدائل سلوكية وأنماط فعل تتلاءم مع أهدافهم.

ولعل عرضنا للمحاور التى تأسس عليها المشروع النظرى لأنتونى جيدنز تكشف أهمية الكتاب الذى نقدم لترجمته العربية هنا. فهذا الكتاب هو مقدمة لعلم الاجتماع. ولكن جيدنز لم يعنون هذه المقدمة بعنوان عادى، ولكنه عنونها حرفياً على النحو التالى: "مقدمة مختصرة ولكنها نقدية لعلم الاجتماع". ويكشف العنوان عن أن هذه المقدمة رغم اختصارها إلا أنها نقدية. وهى بذلك تشكل لبنة فى مشروعه النقدى الذى أسلفنا الإشارة إليه، ولكنها لبنة نود أن تأخذ كل مشكلات العلم وهمومه إلى القارئ العادى، وأن تحدد على نحو واضح وموجز أهداف ومشكلات علم الاجتماع. فقد عبر جيدنز فى مقدمة هذا الكتاب عن أهمية تبسيط العلم للقارئ العادى، وعارض الرأى القائل بأن القارئ العادى غير قادر على فهم تعقيدات نظريات علم الاجتماع وأفكاره. ومن هنا فإن الكتاب يكتسب أهمية خاصة لكونه كتاباً مختصراً يحاول أن يحيل المعقد إلى بسيط، وأن يقدم المركب فى لغة يسيرة مفهومة.

وفى اعتقادى أن ثمة أهمية أخرى لهذا الكتاب تتحصر فى طبيعة الموضوعات التى يتناولها. فقد تطرق الكتاب إلى موضوعات غير تقليدية، فلم يرهق القارئ بتاريخ العلم ومناهجه، وإنما بدأ بطرح أهم المشكلات والقضايا التى ارتبطت بظروف نشأة علم الاجتماع، وقدم تعريفاً للعلم قبل أن يحدد مهمة علم الاجتماع كعلم ناقد للمجتمع منطلقاً فى ذلك من مفهوم رايت ميلز عن الخيال السوسيولوجى. وانتقل بعد ذلك إلى مناقشة التفسيرات المختلفة للمجتمع الغربى، والتى تراوحت بين نظرية المجتمع الصناعى والنظرية الماركسية؛ ثم عالج قضية الانقسام الطبقى عارضاً للحوارات التى دارت فى علم الاجتماع حولها. ثم انتقل بعد ذلك إلى مناقشة القضايا المرتبطة بالنظام السياسى متمثلا فى الدولة، مؤكداً على الموضوعات التى يدرسها علم الاجتماع فى هذا الصدد، مثل علاقة الدول بالطبقات وعلاقتها بالحركات الاجتماعية والثورات، وبالنظام البيروقراطى الإدارى. ومن دراسة الدولة انتقل إلى دراسة مشكلات المدينة والحياة الحضرية والحياة اليومية، ثم إلى دراسة الأسرة والنوع

الاجتماعى، وأخيراً الرأسمالية والنظام العالمى. وتعكس هذه الموضوعات مدى وعى الكاتب بوضع علم الاجتماع فى سياق العصر وتطوير موضوعات العلم لكى تواكب التطورات الحديثة، بحيث لا ينفصل العلم عن المجتمع بحال من الأحوال. ليست المهمة النقدية للعلم هى التى يجب أن توضع فى المقدمة، بل أن هذه المهمة تدفع العلم دائماً إلى مواكبة كل ما هو جديد وإلى فتح آفاق جديدة لدراسة مشكلات وتحديات العصر. نلمح هذا بوضوح فى طرح موضوعات كالحياة اليومية والنظام العالمى، وهى موضوعات لم تكن تظهر فى كتب المدخل من قبل.

ولقد تبلورت هذه الموضوعات بشكل أوسع وأكثر تفصيلاً وأضيفت لها موضوعات جديدة فى كتاب المدخل الجديد الذى أصدره جيدنز فى نهاية التسعينيات، وصدرت طبعته الرابعة عام ٢٠٠١. وهو كتاب شامل وجامع لموضوعات عديدة وتفاصيل أكثر. ولقد وضع جيدنز فى نهاية هذا الكتاب الموسع "مسرداً" بأهم المصطلحات فى العلم الاجتماعى. وقد رأت المجموعة التى ترجمت هذا الكتاب أن تترجم هذا المسرد كاملاً (نقلاً عن طبعة كتابه الموسع، عام ٢٠٠١) وأن تضعه فى نهاية هذه الترجمة لكى يلم القارئ بأحدث مصطلحات العلم ومفهوماته. وتعميماً للفائدة فقد وضعنا قائمة بأهم المصطلحات يمكن أن يكون مفيداً.

وأخيراً تجدر الإشارة إلى أن هذه الترجمة قد تمت بتقسيم عمل تولى فيه الدكتور محمد الجوهرى ترجمة الفصلين الأول والثانى ومقدمة المؤلف، والدكتور أحمد زايد ترجمة الفصلين الثالث والرابع، والدكتور محمد محيى الدين الفصول الخامس والسابع والختامى، والدكتور عدلى السمرى الفصل السادس. وتولى الدكتور محمد الجوهرى المراجعة النهائية لكل المخطوط، كما تولى عملية التحرير النهائى للكتاب وأضاف كل الهوامش والشروح الموقعة باسم المحرر.

ولعلنا نكون قد قدمنا عملاً مفيداً.

أحمد زايد

مقدمة المؤلف

شهد العقدان الماضيان، أو نحو ذلك، تغيرات أساسية في ميدان علم الاجتماع، وفى العلوم الاجتماعية بصفة عامة. ولم تناقش تلك التطورات الجديدة فى الغالب إلا فى المؤلفات الأكاديمية التى تتسم بقدر غير يسير من التعقيد، فلم تتح فرص الاطلاع عليها بسهولة لغير المتخصصين فى علم الاجتماع. وقد حفزنى ذلك إلى وضع هذا الكتاب، لكى أقدم فيه مقدمة لعلم الاجتماع تعكس التطورات الراهنة فى ميدان العلم، وتبسطها فى يسر أمام القارئ المبتدئ. ولقد أسميت كتابى "مقدمة نقدية" لسببين اثنين. فهو يتناول بالنقد طائفة كبيرة من الأفكار التى كانت تعد لأمد بعيد الحكمة التقليدية لعلم الاجتماع. ولكننى أدعى أيضا أن علم الاجتماع، إذا فهمناه على النحو الذى أعرضه به فى هذا الكتاب، سوف يكون موجهاً بالضرورة نحو النقد الاجتماعى. فعلم الاجتماع لا يمكن أن يكون نشاطاً فكرياً محايداً، لا يبالى بالآثار العلمية لما يقدمه من تحليلات على أولئك الذين يشكل سلوكهم موضوع دراسته.

وسيلاحظ القارئ أن هذا الكتاب يختلف عن أغلب كتب المدخل ومقدمات علم الاجتماع من عدة نواح، فهو يقدم عرضاً ومناقشة للمشكلات الأساسية للنظرية الاجتماعية، أى بؤرة الاهتمامات النظرية التى يشترك فيها علم الاجتماع مع سائر العلوم الاجتماعية الأخرى. ذلك أننى لا أشارك الرأى الشائع الذى يقول أن هذه القضايا لا تهم المبتدئين الذين يبدأون علاقتهم بعلم الاجتماع. كما أننى لا أقبل الفكرة الشائعة بنفس القدر، والتى ترى أن مثل هذه الموضوعات على درجة من التعقيد والصعوبة لا يستطيع القارئ أن يستوعبها قبل أن يتمكن أولاً من هضم المضمون الإمبيريقى – الأكثر عملية – لعلم الاجتماع. كما أننى حاولت فى تحليلى لهذا المضمون الإمبيريقى التأكيد على بعض النقاط التى تختلف عن تلك الرائجة فى كتب المدخل عادة. كما نلاحظ

أيضا أن كثيراً من كتب المدخل تكون مؤلفة لمجتمع معين أساساً،وهو المجتمع الذى يعيش فيه مؤلف الكتاب، أو يعيش فيه القراء الذين يوجه هذا الكتاب إليهم. وسأحاول فى الكتاب الذى بين يدى القارئ أن أتجنب هذا النوع من ضيق الأفق الفكرى، إيماناً منى بأنه من المهام الرئيسية للفكر الاجتماعى أن يحررنا من قيود ما هو مألوف. ولكن لعل السمة المميزة الأبرز لهذا الكتاب هى تأكيده الواضح والقوى على التاريخ. ونحن نرى أن كلا من "علم الاجتماع" و "التاريخ" يدرسان عادة كميدانين مستقلين من ميادين التخصص، ولكنى أجد هذا الرأى بعيداً عن الصواب.

ولقد حاولت أن أكون مختصراً قدر الإمكان، ومعنى ذلك أنه كان يتعين التضحية باعتبار الشمول فى التغطية. فليس فى نيتى أن أقدم عرضاً موسوعيا يغطى كافة الموضوعات التى تمثل مجالات مشروعة لاهتمام علم الاجتماع. وعلى القارئ الذى يلتمس ذلك أن يبحث عنه فى مكان آخر.

أنتونى جيدنز

شكر وتقدير

يود المؤلف والناشرون أن يقدموا بوافر الشكر للجهات التالية التى تكرمت بالموافقة على استخدام بعض المعلومات التى يشملها حق النشر: مدير المكتبة الملكية للسماح بنشر بعض أرقام من نشرة **الاتجاهات الاجتماعية**، والأمم المتحدة للموافقة على نشر جدول من **الكتاب الإحصائى السنوى للأمم المتحدة**، ١٩٨١ (المنشورة عام ١٩٨٣). كما حاولنا قدر الطاقة تتبع كل صاحب مادة أفدنا منها، فإذا كنا قد قصرنا عن سهو فإن الناشرين سوف يسعدهم اتخاذ الترتيبات اللازمة عند أول فرصة.

المؤلف

الفصل الأول

علم الاجتماع: القضايا والمشكلات

يحظى علم الاجتماع كتخصص بسمعة مزدوجة على نحو عجيب. فنجد – من ناحية – أن كثيراً من الناس يربطونه بإذكاء نار الثورات، وينظرون إليه كعامل يحفز إليها. ومع أن فكرتهم عن موضوعات الدراسة فى علم الاجتماع قد تكون ضبابية غير محددة، إلا أنهم يربطون على نحو ما بين علم الاجتماع والتدمير، وبالمطالب الحادة المتطرفة التى ينادى بها مناضلون من الطلاب ذوى المظهر الأشعث. من ناحية أخرى نصادف لدى طائفة أخرى من الناس فكرة عن هذا العلم مختلفة عن تلك كل الاختلاف، بل قد تكون أوسع انتشاراً من الفكرة الأولى، وهى التى نجدها لدى أولئك الذين اطلعوا على موضوعات هذا العلم بشكل مباشر فى ثنايا دراستهم بالمدارس وبالجامعات. وفحوى هذه الفكرة أن علم الاجتماع علم كئيب لا يؤدى أى دور تثقيفى أو تنويرى، وأنه أبعد ما يكون عن أن يحرك دارسيه نحو الخروج فى مظاهرات والتصدى للسلطة، بل هو فى الحقيقة يقتلهم مللا بما يحويه من تفاهات. ونلاحظ أن علم الاجتماع فى هذه الحالة الثانية يرتدى قناع العلم الذى يضفى عليه طابع الجفاف، ولكنه ليس علماً مؤدياً إلى التنوير الذى تضطلع به العلوم الطبيعية، والتى يسعى أصحاب هذا الاتجاه إلى صياغته على نمطها.

والرأى عندى أن أولئك الذين اتخذوا الموقف الثانى من علم الاجتماع لهم كل الحق فى ذلك. فقد أصبح علم الاجتماع يفهم فى نظر الكثيرين من مؤيديه وحماته – بل فى نظر الغالبية العظمى منهم – على نحو تتخذ فيه الآراء العادية أو المبتذلة لغة علمية زائفة. وفى تقديرى أن التصور الذى يذهب إلى أن علم الاجتماع ينتمى إلى العلوم الطبيعية، يرى أن عليه – لذلك – أن يجتهد كالعبد

فى تقليد كل إجراءاتها وفى تتبع نفس أهدافها. ولذلك فإن نقاد علم الاجتماع من غير المتخصصين معهم كل الحق – أو لهم بعض العذر – فى أن يتشككوا فى إنجازات علم الاجتماع التى تقدم لهم فى هذا القالب العلمى الزائف.

ونيتى فى هذا الكتاب أن أربط علم الاجتماع بوجهة النظر الأولى، لا بوجهة النظر الثانية. وليس معنى ذلك أننى أربط علم الاجتماع بنوع من الإدانة أو التهجم على كل ما يؤمن أغلب الناس أنه أساليب سلوك طيبة ومحمودة. وإنما أود أن أدافع عن الرأى الذى يرى أن علم الاجتماع – بالصورة التى سوف أعرض لها هنا – له بالضرورة دور تدميرى أو ناقد. وهذا الطابع التدميرى أو النقدى لا يعنى – كما سأوضح فيما بعد – (أو ينبغى ألا يعنى) أنه نشاط ثقافى سيء السمعة. بل هو – على العكس من هذا – يتسم بهذه السمة النقدية، لأنه يتناول مشكلات لها أهميتها الحاسمة عند كل الناس (أو ينبغى أن يفعل ذلك)، وهى مشكلات تمثل موضوعات الخلافات والصراعات الأساسية الدائرة فى المجتمع نفسه. وعلى العموم أيا كانت نوعية الطلاب الذين يدرسون علم الاجتماع، سواء كانوا مهذبين أم متطرفين، أو كانوا من أى نوع فمن المؤكد أن هناك صلات قوية بين الدوافع التى تحركهم للنضال والعمل وبين الوعى المستمد من علم الاجتماع. وليس هذا لأن علماء الاجتماع يبشرون بالثورة مباشرة (بل أتصور أنهم نادراً ما يفعلون ذلك)، وإنما لأن دراسة علم الاجتماع، إذا فهمناها على وجهها الصحيح، سوف توضح لنا حتماً مدى أهمية القضايا الاجتماعية التى يتعين علينا أن نواجهها فى مجتمع اليوم. وكل فرد منا لديه قدر من الوعى بهذه القضايا، ولكن دراسة علم الاجتماع من شأنها أن تسلط الضوء عليها بشكل واضح وقوى. فعلم الاجتماع لا يمكن أن يظل موضوعاً أكاديمياً خالصاً، هذا إذا كانت "الأكاديمية" تعنى الدراسة العلمية غير الملتزمة والتى تنأى بنفسها عن الناس، وتتم داخل جدران القاعات الجامعية المغلقة.

إن علم الاجتماع ليس من الموضوعات التى تقدم ملفوفة بشكل أنيق فى "ورق الهدايا"، لا تطالبنا بأكثر من أن نفض عنها هذا الغلاف المزركش ونستعملها. وعلم الاجتماع بالذات شأنه شأن سائر العلوم الاجتماعية (التى يمكن

أن نجمع تحتها على سبيل المثال: الأنثروبولوجيا، وعلم الاقتصاد والتاريخ) محل خلاف بطبيعته. أى أن هناك خلافات مستمرة منذ أمد بعيد حول طبيعته الحقيقية. ولا يمثل ذلك نقطة ضعف، وإن كانت قد بدت كذلك فى أعين كثير ممن يسمون أنفسهم "علماء اجتماع" متخصصين، وفى أعين غيرهم من خارج التخصص، الذين أزعجهم أن يجدوا أن هناك عديداً من التصورات المتنافسة بخصوص كيفية تناول أو تحليل موضوعات الدراسة فى علم الاجتماع. وفى نظر أولئك الذين يقض مضجعهم استمرار الخلاف والجدل حول علم الاجتماع، وافتقاد **الإجماع** فى أغلب الأحوال حول كيفية حل تلك الخلافات، فى نظرهم أن تلك علامة من علامات فجاجة هذا العلم وعدم نضجه. فهم يريدون من علم الاجتماع أن يكون مثل العلوم الطبيعية، ويطلبون منه أن يفرز مجموعة من القوانين العامة تشبه تلك القوانين التى توصلت إليها العلوم الطبيعية وأثبتت صحتها. ولكن وجهة النظر التى أتبناها فى هذا الكتاب، ترى أنه من الخطأ أن نصوغ علم الاجتماع على غرار العلوم الطبيعية، أو على صورة شديدة القرب منها، وأنه من الخطأ أيضا أن نتصور أن دراسة المجتمع بطرائق وأساليب العلوم الطبيعية ممكنة أو مرغوبة. ولكنى لابد أن أؤكد أن تبنى وجهة النظر هذه لا يعنى أن مناهج وغايات العلوم الطبيعية منبتة الصلة تماماً بدراسة السلوك الاجتماعى الإنسانى. ذلك أن علم الاجتماع يتناول موضوعاً واقعياً قابلاً للملاحظة، ويعتمد على البحث الإمبيريقى، وعرف محاولات كثيرة لصياغة نظريات والتوصل إلى تعميمات تفسر تلك الظواهر وتحيط بها. ولكن البشر ليسوا كالموضوعات المادية الموجودة فى الطبيعة، فدراسة سلوكنا البشرى تختلف بالضرورة اختلافاً قد يكون كلياً فى بعض النواحى عن دراسة الظواهر الطبيعية.

* * *

ظروف نشأة علم الاجتماع

علينا أن نتفهم تطور علم الاجتماع، وموضوعات اهتمامه المعاصرة، في إطار التغيرات التي أسهمت في خلق العالم المعاصر. ونحن نعيش الآن عصراً من عصور التحول الاجتماعي الواسع النطاق. فعلى امتداد قرنين فقط – أو نحو ذلك – وقعت طائفة من التغيرات الاجتماعية الكاسحة، التي أخذ وقعها يزداد سرعة هذه الأيام. ومع أن هذه التغيرات قد ظهرت في الأصل في أوروبا الغربية، إلا أنها أصبحت الآن **عالمية** في مداها وتأثيرها. وقد عملت جميعها على تفكيك أشكال التنظيم الاجتماعي التي عاشت في ظلها البشرية آلافاً من سنوات تاريخها السابق، وكان هذا التفكيك كلياً وشاملاً. وتكمن بؤرة هذه التغيرات فيما وصف بأنه "الثورتان العظيمتان" اللتين شهدتهما أوروبا إبان القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. أول تلك الثورتين هي الثورة الفرنسية التي اشتعلت عام ١٧٨٩، والتي كانت في حقيقتها مجموعة من الأحداث المعينة، كما كانت رمزاً للتحولات السياسية في العصر الحديث. ذلك أن ثورة عام ١٧٨٩ جاءت مختلفة تمام الاختلاف عن الثورات والانتفاضات التي شهدتها العصور السابقة. فقد سبق – مثلاً –أن ثار الفلاحون – في بعض الأحيان – ضد السادة الإقطاعيين الذين كانوا يتحكمون فيهم، ولكن تلك الثورات كانت تستهدف على العموم استبعاد أفراد معينين من موقع السلطة، أو تحقيق تخفيضات معينة في الأسعار أو في الضرائب. أما الثورة الفرنسية (التي يمكن أن نضم إليها – مع بعض التحفظ – ثورة أهل أمريكا الشمالية لطرد المستعمر في عام ١٧٧٦) هذه الثورة شهدت لأول مرة في التاريخ تفكيكاً كليا للنظام الاجتماعي بفعل حركة تستهدي مثلاً عليا علمانية خالصة، هي الحرية والمساواة للجميع. ومع أن المثل العليا التي كان يؤمن بها الثوار الفرنسيون نادراً ما تحققت بشكل تام حتى الآن، إلا أنها خلقت مناخاً مواتياً للتغير السياسي، ثبت أنه من القوى المحركة للتاريخ الحديث. فلا تجد سوى قلة قليلة من الدول في عالمنا المعاصر لا يدعي حكامها أنها "دول ديموقراطية"، أيا كانت طبيعة نظامها السياسي في الواقع. وهذا شيء جديد تماماً على التاريخ البشري المعروف.

حقيقة أن التاريخ قد عرف بعض الجمهوريات، خاصة فى بلاد الإغريق وفى روما. ولكن تلك الجمهوريات كانت هى نفسها حالات نادرة، وكان "المواطنون" فى كل منها لا يمثلون سوى أقلية من سكان ذلك المجتمع، فالأغلبية كانت من العبيد أو غيرهم من المحرومين من امتيازات جماعات المواطنين الأخرى المتميزة.

أما الثورة العظمى الثانية فهى التى يطلق عليها "الثورة الصناعية"، فترجع بداياتها إلى بريطانيا أواخر القرن الثامن عشر، ثم أخذت تنتشر طوال القرن التاسع عشر إلى سائر أنحاء أوروبا الغربية والولايات المتحدة. ويصور البعض الثورة الصناعية أحياناً على أنها مجرد مجموعة من المستحدثات الفنية، خاصة تسخير طاقة البخار فى خدمة الإنتاج الصناعى، وتبنى أشكال جديدة من الآلات والمعدات التى تدار بمثل تلك المصادر الجديدة من الطاقة. ولكن الحقيقة أن تلك الاختراعات الفنية لم تكن سوى جانب من مجموعة أكبر بكثير من التغيرات الاجتماعية والاقتصادية. وكان أبرز وأهم تلك التغيرات هجرة العماد الرئيسى للقوة العاملة من الريف إلى قطاعات العمل الصناعى التى أخذت فى التوسع المضطرد، وهى نفسها العملية التى أدت فى النهاية إلى تصنيع عمليات الإنتاج الزراعى. كذلك أدت العملية ذاتها إلى تشجيع نمو المدن على نحو لم يشهده التاريخ فى الماضى على الإطلاق.

وقد قدرت الدراسات أنه قبل القرن التاسع عشر لم يكن يعيش فى المدن – حتى فى أكثر المجتمعات تحضراً آنذاك – أكثر من ١٠% من السكان فى مدن صغيرة أو كبيرة. وكانت تلك النسبة بطبيعة الحال أقل من ذلك كثيراً فى الدول والإمبراطوريات التى يغلب عليها الطابع الزراعى. ونلاحظ أن كافة مدن مجتمعات ما قبل الصناعة – حتى تلك المدن الكبرى ذات الشهرة العالمية – تعد صغيرة الحجم نسبياً – بالمقاييس الحديثة. فقد قدر عدد سكان مدينة لندن فى القرن الرابع عشر – مثلا – بحوالى ثلاثين ألفا، وسكان مدينة فلورنسا فى نفس الفترة بحوالى تسعين ألف نسمة. ومع نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين كان عدد سكان مدينة لندن قد تجاوز أى مدينة معروفة فى التاريخ،

حيث وصل إلى حوالى تسعمائة ألف نسمة. ولكن فى عام ١٨٠٠، وبالرغم من وجود مثل هذه المدينة الضخمة، فإن نسبة قليلة فقط من سكان إنجلترا وويلز كانوا يعيشون فى مدن، من أى حجم كان. وبعد ذلك بقرن كامل كان حوالى ٤٠% من السكان يعيشون فى مدن مائة ألفية (أى يعيش فى كل منها مائة ألف نسمة) أو أكبر من ذلك، وكان ٦٠% تقريباً يعيشون فى مدن تستوعب الواحدة منها عشرين ألف نسمة أو أكثر.

جدول رقم ١-١

النسب المئوية لسكان العالم الذين يعيشون فى مدن(*)

التاريخ	مدن ذات ٢٠ ألف نسمة أو أكثر	مدن ذات مائة ألف نسمة أو أكثر
١٨٠٠	٢,٤	١,٧
١٨٥٠	٤,٣	٢,٣
١٩٠٠	٩,٢	٥,٥
١٩٥٠	٢٠,٩	١٣,١
١٩٧٠	٣١,٢	١٦,٧
١٩٨٢	٣٤,٦	١٨,١

يوضح الجدول رقم ١-١ أن التحضر قد توسع بشكل هائل على المستوى العالمى، وما زال آخذاً فى التوسع حتى الآن. فجميع البلاد الصناعية المتقدمة ذات طبيعة حضرية مسيطرة، أيا كانت المؤشرات التى نختارها لتمييز البلدة أو المدينة عن الوحدات العمرانية الصغيرة الحجم. ولكن هناك – إلى جانب ذلك – مراكز حضرية آخذة فى التوسع السريع فى معظم دول العالم الثالث أيضا.

(*)المصدر: كنجزلى دافيز، "نشأة التحضر ونموه فى العالم"، مقال منشور فى المجلة الأمريكية لعلم الاجتماع، المجلد ٦١، ١٩٥٥ (وقد تم تحديث بيانات الجدول)

ونجد أن أضخم المراكز الحضرية فى عالمنـــا المعاصر تبدو هائلة القدر إذا ما قورنت بالمدن التى عرفتها مجتمعات ما قبل القرن التاسع عشر.

وإذا كانت حركتا التصنيع والتحضر تمثلان قلب التحولات التــــى عملـت على تفكيك وإذابة أغلب الأشكال الاجتماعية التقليدية إلى غير عودة، فإن هنـاك ظاهرة ثالثة ترتبط بهما، ويتعين علينا الإشارة إليها هنا. وتتمثل تلك الظاهرة فى الزيادة الهائلة فى عدد سكان العالم اليوم، بالمقارنة مع تلك الأعداد فى الماضى. وقد قدرت الدراسات عدد سكان العالم عند مولد السيد المسيح، بأقل من ثلاثمائة مليون نسمة. وظل هذا العدد ينمو بمعدل ثابت إلى حد ما، ولكنه بطىء حتـــى القرن الثامن عشر. ويلاحظ أن إجمالى عدد سكان العالم قد تضـــاعف خــلال ثمانية عشر قرنا. ولكن منذ ذلك التاريخ بدأ ما يعرف "بالانفجـــار الســكانى"، والذى سمع به كل الناس، وإن كانت معلوماتهم عن تفاصيله ضئيلـــة علـــى أى حال. ويعيش فى العالم اليوم حوالى خمسة مليار نسمة(*)، وهم يتزايدون بمعـدل سوف يؤدى - إذا استمر - إلى تضاعف سكان العالم كل أربعين سنة. ومـــع أن نتائج مثل هذا النمو السكانى مخيفة بالنسبة لمستقبل البشرية، وتختلــف حولــها الآراء والتحليلات، إلا أن العوامل وراء الزيادة السكانية الأخيرة ليســت محـل خلاف، بنفس قدر الخلاف حول التصنيع والتحضر. ونلاحظ أنه علـــى امتــداد التاريخ البشرى، كان هناك توازن عام بين معدلات المواليد والوفيات. ومـــع أن ذلك الموضوع معقد مـــن بعض نواحيه، إلا أن هناك ظاهرتين رئيسيتين تفـوق سائر الظواهر فى هذا المجال. أولهما أنه كان السائد قبل القرنين الأخـــيرين ألا يزيد متوسط العمر منذ الميلاد على خمسة وثلاثين عاما، وكثيرا ما كان يقل عن ذلك بكثير. أما العامل الثانى فهو حجم معدل وفيات الأطفال، فقد كان الشائع فى

(*) طبيعى أن هذا الرقم قد زاد بشكل واضح عن الرقم الذى أورده المؤلف، والــذى يمثـل الوضع حوالى سنة ١٩٨٦. فقد ارتفع إجمالى عدد سكان العالم، فبلغ عـــام ١٩٩٤ حوالـــى ٥٦٠٧ مليون نسمة، معدل نمو سنوى قدره ١,٦%. ويتجاوز هذا الرقم اليـــوم ٦,٣ مليــار نسمة. ومن المتوقع أن يبلغ فى عام ٢٠١٠ حوالى ٧٠٢٢ مليون، وفى عام ٢٠٢٥ حوالـــى ٨٣٧٨ مليون نسمة. وسوف يقترب من ١٢ مليار فى عام ٢٠٣٧. اعتمـــادا علـــى بيانــات صحيفة بيانات سكان العالم التى يصدرها مكتب مرجع الســكان Population Reference Bureau، واشنطون. (المحرر)

أوروبا – وفى غيرها من القارات، – فى العصور الوسطى أن نصف عدد الأطفال الذين يولدون كل عام يموتون قبل أن يصلوا سن البلوغ. من هنا نرى ازدياد العمر المتوقع للحياة، والانخفاض الحاد فى معدلات وفيات الأطفال (والتى تحققت بفضل ارتفاع المستويات الصحية، وتحسن ظروف الصحة العامة، ونجاح الطب فى القضاء على الأمراض المعدية الأساسية)، نرى أن هذين العاملين قد أطلقا العنان لهذا النمو الهائل فى أعداد السكان.

* * *

علم الاجتماع: تعريف وبعض الاعتبارات الأولية

ظهر علم الاجتماع إلى الوجود حينما حاول أولئك الذين تأثروا بالتغيرات الأولية التى نجمت عن "الثورتين العظيمتين" فى أوروبا فهم ظروف تلك التغيرات، وما قد يترتب على حدوثها من نتائج. ومن المستحيل بطبيعة الحال أن نعين بدقة الأصول الأولى لأى ميدان من ميادين العلم. ولكننا نستطيع أن نتتبع بسهولة كبيرة بعض الخيوط المباشرة من بعض كتاب منتصف القرن الثامن عشر وصولاً إلى المراحل الأخيرة للفكر الاجتماعى. ونلاحظ أن المناخ الذى ترعرعت فيه أفكار النشأة المبكرة لعلم الاجتماع قد ساعد فى الحقيقة على ظهور الثورتين المتلازمتين اللتين أشرنا إليهما.

ولكن كيف يتعين علينا تعريف علم الاجتماع؟ لنبدأ هذا التعريف برد مألوف. يهتم علم الاجتماع بدراسة المجتمعات الإنسانية. ولكن فكرة المجتمع يمكن أن تصاغ بشكل عام كل العمومية. فنحن لا ندرج ضمن المفهوم العام للمجتمع البلاد الصناعية فقط، وأنما ندرج كذلك الدول الزراعية الإمبراطورية (كالإمبراطورية الرومانية، والصين فى عصورها التقليدية)، كما ندرج على الطرف الآخر للمقياس المجتمعات المحلية القبلية الصغيرة، والتى قد لا يضم الواحد منها سوى عدد ضئيل من الأفراد.

والمجتمع عبارة عن شبكة، أو نسق، من أساليب السلوك التى تتخذ طابعاً مؤسسياً. وتشير الأشكال المؤسسية من السلوك الاجتماعى إلى أنماط الاعتقاد والسلوك التى توجد فى المجتمع وتتجدد جيلاً بعد جيل، أو التى نصفها – بمصطلح النظرية الاجتماعية الحديثة – بأنه يجرى إعادة إنتاجها اجتماعياً، عبر فترات زمنية طويلة وعلى امتداد رقعة مكانية شاسعة. وتعد اللغة مثالاً رائعاً لمثل هذا الشكل من أشكال النشاط المؤسسى، أو للنظام الاجتماعى، على اعتبار أنها ذات أهمية أساسية للحياة الاجتماعية. فنحن جميعاً نتحدث لغات لم يخترعها أى منا – كأفراد – وإن كنا نستخدم اللغة بشكل خلاق ومبدع. ولكن هناك عدا هذا كثير من جوانب الحياة الاجتماعية الأخرى التى تتخذ طابعاً مؤسسياً، أى

تصبح ممارسات تتبناها الغالبية، وتستمر موجودة محافظة على ملامحها العامة وهى تنتقل من جيل إلى جيل عبر الزمن. وهكذا نستطيع أن نتحدث عن نظم اقتصادية، ونظم سياسية ... وهكذا. ويجب أن نلاحظ أن الطريقة التى نستخدم بها هنا مفهوم "النظام" تختلف عن الطرق التى يستخدم بها المصطلح نفسه فى اللغة اليومية فى الغالب، كمرادف فضفاض "للجماعة" أو "الكيان الجمعى"، وذلك عندما نصف السجن أو المستشفى بأنه "مؤسسة" (*).

ومن شأن تلك الاعتبارات أن تساعدنا على تحديد الطريقة التى يجب أن نفهم بها معنى المجتمع. ولكننا لا نستطيع أن نتوقف عند هذا الحد. فالمجتمع موضوع يشترك فى دراسته علم الاجتماع مع العلوم الاجتماعية الأخرى. وإن كانت السمة المميزة لعلم الاجتماع تكمن فى اهتمامه الفائق بتلك الأشكال من المجتمعات التى ظهرت فى خضم الثورتين العظيمتين: التصنيع والتحضر. وتشمل تلك الأشكال من المجتمعات - التى يختص علم الاجتماع بدراستها - المجتمعات الصناعية المتقدمة (وهى الدول الغربية المتقدمة اقتصادياً، واليابان، ودول أوروبا الشرقية). وإن كانت قد ظهرت فى خلال القرن العشرين طائفة من المجتمعات الأخرى على امتداد رقعة العالم، والتى تستأثر أيضا باهتمام عالم الاجتماع. ذلك أنه لا يوجد نظام اجتماعى فى العصر الحديث استطاع أن يبقى بمعزل عن القوى التى خلقتها "الثورتان العظيمتان". وأود أن أؤكد بكل قوة على أنه لا يمكن تناول المجتمعات "المتقدمة" كما لو كانت منعزلة عن بقية مجتمعات العالم، ولا حتى معزولة عن المجتمعات التى سبقتها فى الزمن على نفس الأرض. وإن كنا نجد أن الكثير من المؤلفات فى حقل علم الاجتماع مكتوبة كما لو كانت تلك المجتمعات منعزلة عن بقية المجتمعات فعلاً.

وفى ضوء الملاحظات التى أبديناها يمكن تقديم تعريف لموضوع علم الاجتماع على النحو التالى: **علم الاجتماع علم اجتماعى، ينصب اهتمامه**

(*) المصطلح الإنجليزى الذى يستخدمه المؤلف واحد وهو Institution ، ولكننا فى ترجمة مصطلحات علم الاجتماع ميزنا بين الاستخدامين، بحيث يعنى الأول النظام، وتعنى الحالة الثانية المؤسسة. وإن كانت كلمة النظام العربية يمكن أن تختلط بترجمة كلمة إنجليزية أخرى هى Order، ولكن هذه قضية أخرى ليست مثارة هنا. (المحرر)

الرئيسى على دراسة النظم الاجتماعيــة التى تخلقت بفعل التحولات الصناعيــة التى حدثت إبان القرنين أو الثلاثة الماضية. ومن المهم أن نؤكد كذلك أنـــه لا توجد حدود أو فواصل دقيقة بين علم الاجتماع من ناحيـــة ومجــالات النشــاط الفكرى الأخرى فى العلوم الاجتماعية. كما أنه ليس من المرغوب أصلاً إيجــاد مثل هذه الفواصل. ذلك أن بعض قضايا النظرية الاجتماعية، التى تتعلق بكيفيــة فهم أو تصور السلوك الإنسانى والنظم الإنسانية، تمثل اهتماماً مشـــتركاً بيــن العلوم الاجتماعية جميعاً. وهنا نجد أن "مجالات" السلوك الإنسانى المختلفة التــى تشترك فى تغطيتها العلوم الاجتماعية تمثل نوعاً من تقسيم العمل العلمى، الــذى لا يمكن تبريره إلا بشكل عام كل العمومية. فالأنثروبولوجيا – على سبيل المثال – تختص من الناحية الإسمية بالمجتمعات "البســيطة": كالمجتمعــات القبليــة، والكيانات الرئاسية، والدول الزراعية(*). ولكن مثل هذه المجتمعات إما أنها قــد تحللت واندثرت تماماً بفعل التغيرات الاجتماعية العميقة التى اجتاحت العالم كله، أو أنها فى طريقها إلى أن تدمج ضمن هذه أو تلك من الدول الصناعية الحديثة. وإذا أخذنا مثالاً ثانياً، نجد أن موضوع علم الاقتصاد هو دراسة إنتاج وتوزيــع السلع الماديــة. ومع ذلك فإن النظم الاقتصادية مرتبطة على الـــدوام ارتباطــا واضحاً بسائر النظم الاجتماعية، وهى جميعاً تؤثر فى الاقتصاد وتتأثر به فـــى نفس الوقت. وإذا نظرنا فى النهاية إلى التاريخ بوصفه دراسة التباعد المســتمر بين الماضى والحاضر، فسوف نجد أن مادته تمثل المصدر الذى تتغــذى منــه سائر العلوم الاجتماعية.

ونلاحظ أن كثيراً من المفكرين البارزين الذين يرتبطـــون بتــاريخ علــم الاجتماع – فى مراحله الأولى – قد لفت نظرهم أهمية العلوم والتكنولوجيا فـــى إحداث التغيرات التى عاشوها. ولذلك حاولوا عند تحديد أهداف علم الاجتماع أن يكرروا – حرفياً – فى دراستهم للموضوعات الاجتماعية البشـــرية منجـزات

(*) للوقوف على فكرة دقيقة ومفصلة عن ميدان الدراسة فى الأنثروبولوجيا وأهم المفـــاهيم والمناهج والمشكلات، انظر شارلوت سيمور – سميث، موسوعة علــم الإنســان. المفــاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، ترجمة وتقديم محمد الجوهرى وزملاؤه، المجلـــس الأعلـــى للثقافة، المشروع القومى للترجمة، العمل رقم ٦١، القاهرة، ١٩٩٨. (المحرر)

ونجاحات العلوم الطبيعية فى تفسير العالم المادى. ففى رأى أوجست كونت(**) (الذى عاش من ١٧٩٨ حتى ١٨٥٧ والذى صاغ مصطلح علم الاجتماع نفسه) أن علم الاجتماع ينبغى أن يكون "علماً لدراسة المجتمع"، وصاغ هذا الرأى بأوضح صوره وأكثرها شمولاً. كما ذهب كونت إلى أن جميع العلوم – بما فيها علم الاجتماع – تشترك فى إطار منطقى ومنهجى عام، إذ تسعى جميعها إلى اكتشاف القوانين العامة التى تحكم الظواهر التى يتناولها كل تخصص بالدراسة. وكان كونت يعتقد أنه إذا استطعنا اكتشاف القوانين التى تحكم حركة المجتمع الإنسانى، فسوف يجعلنا ذلك قادرين على تشكيل مستقبلنا ومصيرنا بنفس الشكل

(**) كونت، أوجست : Comte August
منظر اجتماعى فرنسى يرجع إليه الفضل فى صك مصطلح علم الاجتماع. بدأ كونت بدراسة العلوم الطبيعية فى مدرسة الفنون بباريس، ثم عمل سكرتيرا لهنرى سان سيمون علم ١٨١٧. وظلت علاقتهما مضطربة، حيث انتهت فى عام ١٨٢٤. بعد ذلك استطاع كونت أن يبدأ تطوير ما أسماه "الفلسفة الوضعية". ويلاحظ أن الكثيرين ممن استشهدوا باسم كونت دون أن يقرأوا أعماله، قد ضللهم استخدامه لمصطلح الفلسفة الوضعية. فعلى الرغم من أن كونت اتخذ من العلوم الطبيعية نموذجا له، إلا أنه استخدم المصطلح بمعنى أن يكون مدخله إيجابيا وليس سلبيا، ولا يعنى (كما يفترض عادة) أنه يتضمن أى نوع من النزعة الإمبيريقية إذ يلاحظ أن الكلمتين العربيتين إيجابى ووضعى لهما مقابل أجنبى واحد هو Positive. وفى رأى كونت أن سبقوه من رواد التنوير قد بالغوا فى نقد الظروف الاجتماعية التى واجهوها، ومن ثم لم يخفقوا فقط فى تقدير الطبيعة الطيبة لبعض النظم، وإنما أخفقوا كذلك فى أمر أكثر أهمية، وهو طبيعة تداخل العلاقات بين تلك النظم. وعلى ذلك عرف كنت مجال اهتمامه بأنه الكل الاجتماعى، ولهذا أطلق على هذا العلم فى بادىء الأمر اسم "الفيزياء الاجتماعية"، ثم اسم علم الاجتماع بعد ذلك.

وحاول كونت أن يفسر ظواهر عدم الاستقرار التى كانت تجتاح أوروبا آنذاك بإرجاعها إلى التحول الذى توقف، ومن ثم ظل ناقصا من أبنية اجتماعية ذات صبغة " لاهوتيه أو عسكرية" إلى أبنية طبيعية "علمية صناعية". ووصف كونت تلك المرحلة من التطور الاجتماعى بأنها "المرحلة الميتافيزيقية". وقرر أن تجاوزها يمثل الغاية والهدف من علم الاجتماع، الذى وصفه أكثر العلوم تركيبا وتعقيدا، ومن أكثرها صعوبة، ولهذا أسماه "ملك العلوم". أسهم "قانون المراحل الثلاث" لكونت فى ظهور محاولات بحثية فى إطار علم الاجتماع التطورى خلال القرن التاسع عشر. وفى كتابه ذى المجلدات الستة المعنون: دروس فى الفلسفة الوضعية، والذى صدر ما بين عامى ١٨٣٠-١٨٤٢ حدد كونت موضوعات الدراسة فى علم الاجتماع بأنه تشمل: الحياة الاقتصادية، والأفكار السائدة، وأشكال الفردية، وبناء الأسرة، وتقسيم العمل، واللغة، والدين. ناقش كونت هذه الموضوعات فى ضوء تمييزه الشهير بين "الاستاتيكا الاجتماعية" (أو متطلبات النظام الاجتماعى) وبين "الديناميكا الاجتماعية" (أو محددات التغير الاجتماعى). راجع المزيد من التفاصيل فى جوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهرى وزملاؤه، المشروع القومى للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠-٢٠٠١، ثلاثة مجلدات. (المحرر)

الذى تتيحه العلوم الطبيعية للتحكم فى أحداث العالم الطبيعى. وتعبر عن ذلك الرأى عبارته الشهيرة التى تقول "التنبؤ من أجل التحكم"(*)

وظلت الفكرة القائلة بأن علم الاجتماع يجب أن يصاغ على صورة العلوم الطبيعية، ظلت مسيطرة على ميدان العلم منذ أيام أوجست كونت. ومع أنها قد وجدت على مدى ذلك التاريخ من تصدى لها وحاول أن يفندها، كما طرأت عليها تعديلات وتحويرات عديدة، ربما غيرت من شكلها ولم تغير من جوهرها. وها هو ذا إميل دوركايم(**).

(*) Prevoir Pour Pouvoir Auguste

(**) دور كايم، إميل (عاش من ١٨٥٨ حتى ١٩١٧) Emile Durkheim أكثر علماء الاجتماع الفرنسيين شهرة، وقد اعتبر منذ زمن بعيد بمثابة الأب المؤسس للمدرسة الوظيفية، وحديثا وجه إليه مديح وتقدير من قبل عمد البنيوية وعلم اللغة الاجتماعى الرئيسيين وأنصار ما بعد الحداثة، الذين وجد جميعهم فى كتابات دور كايم أفكارا ورؤى يسهل استيعابها فى أطرهم النظرية.

أسهم دوركايم فى إنشاء حولية علم الاجتماع، التى أضحت خلال فترة قصيرة أرفع الدوريات السوسيولوجية مكانة فى فرنسا ومركز إشعاع المدرسة الدوركايمية ذات التأثير فى الفكر الاجتماعى. ولقد ظل دوركايم ينشر بصفة منتظمة فى هذه الدورية حتى وفاته المبكرة نسبيا فى سن التاسعة والخمسين نتيجة لأزمة قلبية.

ترجمت معظم كتب دوركايم الأساسية إلى اللغة الإنجليزية بعد وفاته، ومن عجب أنها ما تزال تطبع فى ترجمتها إلى الآن. نشر دوركايم مؤلفه: قواعد المنهج فى علم الاجتماع (١٨٩٥)، فى أعقاب إجازة أطروحته المثيرة للخلاف مباشرة والمعنونة: تقسيم العمل الاجتماعى (نشرت عام ١٨٩٣) التى كتبها خلال معاناته - من شظف العيش - إبان سنوات عمله كمدرس بالتعليم الثانوى. وقد أكد دوركايم فى كتاب قواعد المنهج على أن علم الاجتماع يتميز كعلم بطابعه الإمبيريقى القائم على الملاحظة لا التجريد النظرى، وبدراسة الظواهر الاجتماعية لا الظواهر النفسية، وأنه يطور تفسيرات وظيفية وسببية فى الآن معا. ولقد طبق دوركايم هذه المبادئ فى دراسته المعقدة المتعددة الأبعاد حول الانتحار (التى صدرت عام ١٨٩٧)، والتى حاول فيها أن يوضح أن أكثر الأفعال فردية تتحدد فى النهاية اجتماعيا، وأن معدل الانتحار هو لذلك ظاهرة اجتماعية. وهو يقدم تفسيرا سببيا تقف فيه النتائج (حالات الانتحار) شاهدا على التيارات الاجتماعية الكامنة وراءها. وقد أفضت اهتماماته التى لازمته طوال حياته بالأخلاق والسلطة الأخلاقية (التى تتبدى، على سبيل المثال، فى تصويره للتضامن الآلى والتضامن العضوى فى رسالته للدكتوراه) أفضت به بصورة تكاد تكون حتمية إلى الكتابة عن الدين. ويعد الاستخلاص القائل بأن الأفراد "الجمعيين" يعبدون المجتمع، والتى عبر عنها فى أكثر صورها وضوحا فى كتاب: الأشكال الأولية للحياة الدينية (الصادر عام ١٩١٢)، بمثابة شاهد بليغ على عمله. وقد نشر له عدد من الأعمال الأساسية حول الاشتراكية والأخلاق والتربية بعد وفاته.

ومن اللافت للانتباه فى جميع هذه الأعمال عمق الرؤية التى اتسم بها دوركايم فى بحثه الذى لا يكل عن الأسس الاجتماعية والأخلاقية للمجتمع الصناعى الناشئ. وما يزال =

-الذى يعد واحداً من أبرز الشخصيات تأثيراً على تطور علم الاجتماع فى القرن العشرين - يستمر فى التمسك ببعض آراء كونت الأساسية. فقد أعلن أن علم الاجتماع يتولى دراسة "الظواهر الاجتماعية"، وأن تلك الدراسة يمكن أن تتم بنفس الأسلوب الموضوعى الذى تتناول به العلوم الطبيعية ظواهرها. وقد اقترح دوركايم فى كتابه الموجز - والبالغ التأثير فى نفس الوقت - **قواعد المنهج فى علم الاجتماع**(*). (صدر عام ١٨٩٥) أنه يتعين تناول الظواهر الاجتماعية بوصفها **أشياء**: أى أن علينا أن ننظر إلى أنفسنا كما لو كنا أشياء فى عالم الطبيعة. وهكذا أبرز دوركايم أوجه الشبه بين علم الاجتماع والعلوم الطبيعية.

وقد سبق أن أكدت أننى أرفض مثل هذا الموقف، برغم انتشاره الكاسح فى علم الاجتماع. فوصف علم الاجتماع، - وبعض العلوم الأخرى كالأنثروبولوجيا وعلم الاقتصاد، - بأنه "علوم اجتماعية" إنما هو تأكيد لأنها تقوم على الدراسة المنهجية المنظمة لموضوعات إمبيريقية (موجودة فى الواقع). وليس فى مثل هذه التسمية أى خلط أو التباس، طالما أننا نرى أن علم الاجتماع وكذلك العلوم الاجتماعية. الأخرى تختلف عن العلوم الطبيعية من ناحيتين أساسيتين هما:

(١) أننا لا نستطيع أن ندرس المجتمع، أو "الظواهر الاجتماعية"، كما تدرس موضوعات العالم الطبيعى أو أحداثه، ذلك أن المجتمعات لا توجد إلا بمقدار ما تتخلق ثم يعاد إنتاجها من خلال أفعالنا كبشر. فنحن فى النظرية الاجتماعية لا نستطيع أن نعامل الأنشطة الإنسانية كما لو كانت تتحدد بأسبابها بنفس الطريقة التى تتحدد بها الحوادث والأشياء فى عالم الطبيعة. وعلينا أن نفهم هنا **المهمة المزدوجة** للأفراد وللنظم الاجتماعية: فنحن نخلق المجتمع فى نفس الوقت الذى يخلقنا هو فيه. وقد اتفقنا على أن النظم الاجتماعية هى عبارة

=دوركايم موضعاً لتقريظ المعقبين من اليمين واليسار السياسى. ولقد تصنيفه كمفكر محافظ، عن حق، مصداقيته منذ زمن طويل، وذلك فى ضوء إسهامه فى نظرية تكافؤ الفرص التى تتبدى على سبيل المثال فى كتاباته عن التربية. راجع المزيد فى جوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع التى سبقت الإشارة إليها. (المحرر)

(*) صدرت لهذا الكتاب المهم ترجمة عربية، انظر، إميل دوركايم، قواعد المنهج فى علم الاجتماع، ترجمة وتقديم محمود قاسم، مراجعة السيد محمد بدوى، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٤. (المحرر)

عن أنماط من النشاط الاجتماعى التى يتم إعادة إنتاجها عبر الزمان وعبر المكان. ولعله يجدر بنا أن نتوقف لحظة نتأمل فيها ما يعنيه هذا الكلام. فالكلام عن "إعادة إنتاج" السلوك الاجتماعى أو الأنساق الاجتماعية يعنى الكلام **عن تكرار** نماذج نشاط متماثلة بواسطة فاعلين (أفراد فى المجتمع) تفصل بينهم عوامل الزمان والمكان. ومن الأمور البالغة الأهمية أن نؤكد بوضوح على هذه النقطة، ذلك أن الجانب الأكبر من النظرية الاجتماعية - بما فيها نظرية دوركايم نفسه - يتغلغل فيها الميل إلى التفكير على غرار العلوم الطبيعية، وهو اتجاه يمكن أن يؤدى إلى أوخم العواقب. ذلك أن الأنساق الاجتماعية تتضمن أنماطاً من العلاقات القائمة بين الأفراد والجماعات. ويميل كثير من علماء الاجتماع إلى تصوير هذه النماذج كما لو كانت جدران مبنى، أو هيكلاً عظيماً لجسم الإنسان. وهذا منطلق مضلل، لأنه يقوم على تصور جامد وثابت أكثر مما يجب لطبيعة المجتمعات الإنسانية؛ وسبب ذلك أنه لا يوضح أن عملية تنميط الأنساق الاجتماعية لا تقوم لها قائمة إلا طالما كان الأفراد يكررون - بشكل إيجابى - أشكالاً معينة من السلوك عبر الزمان وعبر المكان. ولو كان من الضرورى أن نستخدم مثل هذا التشبيه فالأجدر بنا أن نقول **"إن الأنساق الاجتماعية تشبه المبانى، وأنه يتم إعادة تشييدها فى كل لحظة بشكل لا ينقطع، ولكن بنفس الأحجار التى بنيت منها".**

(٢) يترتب على ذلك أن الدلالات العملية لعلم الاجتماع ليست مناظرة بشكل مباشر للاستخدامات التكنولوجية للعلم، ولا يمكن أن تكون. فالذرات لا تستطيع أن تعرف ما يقوله العلماء عنها، أو تغير سلوكها فى ضوء تلك المعرفة. ولكن البشر يستطيعون ذلك. من هنا تختلف علاقة علم الاجتماع "بموضوعات" بحثه بالضرورة عن علاقة العلوم الطبيعية بموضوعات بحوثها. فإذا نظرنا إلى النشاط الاجتماعى كمجموعة من الأحداث الآلية، تخضع لقوانين طبيعية صارمة، فنحن بذلك نخفق فى فهم ماضى الإنسان، كما نعجز عن فهم كيف يمكن للتحليل السوسيولوجى أن يساعد فى التأثير على مستقبلنا فى الاتجاه المرغوب. ونحن كبشر لا نعيش فى التاريخ فحسب، بل إن فهمنا للتاريخ يمثل

جزءاً لا يتجزأ من التاريخ نفسه، ولما يمكن أن يحدث مستقبلاً. من هنا لا يمكننا أن نقبل فكرة كونت عن "التنبوء من أجل التحكم"، بوصفها تكنولوجيا اجتماعية. ونحن فى العلوم الاجتماعية نتجه بخطابنا إلى بشر آخرين، وليس إلى موضوعات خامدة خالية من الحياة. فالتحليل الاجتماعى يستطيع فى الحقيقة أن يلعب دوراً تحررياً فى المجتمع البشرى عندما يوضح أن الأشياء التى تبدو للمشاركين فيها حتمية، ولا يمكن التصدى لها (أى تشبه القانون الطبيعى)، ليست فى الحقيقة سوى ثمرة بين ثمرات التطور التاريخى. هذا فى الوقت الذى يعلمنا فيه التحليل السوسيولوجى الواقعية والاتزان. فعلى الرغم من أن المعرفة يمكن أن تكون سنداً مهماً للقوة وعوناً لها، إلا أنها ليست هى القوة. ثم أن معلوماتنا التاريخية تتسم دائماً بأنها تقريبية وغير مكتملة.

* * *

الخيال السوسيولوجى: علم الاجتماع كنقد للمجتمع

إن الرأى الذى أدعو إليه فى هذا الكتاب هو أن ممارسة علم الاجتماع تتطلب منا استثارة وتنشيط ما أسماه رايت ميلز ببراعة "الخيال السوسيولوجى (أى الخيال المستمد من علم الاجتماع)(*). وقد استخدم هذا المصطلح على نطاق واسع إلى حد أنه بات معرضاً للابتذال. كما أن رايت ميلز نفسه استخدمه بمعنى أقرب إلى الغموض بعض الشيء. أما أنا فأقصد به بعض أشكال الحساسية المرتبطة ببعضها البعض، والتى لا غنى عنها للتحليل السيوسيولوجى كما أفهمه هنا. فلا يمكن التوصل إلى فهم للعالم الاجتماعى الذى أشعلت شرارته المجتمعات الصناعية المعاصرة (أى المجتمعات المعاصرة بالصورة التى تبلورت بها فى الغرب لأول مرة) إلا من خلال ممارسة الخيال على ثلاثة أصعدة فى نفس الوقت. وتتضمن أشكال الخيال السوسيولوجى الحساسية **التاريخية، والأنثروبولوجية، والنقدية.**

ويمكن القول أن البشر – الذين ننتمى إليهم من ناحية التكوين الوراثى –

(*) ميلز، تشارلز رايت (عاش من ١٩١٦ – ١٩٦٢). Mills, Charles Wright عالم اجتماع أمريكى نشرت أهم أعماله خلال حقبة الخمسينيات. وباعتباره راديكاليا ينتمى إلى اليسار الأمريكى فقد كان شخصا غير عادى فى علم الاجتماع الأمريكى فى ذلك الوقت، حيث تبنى موقفا لعل أفضل وصف له أنه جماهيرى ليبرالى منه اشتراكى. ولعل أهم دراساته الموضوعية شيوعا تلك التى تحمل عنوان: ذوو الياقات البيضاء (الصادرة عام ١٩٥١) وتحتوى على تحليل للطبقة الوسطى الأمريكية. ثم كتاب صفوة القوة (الذى صدر عام ١٩٥٦) وذهب فيه إلى القول بأن الولايات المتحدة تحكم بواسطة مجموعة من الصفوات المتداخلة ذات المصالح الثابتة.

ويذكر لميلز كتابه الخيال السوسيولوجى (الصادر عام ١٩٥٩) الذى يمثل مقدمة رائعة وملخصا للنزعة الإنسانية الكامنة وراء علم الاجتماع كعلم. ويمثل الخيال السوسيولوجى رؤية اجتماعية وأسلوبا للنظر إلى العالم يمكن أن يدرك الارتباطات بين المشكلات الفردية التى تبدو شخصية فى الظاهر والقضايا الاجتماعية الهامة. وهو يذهب إلى ضرورة تأسيس علم اجتماع ذا نزعة إنسانية يربط بين الأبعاد الاجتماعية والشخصية والتاريخية لحياتنا، ويتخذ موقفا نقديا من النزعة الإمبيريقية المجردة والنظريات الكبرى فى الآن معا.

وقد صدر لكتابه الخيال السوسيولوجى ترجمة عربية، انظر: رايت ميلز، الخيال العلمى الاجتماعى، ترجمة عبدالباسط عبدالمعطى وزميله، تقديم سمير نعيم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٧ (فى ٣٩٨ صفحة). انظر مزيدا من المعلومات عن ميلز فى: موسوعة علم الاجتماع، مرجع سابق. (المحرر)

يرجع وجودهم إلى حوالى مائة ألف عام مضت، وبقدر ما استطعنا أن نعلم من واقع البقايا أركيولوجية المتاحة، فالمعروف أن "الحضارات التى قامت على الزراعة المستقرة لا يزيد عمرها فى الغالب على أكثر من الثمانية آلاف عام الماضية فقط. ولكن هذه الفترة تبدو شديدة الطول بالقياس إلى الشريحة الزمنية القصيرة من التاريخ الحديث التى تتميز بظهور الرأسمالية الصناعية. ولم يتفق المؤرخون على تحديد الأصول الأولى للرأسمالية الغربية كنمط غالب على المشروعات الاقتصادية. وإن كان يصعب القول بأنها تعود فى أوروبا إلى أبعد من القرنين الخامس عشر أو السادس عشر. أما الرأسمالية الصناعية بوصفها اقترانا للمشروع الرأسمالى بالإنتاج الآلى داخل المصانع، فلا يمكن أن ترجع أصولها إلى أبعد من أواخر القرن الثامن عشر، وقد اقتصرت فى ذلك التاريخ المبكر على أجزاء معينة من بريطانيا فقط. وهكذا نجد أن المائة عام الأخيرة أو أكثر قليلاً، والتى شهدت التوسع العالمى للرأسمالية الصناعية قد خلفت عدداً من التغيرات الاجتماعية التى كانت لها آثار عاصفة على نحو يفوق أى فترة أخرى من فترات التاريخ البشرى المنصرم. وكان حظ البعض منا الذين عاشوا فى المجتمعات الغربية أن يمتصوا الآثار الأولى لتلك التغيرات. أما الجيل المعاصر فقد ألف الحياة فى مجتمعات تتجه ناحية التحديد التكنولوجى السريع، ويعيش أغلب سكانها فى بلدات (مدن صغيرة) أو مدن، ويشتغلون بالعمل فى الصناعة، وهم "مواطنون" فى دول قومية. ولكن مثل هذا العالم الاجتماعى المألوف لنا الآن، والذى تخلق بهذه السرعة الفائقة العنيفة وخلال هذا المدى الزمنى القصير، يمثل ظاهرة فريدة تماماً لا نظير لها فى التاريخ الإنسانى.

وتتمثل المهمة الأولى للخيال السوسيولوجى الذى يمارسه الباحث الذى يحلل المجتمعات الصناعية اليوم، تتمثل فى استعادة ماضينا القريب، أو "العالم الذى فقدناه". فبفضل هذا الجهد وحده المنطلق من الخيال، والذى يقوم بطبيعة الحال على وعى بالتاريخ، نستطيع أن نفهم كيف تختلف معيشة أبناء المجتمعات الصناعية اليوم عن الأسلوب الذى كان يحيا به الناس فى الماضى القريب نسبياً. وهنا يمكن أن تساعدنا كثيراً الحقائق البسيطة المجردة، كتلك

الأرقام والتواريخ التي أوردناها من قبل بصدد حديثنا عن النمو الحضرى. ولكن الشيء المطلوب فعلاً هو محاولة الاستعادة التصورية (الخيالية) لنسيج أشكال الحياة الاجتماعية التى اندثرت اليوم إلى حد بعيد.

وهنا لا يوجد ثمة فرق بين دور عالم الاجتماع ومهمة المؤرخ. فمجتمع بريطانيا فى القرن الثامن عشر، وهو المجتمع الذى كان أول ما شهد آثار الثورة الصناعية، كان مجتمعاً يخضع لعادات المجتمع المحلى، وتتماسك وحداته بالتأثير المتغلغل للدين. ومن الممكن أن نرى بعض صور الاستمرار التى تربط ذلك المجتمع بالمجتمع البريطانى فى القرن العشرين، وإن كانت التناقضات بينهما تبدو لنا جلية واضحة كل الوضوح. فالمنظمات التى تبدو لنا بديهية اليوم لم تكن موجودة إلا بشكل أولى فقط؛ ولا نقصد المصانع والمكاتب وحدها، وإنما يشمل ذلك المدارس، والجامعات، والمستشفيات، والسجون التى لم تبدأ تنتشر إلا خلال القرن التاسع عشر.

ولا شك أن تلك التغيرات فى نسيج الحياة الاجتماعية كانت من طبيعة مادية فى جانب منها. يدلنا على ذلك ما كتبه أحد المؤرخين يصف الثورة الصناعية:-

"إن التكنولوجيا الحديثة لا تتميز فقط بأنها تنتج أكثر وأسرع، وإنما هى تتميز علاوة على ذلك بتحويل بعض العناصر والأشياء التى لم يكن يتسنى إنتاجها بأى حال من الأحوال فى ظل الظروف المهنية الصناعية القديمة. فلم يكن بوسع أمهر غزال يدوى هندى أن يحول غزل القطن إلى هذا الشكل الدقيق المنتظم على النحو الذى يفعله المغزل الآلى الحديث. ولم يكن بوسع كل دكاكين الحدادة المعروفة فى كافة أرجاء العالم المسيحى خلال القرن الثامن عشر أن تنتج ألواح الصلب بمثل هذه الضخامة والنعومة والتجانس التى ينتجها بها مصنع الصلب الحديث. والأهم من ذلك أن التكنولوجيا الحديثة قد خلقت لنا أشياء لم يكن من الميسور تخيلها أو التفكير فيها فى عصر ما قبل الصناعة: كآلة التصوير، والسيارة الحديثة (ذات المحرك)، والطائرة، والمعدات الإليكترونية التى لا حصر لها بدءاً من الراديو وحتى الحاسب الآلى المتقدم، ومصانع إنتاج

الطاقة النووية ... وغيرها وغيرها إلى ما لا نهاية. وكانت نتيجة ذلك زيادة هائلة فى كم وفى تنوع السلع والخدمات، الأمر الذى أدى فى ذاته إلى تغيير أسلوب حياة الإنسان أكثر من أى شىء آخر منذ اكتشاف النار؛ ونلاحظ هنا أن الرجل الإنجليزى الذى كان يعيش عام ١٧٥٠ كان فى أشيائه وحاجاته المادية أقرب إلى جنود الفيالق فى العصر القيصرى من أحفاد أحفاده هو"(*)

ولا شك أنه ليس بوسع أحد أن ينكر أن المدى غير المحدود والطابع العام للتجديد التكنولوجى يمثل إحدى أبرز السمات المميزة للمجتمعات الصناعية المعاصرة. ويرتبط بهذا التجديد التكنولوجى أوثق الارتباط تراجع التقاليد (أو تداعيها)، التى تمثل أساس الحياة اليومية فى المجتمع المحلى القروى، بل والأهم أساس تلك الحياة فى المجتمع الحضرى فى عصر ما قبل الرأسمالية. فكانت التقاليد تحصر الحاضر فى الماضى، وتعظم من قيمة الخبرة المكتسبة عبر الزمن خلافاً لما هو سائد الآن فى المجتمعات الغربية المعاصرة. ولم تكن حياة الفرد موزعة إلى "وقت عمل" و "وقت فراغ" كما هو الحال اليوم، فالعمل لم يكن منفصلاً انفصالاً واضحاً عن سائر الأنشطة التى يقوم بها الفرد، سواء زمنياً أو مكانياً.

ولقد أشرت من قبل إلى أن التقاء ثورتين عظميتين هو الأساس والأصل فى تحول مجتمعات أوروبا الغربية. وكانت ثانى هاتين الثورتين سياسية، ارتبط بها قيام الدولة الأمة التى لعبت دوراً فى قيام العالم الحديث يوازى الدور الذى لعبته الصناعة. ويميل الغربيون إلى التسليم البديهى بأنهم جميعاً "مواطنون" فى أمة معينة، وكل منهم يعى تمام الوعى الدور المكثف الذى تقوم به الدولة (أى الحكومة المركزية والإدارة المحلية) فى إدارة شئون حياتهم. ولكننا نلاحظ أن تطور حقوق المواطنة، وخاصة الحقوق الدستورية للجميع، لم يتم إلا فى فترة حديثة نسبياً. وهكذا نجد أن القومية، أى الشعور بالانتماء إلى مجتمع قومى معين، يختلف عن المجتمعات الأخرى. وقد أصبحت تلك من السمات المميزة

(*)أنظر دافيد لاندز، بروميثيوس غير المقيد، كامبردج، مطبعة جامعة كامبردج، ١٩٦٩، ص: ٥.

للتنظيم "الداخلى" للدول الأمة، وإن كان من المهم بنفس القدر أن نلفت الانتباه إلى العلاقات بين الدول الأمة، بوصفها إحدى السمات الأساسية التى تميز العصر الحديث.

فنحن نعيش اليوم فى نظام عالمى لم يكن له نظير فى العصور الغابرة. فقد شهدنا "ثورتين عظميين" كانت لكل ثورة منهما آثارها على امتداد العالم كله. ويرجع المفكرون الرأسمالية الصناعية إلى التخصص الفائق التعقيد فى الإنتاج، وتقسيم العمل الذى أصبحت علاقات التبادل فيه تشمل العالم على أتساعه. ولتفكر فى الملابس التى ترتديها، أو الغرفة التى تجلس فيها، أو الطعام الذى سوف تتناوله في الوجبة القادمة. فمن غير المحتمل أنك قد صنعت ملابسك التى ترتديها بنفسك، أو أنك شيدت الغرفة التى تجلس فيها بيديك، أو زرعت الطعام الذى تستهلكه. ولكننا فى المجتمعات الصناعية اعتدنا هذا الموقف، ولكن قبل ذلك كان تقسيم العمل أقل تعقيداً من هذا بكثير فى عصر ما قبل الرأسمالية الصناعية. فقد كان أغلب السكان يوفرون احتياجاتهم لأنفسهم بأنفسهم مباشرة، وحينما لم يكونوا يفعلون ذلك، كانوا يعتمدون على خدمات أفراد آخرين من أبناء مجتمعهم المحلى. أما المنتجات والسلع التى نستهلكها اليوم فتصنع ويتم تبادلها على نطاق عالمى، وفق نظام عالمى فعلاً لتقسيم العمل. ولا يقتصر الأمر على أن كثيراً من السلع التى يتم استهلاكها فى الغرب تكون منتجة فى الناحية الأخرى من العالم، والعكس بالعكس إلى حد ما، وإنما المهم أن هناك صلات معقدة بين العمليات الإنتاجية التى تنفذ فى أماكن متباعدة عن بعضها البعض تباعداً كبيراً. فبعض أجزاء جهاز التليفزيون على سبيل المثال قد يتم صنعها فى بلد معين، وتصنع قطع أخرى منه فى بلد ثان، ثم يجرى بعد ذلك تجميع الجهاز نفسه ويتخذ شكله النهائى فى بلد آخر، وأخيراً يباع الجهاز فى بلد مختلف عن البلاد السابقة جميعاً.

ولكن التوسع فى العلاقات الاقتصادية ليس هو المسئول وحده عن نشأة نظام عالمى جديد ومتميز عما سبقه. فقد صاحب انتشار الرأسمالية انتشار عام للدولة الأمة. وقد أشرت فيما سبق إلى بعض الملامح "الداخلية" لنظام الدولة

الأمة (وسوف أتناول تلك الملامح بمزيد من التحليل المفصل فى الفصل السابع من هذا الكتاب). ولكنه قد يكون مضللاً - من بعض النواحى المهمة - أن نشير إلى نظام الدولة الأمة، ذلك أن أوروبا قد عرفت منذ فجر تاريخها الدول الأمة دائماً، وهى دول كانت موجودة تربط بينها علاقات تتراوح بين الود والصراع مع بعضها البعض. أما اليوم فالعالم برمته مقسم إلى خليط متنوع من الدول الأمة. ولكن ظهور الدول الأمة فى أوروبا، وخاصة تطورها فى أجزاء أخرى من العالم بشكلها الراهن، يمثل ظواهر حديثة نسبياً. فقد ظلت البشرية طوال الجانب الأعظم من تاريخها تعيش مبعثرة فى شتى بقاع الأرض، تحيا فى مجتمعات شديدة الصغر، وتقيم أودها على صيد الحيوان وجمع النباتات القابلة للأكل، وهى ما يعرف "بمجتمعات الصيد والجمع". وطوال معظم العشرة آلاف عام - أو نحو ذلك المنصرمة لم يكن العالم مأهولاً إلا على نحو مبعثر متناثر، قياساً على ما نعرفه اليوم، وكانت المجتمعات التى تسكنه هى مجتمعات الصيد أو الجمع، أو المجتمعات الزراعية الصغيرة، أو الدولة المدينة، أو الإمبراطوريات. وكانت بعض الإمبراطوريات، خاصة الصين، مجتمعات هائلة الحجم فعلاً. ولكنها كانت مع ذلك مختلفة كل الاختلاف عن مجتمعات الدولة الأمة التى نعرفها اليوم. إذ نجد مثلا أن الحكومة الصينية المركزية فى الصين القديمة لم تنجح كثيرا فى السيطرة المباشرة على شتى الأقاليم التى كانت تنتمى إليها، خاصة الأقاليم النائية منها. وكان أغلب الرعايا الخاضعين لحكم دولة الصين يعيشون حياة مختلفة تمام الاختلاف عن حياة حكامهم، الذين لم يكن يجمع بينهم الكثير من السمات المشتركة سواء من ناحية الثقافة أو اللغة.

ونضيف إلى هذا أنه رغم أن مختلف أنماط المجتمعات التى أشرنا إليها كانت تربط بينها أنواع شتى من العلاقات، إلا أن المؤكد أن تلك العلاقات لم تغط الكون أبدا بالشكل الذى نراه اليوم. ولا شك أن ملاحظة أن "الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا"، وهى التى قيلت قبل القرن العشرين، كانت تعبر تعبيرا دقيقا عن ظرف واقعى تماما فى حينه. لقد كانت هناك علاقات عارضة، كما كان يوجد قدر معين من التبادل التجارى بين الصين وأوروبا منذ القرن

الحادى عشر وحتى عهد قريب. ومع ذلك ظل كل من الصين والغرب – لعدة قرون بعد ذلك – يعيش عالماً مختلفاً عن الآخر من شتى النواحى. ولكن هذا قد تغير الآن، برغم كل الفوارق الثقافية التى ما زالت تفصل حتى الآن بين الشرق والغرب. ولم تعد الصين إمبراطورية وإنما أصبحت دولة أمة، وإن ظلت دولة ذات أبعاد هائلة سواء من حيث المساحة التى تشغلها أو عدد السكان الذين يعيشون فيها. وهى كما يؤمن أهلها دولة اشتراكية. فعلى الرغم من أن الدول الأمة تغطى أرجاء عالم اليوم على اتساعه، إلا أنها لم تتبع كلها بالطبع النموذج "الديموقراطى الليبرالى"، الذى ترسخ بأقوى صوره وضوحاً فى أوروبا الغربية.

وإذا كان البعد الأول للخيال السيوسولوجى يقوم على تطوير الحساسية التاريخية (أى إحساس الباحث فى علم الاجتماع بالبعد التاريخى)، فإن البعد الثانى يعنى زرع النظرة الأنثروبولوجية فى وعى الباحث. وعندما نقول ذلك فإننا نؤكد من جديد الطبيعة الواهنة (غير المحددة تحديداً صارماً) للحدود المعترف بها تقليدياً بين العلوم الاجتماعية المختلفة. وربما كان تبنى فهم تاريخى بمدى حداثة ومدى قوة التحولات الاجتماعية على امتداد القرنين الماضيين أمراً على جانب من الصعوبة. ولكن ربما كان الأكثر صعوبة منه الإقلاع عن الاعتقاد الذى نؤمن به – صراحة أو ضمناً – أن أنماط الحياة التى نمت وتطورت فى الغرب تتفوق على نحو أو آخر على سائر أنماط الحياة التى عرفتها الثقافات الأخرى. وقد غذى هذا الاعتقاد انتشار الرأسمالية الغربية نفسها، وهو الانتشار الذى كان إيذاناً بانطلاق سلسلة من الأحداث التى أتلفت أو دمرت أغلب الثقافات التى اتصلت بالثقافة الغربية. والأكثر من هذا أن كثيراً من المفكرين الاجتماعيين قد صاغوا تلك الفكرة فى قالب ملموس بمحاولتهم حشر التاريخ الإنسانى فى خطط ونظريات عن التطور الاجتماعى، حيث كانوا يفهمون "التطور" فى ضوء قدرة المجتمعات المختلفة على السيطرة على بيئاتها المادية والتحكم فيها. ولا شك أن النظام الصناعى الغربى قد جاء على قمة تلك المخططات التطورية جميعاً، باعتبار أنه استطاع أن يطلق الإنتاجية المادية بمعدلات أسرع كثيراً مما استطاعه أى مجتمع آخر سبقته على امتداد التاريخ.

ولكنه من الواضح أن تلك المخططات التطورية تعبر عن تمركز حول السلالة (أو المركزية السلالية) التى يتعين على الخيال السوسيولوجى أن يتصدى لها ويبددها. والمفهوم الذى يتسم بالتمركز حول السلالة هو ذلك المفهوم الذى يتبنى وجهة نظر المجتمع أو الثقافة التى ينتمى إليها الباحث ويتخذه معياراً للحكم على باقى المجتمعات والثقافات. وما من جدال فى أن هذا الاتجاه قد ترسخ بعمق فى الثقافة الغربية. وإن كان قد ميز كذلك كثيراً من المجتمعات الأخرى. ولكن الإيمان بالتفوق كان يمثل فى الغرب نوعاً من التعبير، أو من تبرير، الابتلاع الشره الذى قامت به الرأسمالية الصناعية لأنماط الحياة الأخرى. ولكننا يجب ألا نخلط هنا بين القوة الاقتصادية والقوة العسكرية للمجتمعات الغربية التى مكنتها من أن تحتل وضعاً متفوقاً فى العالم، فى ذروة المخطط التطورى. ونلاحظ أن التقدير العالى للإنتاجية المادية الذى يبدو جلياً فى المجتمعات الغربية الحديثة يمثل فى حد ذاته اتجاهاً غير سوى، إذا ما قارناه بالثقافات الأخرى.

فالبعد الأنثروبولوجى للخيال السوسيولوجى مهم لأنه يمكننا من فهم تنوع أنماط الوجود الإنسانى المعروفة على هذه الأرض. ولعله من سخريات العصر الحديث أن الدراسة العلمية المنظمة لتنوع الثقافات الإنسانية - أى الدراسة الأنثروبولوجية الميدانية - قد ظهرت فى نفس الوقت الذى بدأ فيه التوسع الشره للنظام الرأسمالى الصناعى وللقوة العسكرية الغربية يفعل فعله فى تدمير تلك الثقافات. ولكننا نلاحظ أن الجانب الأنثروبولوجى للخيال السوسيولوجى قد بوز بوضوح فى حقل العلوم الاجتماعية منذ بداياتها الأولى، حيث كان ينافس الفكر التطورى ذى الطابع الذى يتسم بالمركزية السلالية. ونصادف لدى جان جاك روسو(*) فى مؤلفه "دراسة حول أصل عدم المساواة وأسسها" (الصادر عام

(*) جان جاك روسو (عاش من ١٧١٢ حتى ١٧٧٨) Jean Jacques Rousseau فيلسوف اجتماعى ومعلم لحركة التنوير الفرنسية مختلف عليه. تركزت كتاباته حول تطوير نظرية العقد الاجتماعى، وهى نظرية ترى أن الطبيعة البشرية منطلقة فى الأساس، ولكنها كبلت بالقيود فيما بعد، وله كذلك نظرية ديموقراطية فى الحكم. وتعتمد مكانة روسو كأحد المنظرين الاجتماعيين الأوائل، على موقف القارئ من التناقضات العديدة الكامنة فى أعماله. فهو يؤكد فى مواضع عديدة على أننا يجب أن نتجنب البحث العلمى حيث أنه أفسد الفطرة الطيبة، =

١٧٥٥) إصراراً موحياً على فكرة أننا نستطيع من خلال الوعى بالتنوع الشديد الوضوح للمجتمعات الإنسانية أن نفهم أنفسنا فهماً أفضل. ويلاحظ روسو في هذا الصدد: "إن العالم كله ملىء بمجتمعات لا نعرف منها سوى الاسم،ومع ذلك نحن نلهو بالحكم على الجنس البشرى كله". ويستطرد قائلاً: "تصور لو أن بوسعنا أن نرسل مجموعة جسورة من الباحثين الذين يملكون حساسية لفهم مدى تنوع الخبرة الإنسانية لكى يصفوا لنا المجتمعات المتنوعة التى تعيش هناك، والتى لا نعرف عنها سوى القليل "ويكتب رسو:" ولنفترض أن هؤلاء الأبطال الجدد قد عادوا من بعثاتهم التاريخية تلك، وأخذوا يكتبون فى هدوء التاريخ الطبيعى والأخلاقى والسياسى لما شاهدوه، فإننا سوف نستطيع عندئذ أن نرى عالما جديداً يتدفق من أقلامهم، وبذلك يتسنى لنا أن نتعرف على عالمنا نحن".

وقد حدث على امتداد المائة وخمسين عاماً التى أعقبت نشر روسو لكتابه "الدراسة" أن قام كثير من الرحالة، والمبشرين، والتجار وغيرهم بالعديد من هذه الرحلات.ولكن التقارير التى قدموها لنا كثيراً ما كانت تتسم بالافتقار إلى الصدق، أو تتسم بالقصور، أو تجسد بكل جلاء نزعة التمركز السلالى (أو للتعصب للسلالة) التى أراد روسو أن يتصدى لها ويقاومها. ولم يبدأ العمل الميدانى الأنثروبولوجى من النوع العلمى المنظم والتفصيلى إلا فى مطلع القرن العشرين(*).

ومنذ ذلك التاريخ استطاع علماء الأنثروبولوجيا -بالرغم من تراجع مجال

=ومع ذلك قدم هو نفسه دراسات منظمة عن عدم المساواة الاجتماعية. كما أصر على أن الطبيعة والمجتمع فى تناقض غير قابل للتسوية، ومع ذلك قدم نظرية عن الدولة تفترض مسبقا قدرة الأفراد على التوفيق بين اهتماماتهم واهتمامات الآخرين، وقدرتهم على التوحد مع الإدارة العامة كما تتجسد فى السلطة الحاكمة. وربما كان كتابه الرئيسى "العقد الاجتماعى" الصادر عام ١٧٦٢ – على الرغم من أن التصور المطروح فيه عن الحكومة الشرعية – أكثر تأثيرا فى الفلسفة السياسية منه فى علم الاجتماع. راجع موسوعة علم الاجتماع. مرجع سابق. (المحرر)

(*) انظر حول هذا الموضوع شارلوت سيمور سميث. موسوعة علم الإنسان. المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، ترجمة محمد الجوهرى وزملاؤه، المشروع القومى للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨، خاصة المواد المتعلقة بالدراسة الميدانية وبالمناهج وأدوات البحث. (المحرر)

بحثهم باضطراد - أن يجمعوا كما ضخماً من المعلومات عن الثقافات المختلفة. وتؤكد هذه المعلومات - من ناحية - وحدة الجنس البشرى، فلم يعد هناك ما يبرر الزعم بأن أبناء المجتمعات "البدائية" الصغيرة أقل مستوى، أو يختلفون من الناحية التكوينية الوراثية عن أبناء "الحضارات" التى يفترض أنها أكثر تقدماً. فلا توجد مجتمعات إنسانية معروفة لنا بدون أشكال لغوية متطورة، ويبدو أنه لا يوجد ثمة علاقة بين أنماط المجتمعات ودرجة التعقد اللغوى.كما نجد - من ناحية أخرى - أن البحوث الأنثروبولوجية الحديثة قد نجحت فى إبراز مدى التنوع الهائل فى النظم التى قد يدير بها البشر شئون حياتهم.

وكثيراً ما نجد الآن أن الباحث الأنثروبولوجى المعاصر قد تحول إلى مؤرخ للكوارث البشرية، أو مؤرخ للثقافات التى يتم اتلافها بفعل التدمير العسكرى، والتى خربتها الأمراض التى جاءت مع الاتصال بالغرب، أو التى باتت تعانى تحلل العادات الاجتماعية التقليدية. فالباحث الأنثروبولوجى، كما وصفه كلود ليفى شتراوس،(*) هو "دارس وشاهد على تلك الشعوب الآخذة فى الاندثار. وهناك قضايا ملحة وعملية إلى أبعد مدى تكتنف عمليات النضال من

(*) كلود ليفى شتراوس عالم أنثروبولوجيا فرنسى، عاش من عام١٩٠٨ حتى عام ١٩٩٠، وقد وصفه جيدنز فى متن الكتاب بأنه ربما كان أبرز دارسى هذا الموضوع فى عالمنا المعاصر. وقد أثر ليفى شتراوس تأثيرا بعيد المدى باعتباره أحد منظرى البنيوية المشاهير، ليس فقط فى الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ولكن وأيضا فى كل العلوم الاجتماعية والإنسانية. وقد ارتحل ليفى شتراوس بعد دراسته للقانون والفلسفة من باريس إلى البرازيل؛ وسجل هناك خبراته بين الهنود البرازيليين فى عدد من مؤلفاته، التى مارس بعضها تأثيرا بعيدا.وقد قدم ليفى شتراوس تجديدات نظرية هامة فى دراسة الزواج ونظام القرابة. وفى أعماله اللاحقة اتجه ليفى شتراوس إلى تحليل النصوص الأدبية حسب المنهج البنيوى وربطها بالنظرية اللغوية، وتطبيقاتها على مجالات أخرى عديدة مع تأكيده المتزايد على دراسة الفكر والرمزية. ونتيجة لذلك ألف كتاب الأنثروبولوجيا البنيوية (صدر عام ١٩٥٨ وترجم عام ١٩٦٨) ثم كتاب "التوتمية" (صدر عام ١٩٦٢ وترجم إلى الإنجليزية عام ١٩٦٣) و "العقلية البدائية" (صدر عام١٩٦٢ وترجم إلى الإنجليزية ١٩٦٩) فى تتابع متلاحق. وقد أعقب ليفى شتراوس هذه الأعمال بعمل آخر يضم أربعة مجلدات عن الميثولوجيا أو علم الأساطير (ما بين١٩٦٤-١٩٧٢) والذى طبق فيه التحليل البنيوى على عدد كبير من الأساطير، وأصدر أيضا الجزء الثانى من كتابه "الأنثروبولوجيا البنيوية" فى عام ١٩٧٣ (ترجم إلى الإنجليزية عام ١٩٧٧).

راجع المزيد من التفاصيل عن حياته وأعماله فى شارلوت سيمور - سميث، موسوعة علم الإنسان، المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، الذى سبقت الإشارة إليه. (المترجم)

أجل التصدى لهذا الاعتداء المستمر على حقوق تلك الشعوب، أو تتصل علـــى الأقل بتيسير عملية تكيفهم مع أنماط الحياة الجديدة حيثما تكـــون أنماطـــهم قـــد تقوضت وانهارت. ولكن لا ينبغى أن تدفعنا أهمية مثل هذا النضـــال إلـــى أن نتجاهل أهمية البحوث الأنثروبولوجية التى أنجزت على مدى نصـــف القـــرن الماضى أو نحوه فبفضل هذه البحوث نستطيع أن نحتفظ فى ذاكرتنا بصور حية لأشكال الحياة الاجتماعية التى توشك أن تندثر إلى غير رجعة.

وإذا جمعنا هذا المعنى الثانى مع الأول، فسوف تمكننا ممارســـة الخيـــال السوسيولوجى من التحرر من القيود الصارمة التى تحصرنا فى حدود التفكـــير فى ضوء نوع المجتمع الذى نعرفه هنا والآن فقط (أى مجتمعنا المعاصر فقط). وهكذا نرى أن كلاهما يرتبط مباشرة بالشكل الثالث من الخيال السوســـيولوجى الذى أود أن أشير إليه. ويتصل هذا الشكل بآفاق المستقبل. فقد كنت مصراً فـــى نقدى للفكرة القائلة بأن علم الاجتماع يماثل العلوم الطبيعية، على أنه لا توجـــد عمليات اجتماعية تخضع لقوانين دائمة لا تتغير. فنحن كبشر ليس محكوماً علينا أن نخضع لقوى لها حتمية وجبرية القوانين الطبيعية. ولكن هذا يعنى أنه يتعيـــن علينا فى نفس الوقت أن نعى **المســـتقبلات البديلـــة** المتاحـــة لنـــا. فالخيـــال السيوسولوجى بمعناه الثالث ينصهر كلية مع مهمة علم الاجتماع فى الإسهام فى **نقد الأشكال الاجتماعية القائمة**.

ولكن النقد يجب أن ينهض على التحليل. لذلك سأحاول فى الفصول التاليـــة من هذا الكتاب، البدء بمناقشة الآراء المختلفة حول طبيعة المجتمعات الصناعية، مجتهداً فى مقابلة التفسيرات المتنافسة ببعضها البعض. ولكن التغـــيرات التـــى بدأت خطواتها الأولى فى الغرب لا يتسنى لنا فهمها – كما سبق أن أشـــرت – دون تأمل العلاقات بين تلك المجتمعات الغربية وبقية العالم. ولهذا سوف أبدأ فى الفصل التالى عرضاً مفصلاً بعض الشىء لأهمية نشأة وقيام النظـــام العـــالمى المعاصر، الذى يمثل ظاهرة محورية فى عملية تقييم آفاق المستقبل أمام التنظيم الاجتماعى العالمى.

* * *

الفصل الثانى

التفسيرات المتنافسة: المجتمع الصناعى أم الرأسمالية؟

كيف يتعين علينا أن نفسر آثار "الثورتين العظميين" على التطــــور الــذى شهدته المناطق الصناعية فى العالم بعد ذلك؟ فى حيـــن نجــد أن طائفـــة مـــن تحليلات ظروف نشأة المجتمعات الصناعية وطبيعتها المميزة قد تمت فى إطــار علم الاجتماع، إلا أن هناك خطاً رئيسياً للتقسيم تركزت عليه الآراء والتفسيرات المختلفة، وهذا التقسيم هو الذى أود أن أركز عليه حديثى فى هذا الفصل. ســبق أن استخدمت مصطلحات "المجتمعات الصناعية" أو "الرأسمالية الصناعية" لكــى أصف نوع المجتمع الذى نشأ وأخذ يتكون فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائــل التاسع عشر فى غرب أوروبا. وسوف أواصل استخدام هذين المصطلحين على طول هذا الكتاب، ولكنى أتوقف هنا عند بعض المصطلحات المتقابلة التــى رأى أنها ذات أهمية فائقة بالنسبة للمشكلات التى أود أن أعرض لها والقضايا التـــى أريد أن أطرحها.

وأود أن أميز بين ما أسميه نظرية **المجتمع الصناعى** من ناحية، ونظريـــة **المجتمع الرأسمالى** من ناحية أخرى. إن فهذان المصطلحان ليسا تسميات بريئة، وإنما يلفتان النظر إلى أسلوبين متناقضين استخدمهما المفكرون الاجتماعيون فى محاولة فهم طبيعة التغيرات التى أدت إلى تحول العالم الحديث. ويرجع الفضــل فى صياغة مصطلح المجتمع الصناعى إلى الكونت هنرى دى سان ســيمون(*)،

(*) سان سيمون، كلود هنرى دى روفروى كونت دى (عاش من ١٧٦٠حتى ١٨٢٥)
Saint – Simon, Claude – Henri De Rouvroy, Comte de.
واحد من أكثر الأرستقراطيين الفرنسيين تميزا، عاش خلال فترة تاريخية مشهودة. وقد أنقذه=

الذى وضع مؤلفاته فى السنوات الأولى من القرن التاسع عشر، وإليه يرجع الفضل كذلك فى وضع بعض الأفكار النظرية العامة التى تبناها غيره من العلماء بعد ذلك وكان من بين من تبنوا تلك الأفكار إميل دوركايم الذى لم يكن تأثيره على علم الاجتماع منهجياً فقط على الإطلاق. والحقيقة أن دور كايم لم يحبذ مصطلح المجتمع الصناعى هذا، ولكنه قدم تعبيراً شاملاً وافياً عن وجهة النظر التى أتبناها هنا. ثم تلقت نظرية المجتمع الصناعى قوة دفع جديدة خلال خمسينيات وستينيات القرن العشرين على يد عدد من الكتاب البارزين فى أوروبا والولايات المتحدة. بل إنها أصبحت أشبه بالعقائد الراسخة فى تلك الفترة.

أما مفهوم المجتمع الرأسمالى فيرتبط أول ما يرتبط بكارل ماركس(*)، على الرغم من أن ماركس قد أخذ بعض أفكاره الرئيسية عن بعض المدارس الفكرية التى سبقته فى مجال النظرية الاجتماعية، والفلسفة، وعلم الاقتصاد. وقد أنجز ماركس معظم أعماله فى الفترة من عام ١٨٤٠ حتى عام ١٨٧٠. ولكن هذه المؤلفات لم تكن معروفة خلال حياته (التى امتدت من عام ١٨١٨ حتى ١٨٨٣) إلا لعدد قليل فقط من زملائه ومريديه. ولكن بعد أن استطاعت الحركات السياسية الماركسية، والحركات العمالية عموماً، أن تحرز قوة ونفوذاً خلال العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، بدأت أفكار ماركس تصبح موضوعاً للعديد من الحوارات والمناقشات، وظلت كذلك حتى يومنا هذا. ولكنها تعرضت

=تعاطفه الجمهورى الليبرالى القوى من المقصلة خلال الثورة الفرنسية، قام بعد استعادة البوربون لأوضاعهم، بتطوير منظومة من الأفكار عن التقدم الاجتماعى. أطلق على تلك المنظومة: الأيديولوجيا المميزة للتصنيع، فكل فرد يجب أن يعمل وأن يكافأ بناء على الكفاءة والجدارة، وأن كل التقدم يعتمد على العلم، وأن مجتمع المستقبل سيعمه السلام والرخاء وسيسير على أسس علمية مباشرة. وقد جمع سان سيمون حوله مجموعة من التلاميذ المتحمسين الذين كانوا يعدون راديكاليين، بل وحتى اشتراكيين، على الرغم من أن مذهبه الفكرى لم يحوى الكثير مما يطلق عليه اشتراكى فى وقتنا الحالى. وقد عمل أوجست كونت مع سان سيمون طوال الفترة من ١٨١٧ حتى ١٨٢٤ حيث تنازعا وانفصلا. وكان تأثير سان سيمون على نظريات كونت الشاب ملحوظا. انظر كتاب روبرت كارسلى، التاج المعروض، الصادر عام ١٩٨٧.

(*) انظر عرضاً مفصلاً لأهم آراء ماركس، وترجمة دقيقة لحياته، وأعماله الأساسية، وكذلك للماركسية وأبرز اتجاهاتها فى جوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، مرجع سابق، خاصة المجلد الثالث، صفحات ١٢٥٥-١٢٦٥. (المحرر)

على أى حال لتطور وتعديل مستمرين منذ أيام ماركس. والماركسية المعاصرة تمثل الآن كياناً فكرياً يموج بالتيارات الداخلية المتنوعة ولن نستطيع فى الحيز المحدود لهذا الكتاب أن أعرض إلا لعدد قليل فقط من الأفكار الرئيسية المتداولة فى هذا التراث الماركسى الذى أصبح وفيراً. ولعلى أبيح لنفسى عند هذه النقطة أن أعلن عن رأى مسبق. فأنا أومن أن الكتابات الماركسية سوف تظل مهمة بالنسبة لعلم الاجتماع وأنها تمثل الركيزة الأساسية التى اعتمدت عليها الانتقادات التى وجهت إلى بعض فروض نظرية المجتمع الصناعى. هذا مع العلم بأن مؤلفات ماركس تعانى من بعض أوجه القصور الظاهرة التى لا يمكن تجاهلها.

* * *

نظرية المجتمع الصناعى

يجب على أن أبادر بعرض بعض التحفظات الأولية قبل طرحى نظرية المجتمع الصناعى، وقبل مواجهتها ببعض الآراء التى عبر عنها ماركس، أو الآراء المستمدة منه. فالمواجهات التى سوف أعرض لها فيما بعد، وكذلك خيوط المناقشة التى سوف أنسجها هنا لن تستطيع بحال من الأحوال أن تغطى كافة الأساليب التى يمكن بواسطتها تصنيف أفكار علماء الاجتماع. فإذا كانت الماركسية تشمل عدداً متنوعاً من الاتجاهات، فإن درجة تنوع أشكال الفكر الاجتماعي غير الماركسى أعظم من ذلك بكثير. لذلك لن نستطيع أن نتفادى قدراً معيناً من تبسيط المشكلات التى تعد فى الغالب ذات طبيعة معقدة، كما أنه من المحتم أن أغض الطرف عن بعض المسائل والأفكار التى كان يتعين الالتفات إليها فى كتاب أكبر حجماً من كتابنا هذا.

ولذلك فإن المقارنات التى سوف أعقدها بين هذين الاتجاهين الفكريين فيما بعد تتحدد من خلال أسلوب الطرح. هذا الكتاب ليس كتاباً "ماركسيا"، وإعلانى التعاطف مع بعض آراء ماركس لا يعنى قبول أفكاره، أو أفكار أى من أتباعه المجتهدين، على وجه الأجمال. كما أننى لا أرفض ماركس محبة فى نظرية المجتمع الصناعى. وأرى أننا نستطيع أن نتعلم من كلا النظريتين. ولكل منها نواحى القصور التى تعيبها، والتى سنحاول أن نضع أيدينا عليها، ثم نجتهد أن نطورها بعد ذلك. وسوف تقابل كثيراً بعض الكتاب الذين يصرون على أن "الماركسية" وما يسمى "علم الاجتماع البورجوازى" لا يمكن أن يلتقيا، ومن ثم يتعين على الدارس أن ينحاز لأحدهما على حساب الآخر. ولكننى لا أتبنى هذا الرأى.

يمكن – كما أشرت سابقاً – تتبع فكرة "المجتمع الصناعى" إلى سان سيمون. وهناك بعض عناصر الاستمرار التى تجمع بين أفكار سان سيمون وأفكار المفكرين الأحدث منه كثيراً. ولكنى لا أقصد "بنظرية المجتمع الصناعى" الإشارة إلى مجموعة بعينها من الحقائق المقررة التى يتفق حولها أتباع مدرسة

فكرية محدودة. وإنما أقصد بها مجموعة من المفاهيم والتفسيرات التي توجد بينها روابط وصلات عامة. ونلاحظ أن مختلف العلماء قد اهتموا بالتأكيد على بعض هذه المفاهيم والتفسيرات على حساب الأخرى، كما نجد أنهم عبروا عن الأفكار التي تبنوها بمستويات متباينة من الدقة والعمق(١).

وقد ذهب المفكرون الذين أربط بينهم وبين نظرية المجتمع الصناعي إلى تبني الأفكار التالية أو بعضها على الأقل:-

١-تتعلق أهم مجموعة من التغيرات التي حدثت في العالم المعاصر بالتحول من المجتمعات "التقليدية" التي كانت تعتمد اعتماداً أساسياً على الزراعة، من ناحية، إلى "المجتمع الصناعي" الذي يعتمد على الإنتاج الآلي وتبادل السلع، من ناحية أخرى. وقد استخدم المؤلفون مسميات مختلفة للإشارة إلى هذين النوعين من المجتمعات، كما نهجوا سبلاً مختلفة في وصف النمط التقليدي والنمط الصناعي من المجتمعات. كما سلموا كذلك بأن "التقليد" و "الحداثة" يمكن أن يرتبطا بطرق مختلفة في البلاد المختلفة.

٢-يمثل التحول من المجتمع التقليدي إلى المجتمع الصناعي حركة تقدمية عبر التاريخ. ولا يدعي أحد بطبيعة الحال أن المجتمعات الصناعية خالية من الصراعات أو التوترات. ولكن هذه الصراعات تتوازن وتتعادل، في رأيهم، بفضل السمات الإيجابية للنظام الصناعي، الذي يرجع إليه الفضل في تحقيق الوفرة المادية، ويرتبط بتحلل واختفاء القيود والضوابط التقليدية. ففي المجتمع الصناعي اختفت الأشكال الصارمة للتمايز الاجتماعي، كذلك الموجودة بين الأرستقراطيين أو الطبقة الأرستقراطية الإقطاعية المتوسطة من ناحية، وعامة الشعب من ناحية أخرى. وفي مثل هذا النوع من المجتمعات ينتشر عادة تكافؤ الفرص.

٣-فسرت الصراعات الطبقية التي شهدتها أوروبا الغربية في القرن التاسع عشر وأوائل العشرين بأنها كانت نتيجة للتوترات التي اكتنفت عملية التحول من النظام الزراعي إلى المجتمع الصناعي. وكانت أبرز الأفكار حول هذا الموضوع وأوسعها تأثيراً تلك التي سميت في الغالب " تأسيس الصراع الطبقي".

ففى البدايات الأولى للمجتمع الصناعى الجديد كانت الحدود الطبقية حادة، وشهدت العلاقات الطبقية توترات أساسية. ولكن جانباً كبيراً من تلك التوترات قد تبدد بعد أن استقرت وترسخت أنماط معترف بها للمساومة بين أطراف العملية الصناعية (العمال وأصحاب العمل أساساً)، كذلك عندما اقترن ذلك بتوسيع "حقوق المواطنة السياسية"، مثل حق الانتخاب وحق تكوين الأحزاب السياسية، بحيث تغطى الغالبية العظمى من أبناء المجتمع[٢].

٤-تمثل نشأة الدولة الديموقراطية الليبرالية عنصراً جوهرياً صاحب الانتقال من التقليدية إلى الحداثة. والنظام الديموقراطى الليبرالى عبارة عن نظام سياسى، من ذلك النوع المألوف فى أوروبا الغربية والولايات المتحدة، يقوم على الحكومة البرلمانية، وعلى وجود حزبين أو أكثر تتنافس للحصول على رضاء الناخبين. وذهب عديد من الباحثين إلى القول بأن هذا الشكل من أشكال الدولة يعد من المصاحبات الطبيعية لنمو المجتمعات الصناعية. فى حين كان بعض زملائهم الآخرين أكثر وعياً بالملامح المميزة لهذا الشكل، ووجهوا النقد إلى هذا الرأى، وذهبوا إلى أن الدولة الحديثة استطاعت أن تلعب فى ذاتها دوراً أساسياً فى إحداث التغير الاجتماعى[٣].

٥-مال دعاة نظرية المجتمع الصناعى إلى افتراض، أو اقتراح، أن النظام الصناعى أينما ظهر يتسم بوحدة جوهرية تجمعه. وفى بعض الأحيان كان التعبير عن تلك الأفكار يتم بأسلوب مبالغ فيه. خاصة من جانب كير وزملائه[٤]. فوفقاً لنظرية التقارب التى اقترحها كير يوجد ما أسماه "منطق النظام الصناعى" الذى يقود المجتمعات الصناعية بإصرار إلى وضع يزداد فيه التشابه باضطراد بين نظمها الاجتماعية الأساسية، أيا كانت درجة الاختلاف بينها من قبل. فكلما ارتقى التصنيع فى المجتمعات الصناعية، كلما ازدادت اقتراباً من بعضها البعض فى الملامح والسمات، وكلما اندثرت منها فلول التقاليد (القديمة). وكان كير يركز اهتمامه الرئيسى على كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى (السابق - المترجم)، زاعماً أنه بالرغم من اختلافهما فى الأيديولوجيا السياسية، إلا أن المجتمعين كانا يتقاربان فى انتهاج سبيل واحد من

النمو. وما زال هذا التصور يحظى ببعض من يدافع عنه. وإن كان قد تعرض لانتقادات حادة من جانب البعض، مثل بندكس على سبيل المثال، الذى أكد على الطرق المختلفة لامتزاج التقاليد والحداثة فى المجتمعات المعاصرة.

ومع ذلك فما زال مثل هؤلاء النقاد يرون – فى أغلب الاحيان – أن المجتمعات الصناعية أو "الحديثة" (التى تم تحديثها) تتسم ببعض أوجه الشبه العامة التى تجمع بينها، برغم الفروق التى قد توجد بينها. وهم يذهبون – فضلاً عن هذا – إلى أن تلك الملامح والسمات العامة المشتركة بين المجتمعات الصناعية تمثل ملامح ضرورية لازمة لها، من شأنها أن تعوق احتمال تحولها تحولاً جذرياً. وبعض هذه الآراء، مثل أراء كير وغيره، قد لا تنطوى على نوع من الحتمية التكنولوجية. إذ نجد على سبيل المثال كثيراً من الكتاب الذين استلهموا كتابات ماكس فيبر(*). وذهبوا إلى القول بأن التنظيم الكبير يمثل سمة

(*) ماكس فيبر M. WEBER (١٨٦٤ – ١٩٢٠) وهو يعد إلى جانب دوركايم مؤسساً علم الاجتماع الحديث كعلم اجتماعى متميز. وإن كانت أعمال فيبر هى الأكثر تركيباً وطموحاً، ومازالت تمثل معينا ثريا للتفسير والإلهام بفكر جديد.

والحق أن إسهام ماكس فيبر في علم الاجتماع كان هائلاً بكل المقاييس. فقد قدم الأساس الفلسفى اللازم للعلوم الاجتماعية. وقدم إطارا نظريا عاما لعلم الاجتماع، وعددا من الدراسات الممتازة التى شملت كافة الأديان العالمية الكبرى، والمجتمعات القديمة، والتاريخ الاقتصادى، وعلم الاجتماع القانونى، والدراسة الاجتماعية للموسيقى، وغيرها من فروع الدراسة السوسيولوجية.

وعلى حين نجد أن محاولة دوركايم تأسيس علم اجتماع قد استندت على الوضعية العلمية التى كانت معروفة على أيامه، فقد تتلمذ ماكس فيبر على التراث الفكرى للمدرسة الكانطية الجديدة فى الفلسفة. وقد انطوت تلك المدرسة الفلسفية على تمييز راديكالى بين الظواهر (أى العالم الخارجي الذى ندركه) والشيء ذاته (أى الوعى الذى يضطلع بعملية الإدراك). وقد تحول هذا التقسيم في علم الاجتماع عند فيبر إلى تمييز بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية، حيث تختص الأخيرة بمعالجة الأشكال التى ندرك بها العالم. وهكذا، فعلى حين أننا قد نعمد إلى وضع قوانين عامة فى مجالات العلوم الطبيعية، إلا أن ذلك ليس مهمة العلوم الاجتماعية، حيث أن اهتمام تلك العلوم ينصب على التفسير العلى وعلى فهم الأفعال الاجتماعية فى سياقها التاريخى الخاص. ونلاحظ في نفس الوقت أن المجتمع الإنسانى ليس مسألة مصادفة، ولكنه قضية "احتمالات". ولكن الأمر الذى جعل العلم الاجتماعى ممكناً هو أن البشر يتصرفون بشكل رشيد على الأقل في معظم الوقت.

وهكذا يمثل الفعل الاجتماعى الموضوع الحقيقى للعلم الاجتماعى، وهو الفعل الموجه تجاه الأشخاص، الآخرين الذين يمثلون أهمية للفاعل، وهو أيضا الفعل الذى نضفى عليه معنى ذاتيا. ويحاول علم الاجتماع تقديم وصف تفسيرى لتلك الأفعال مستخدما منهجية النمط المثالى. وقد طور ماكس فيبر تصنيفا رباعيا للفعل الاجتماعى يحوى: الفعل التقليدى الذى يمارس لأنه كان يمارس دائما على ذلك النحو، والفعل العاطفى الذى يصدر عن العاطفة أو=

لازمة من سمات المجتمعات المعاصرة، وأن مثل هذه المجتمعات تتسم ببعض الملامح العامة. وتجدهم فى هذا، شأنهم شأن ماكس فيبر، لا يقتصرون على توجيه النقد مباشرة إلى ماركس فحسب، وإنما يكيلونه كذلك إلى المثل العليا للاشتراكية عموماً. وسوف أبسط الأسباب التى دعتهم إلى اتخاذ مثل هذا الموقف فى موضع لاحق من هذا الفصل، وذلك بسبب أهميتهم الواضحة للفكر الاجتماعى. (انظر ذلك تفصيلاً فى الفصل الرابع من هذا الكتاب).

٦- كثيراً ما ارتبط مفهوم المجتمع الصناعى أوثق الارتباط بما سمى "نظرية التحديث" التى اهتمت بالمجتمعات غير الصناعية فى العالم. ونلاحظ أن فكرة التحديث تنسجم بسهولة - إلى حد ما - مع الفروض والموضوعات

=تحركه العواطف، والفعل القيمى الرشيد الذى يكونموجهاً نحو تحقيق قيم مطلقة، وأخيراً الفعل الذرائعى أو الرشيد الذى يسعى نحو هدف محدد. والنوعان الثالث والرابع فقط هما اللذان يندرجان ضمن نطاق الأفعال الرشيدة، هذا على الرغم من أن فيبر قد أوضح بكل قوة أنه لا يمكن أن يكون هناك اختيار رشيد بين القيم النفعية والقيم المطلقة. إذ أنه عندما يتم تبنى تلك القيم، فمن المؤكد أن الشخص سوف يسعى نحو تحقيقها بوسائل رشيدة. فقد كان فيبر ينظر إلى تطور المجتمعات الحديثة كعملية ترشيد مضطرد يتخلى فيها العالم عما يكتنفه من غموض. ولذلك يعد نمو البيروقراطية الحديثة الشاملة جزءا رئيسيا من تلك العملية.وعلى المستوى الفلسفى يتمثل الإسهام الرئيسى الآخر لماكس فيبر فى نظرية التحرر من القيمة، وهى رؤية نظرية مركبة كثيراً ما أسىء فهمها فوصفت بأنها نوع من الإيمان الساذج بالموضوعية. ففى رأى فيبر أن اختيار أى علم، وبالطبع اختيار علم الاجتماع، كان اختياراً مفعما بالقيمة، على نحو لا يمكن تبريره فى ضوء الرشد النفعى. ويصدق ذلك الحكم أيضا على اختيارنا موضوعا معينا لدراسته. ومع ذلك فبعد أن تتم تلك الاختيارات، يتعين أن تكون الدراسة السوسيولوجية متحررة من القيمة، بمعنى يصبح تماسكها العقلانى محلا للانتقادات التى يمكن أن توجهها الجماعة العلمية. فضلاً عن هذا فإن معنى مصطلح "عقلانى" (رشيد) يتعرض هو نفسه لعوامل التغير التاريخى. وبهذا المعنى نجد أن البحث العلمى الاجتماعى تكتنفه القيم دائما، ولكن ليس قيم الباحث السوسيولوجى الفرد فحسب، وإنما كذلك قيم مجتمع العلوم الاجتماعية بأكمله، وقيم الثقافة برمتها.

ومن الشائع الربط دائماً بين فيبر وماركس، والنظر إلى فيبر على أنه حاول أن يقدم سوسيولوجيا بديلة للماركسية. ومن المؤكد أن هناك قدرا كبيرا من الاختلاف حول أراء فيبر السياسية، التى تتسم بقدر من الغموض والتعقيد الذى يسم كثيرا من تحليلاته السوسيولوجية. فهل كان فيبر - كما ادعى البعض - من المبشرين بالفاشية؟ أم أنه كان واحدا من دعاة مذهب الحرية المتحذلقين، وهو الأمر الذى يبدو أكثر إقناعا. والمشكلة الحقيقية فى تلك الأحكام المتضاربة أن كتاباته السياسية، شأنها شأن أغلب كتاباته الأخرى ليست على مقاس المقولات والفئات المبسطة التى يحاول المنظرون الاجتماعيون أن ينسبوها إليها الآن.

انظر المزيد من التفاصيل عن حياته وأعماله فى جوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ص ١٠٩٨ - ١١٠٣. (المحرر)

والآراء التى عرضت لها فيما سبق. والفكرة المحورية فى نظرية التحديث هى أن "المجتمعات المتخلفة" سوف تظل أسيرة النظم التقليدية، مع أنه يتعين عليها أن تهجر تلك النظم إذا أرادت أن تبلغ الرفاهية الاقتصادية التى حققها الغرب. وهكذا وجدنا التحديث يعنى أحياناً لدى البعض "التغريب"، وهو تغيير شديد السهولة، إذا كنا نفترض مسبقاً أن المجتمعات الصناعية جميعاً متشابهة فى الأساس. إلا أن بعض المؤلفين يسلمون بأن المجتمع الصناعى يضم بعض النظم التى نشأت أصلاً ونمت داخل الثقافة الغربية، وأن المجتمعات الأخرى لابد أن تختلف فى مسيرتها نحو التصنيع عن المجتمعات الغربية من بعض النواحى. وهم يؤمنون فى نفس الوقت أن "التخلف" لا يمكن قهره بمجرد تبنى أنماط السلوك التى تعتمد على تلك القائمة فى المجتمعات الصناعية. وسوف أتناول بعض القضايا التى يثيرها هذا الموقف الفكرى فى الفصل السابع من هذا الكتاب.

اتخذت ملاحظاتى حتى الآن طابعاً أقرب إلى التجريد، ولعله من المفيد أن نجعل الأمور ذات طابع مشخص أكثر. والسبيل الملائم لتحقيق هذا الهدف أن نستعرض إحدى الصيغ المحددة لنظرية المجتمع الصناعى، ثم نقارنها بعد ذلك بأحد التفسيرات الماركسية. ولعل الصيغة المؤثرة التى تفى بهذا الغرض تماماً تلك التى قدمها رالف دارندورف(*). فى كتابه الموسوم: الطبقة والصراع الطبقى فى المجتمع الصناعى(٥). ورغم أنه قد انقضت فترة غير قصيرة على صدور

(*) رالف دارندورف Ralf Dahrendorf عالم اجتماع، ثم سياسى حزبى ألمانى، من مواليد ١٩٢٩/٥/١ فى مدينة هامبورج. درس الاجتماع فى جامعتى هامبورج ولندن. وبعد فترة عمل فى مراكز الدراسات المتقدمة للعلوم السلوكية فى بالو آلتو بكاليفورنيا (الولايات المتحدة). شغل وظيفة أستاذ كرسى علم الاجتماع منذ عام ١٩٥٨. وقد قدم دارندورف محاولات مبدعة فى إطار نظرية علم الاجتماع، حاول فيها صياغة بعض أسس تحليل الصراعات الاجتماعية والتغير الاجتماعي، على الصعيدين المفاهيمى والمنهجى، فى إطار علم الأجتماع إمبيريقى صارم فى إمبيريقيته. وقد قاده ذلك إلى الحوار مع آراء كارل ماركس من ناحية، ومع النظرية الوظيفية البنائية - بصورتها الأمريكية الحديثة- من ناحية أخرى. من أهم أعماله (جميعها بالألمانية): ماركس فى ميزان النقد،١٩٥٣، الطبقات الاجتماعية والصراع الطبقى، ١٩٥٧، كما نشر عددا كبيرا من المقالات المهمة فى عديد من المجلات العالمية حول القضايا النظرية وحول بعض مسائل علم الاجتماع الصناعى. أما رسالته عن: العمالة غير الماهرة فى الصناعة البريطانية، التى نال عنها درجة الدكتوراه من جامعة لندن عام ١٩٥٦ فهى باللغة الإنجليزية بالطبع. (المحرر)

هذا الكتاب لأول مرة، ورغم أن المؤلف نفسه قد عدل من بعض الآراء التـــى أوردها فيه، فإنه مازال يحوى أفكاراً تتمتع بانتشار واسع المدى. ونلاحظ علاوة على ذلك أن هذا الكتاب قد كتب صراحة كنقد لآراء ماركس حول الموضـــوع، ومن ثم بسهولة مقارنته بوجهة نظر ذات طابع ماركس واضح.

يبدأ دارندورف عرضه بمقارنة مباشرة للجدوى النسبية لمفهومى المجتمـع الصناعى والمجتمع الرأسمالى. وعلى حين استخدم ماركس مفـــهوم المجتمـع الرأسمالى، حاول دارندورف أن يبرر زعمه بأن مصطلح المجتمع الصناعى هو الأفضل بوصفه مصطلحاً أكثر شمولاً وقدرة على فهم المجتمعات الغربية. يؤكد دارندورف فى كتابه أن: "الإنتاج الصناعى ليس مجـرد مرحلـة عـابرة فـى التاريخ، ولكنه سيبقى معنا على الأرجح إلى الأبـــد فــى صــورة أو أخــرى" (دارندورف، صفحة ٤٠). فالتصنيع عند دارندورف يشير إلى الإنتـــاج الآلــى للسلع داخل المصنع أو فى غيره من مؤسسات الإنتاج. والمجتمع الصناعى، فى رأيه، هو ذلك المجتمع الذى يمثل فيه التنظيم الصناعى الشكل الســائد الغـالب على التنظيم الاقتصادى.

ولا يترك دارندورف مجالاً للشك فى أن التصنيع هو الظاهرة الرئيسية فى التأثير على تطور المجتمعات المعاصرة. وهو يقول إن الرأسمالية ليست سـوى نمط من أنماط تنظيم المجتمع الصناعى، أو هو شكل مرحلى مؤقــت، يقتصـر على مجتمعات غرب أوروبا فى القرن التاسع عشر وأوائل العشرين. فـالمجتمع الرأسمالى فى رأيه هو ذلك المجتمع الذى توجد فيه مقاليد الإنتاج الصناعى فـى أيدى القطاع الخاص أساساً؛ هو المجتمع الذى يكون صاحب المنشأة الصناعيـة مالك المصنع أو المصانع وصاحب سلطة الإشراف الرئيسية على العمال فـــى نفس الوقت. ولكن هذه المصادفة التى جمعت بين الملكية الصناعيـــة وسـلطة التحكم قد اتضح أنها ليست سوى ظاهرة قصيرة العمر. ومع ازدياد حجم ومدى الصناعة منذ أيام ماركس، لم تعد ملكية رأس المال قادرة على أن تمنح صاحبها سلطة التحكم فى نظام السلطة داخــل المنشــأة الصناعيــة[٦]. فـأولئك الذيـن يتحكمون فى الإنتاج الصناعى اليوم – خاصة فى الشركات الكبرى التى بـدأت

سيطرتها على الاقتصاد تزداد باضطراد - هم كبار المديرين. وكان ماركس قد اعتبر الملكية الخاصة (وسوف أناقش هذه النقطة فى موضع لاحق) لرأس المال هى الملمح الرئيسى للرأسمالية. ولكن رأى دارندورف فى هذه النقطة أن ماركس قد جانبه الصواب. فقد أثبتت الرأسمالية فعلاً، على خلاف الصناعة، أنها كانت "مرحلة عابرة فى التاريخ". فالمجتمع الرأسمالى ليس سوى نمط فرعى من أنماط المجتمع الصناعى، أو أنه كان فى الحقيقة أكثر قليلاً من مرحلة من مراحل تطور المجتمع الصناعى.

وهنا نلمس أن هناك - بمعنى معين - نوعاً من الالتقاء بين دارندورف وماركس، فكل منهما يؤمن بأن الرأسمالية هى نمط من أنماط المجتمع المكتوب عليه أن يستبدل بنمط آخر. ولكن طريقة تفسيرهما لهذه العملية تتباين أشد التباين. إذ يرى دارندورف أن الرأسمالية هى مجرد شكل مبكر من أشكال المجتمع الصناعى، وأن هذا المجتمع الصناعى هو الذى يستحق حتماً أن يسيطر على عصرنا. وقد جرت عملية اختفاء الرأسمالية من خلال عملية تطور اجتماعى هادئة نسبياً، تحكمت فيها بالأساس التغيرات الاقتصادية التى اكتنفت انتشار التصنيع. ويرى ماركس، على الناحية الأخرى، أن تجاوز الرأسمالية لا يمكن أن يتحقق إلا فى ثنايا عملية تغير ثورى، تستطيع أن تخلق نمطاً مختلفاً كل الاختلاف من المجتمعات هو: الاشتراكية. كما اعتقد ماركس، فضلا عن ذلك، أن الصراع الطبقى يمكن أن يلعب دوراً أساسياً فى عملية التحول هذه. ثم جاء دارندورف هو ونفر غيره من منظرى المجتمع الصناعى ليسلموا بأن الصراع بين الطبقات يمثل إحدى الظواهر المهمة فى المجتمع الحديث. غير أن أفكاره حول هذا الموضوع جاءت على جانب من التعقيد، ولن أحاول أن ألخصها هنا، حيث أنها تنطوى كذلك على أراء معينة تتصل بإعادة صياغة مفهوم "الطبقة" التى لم تلق قبولاً حتى لدى أولئك الذين كانوا يؤيدون آراءه الأخرى، فلم يكونوا يشاركوه هذه النقطة بالذات.

أما فيما يتعلق بالمقارنة مع ماركس فيكفى أن أقول أن دارندورف يقصر الصراع بمعناه عند ماركس - أى باعتباره مرتبطاً بالملكية الخاصة - على

فترة زمنية قصيرة نسبياً فى القرن التاسع عشر. فالصراع الطبقى يعبر عن توترات رئيسية تعرض لها تطور المجتمع الصناعى فى أول أمره، إذ أن نظمه الجديدة آنذاك لم تكن قد ترسخت بعد واتخذت شكلها النهائى. ويعزو دارندورف أهمية خاصة إلى الموضوعات والأفكار التى ذكرتها فى البندين الثالث والرابع أعلاه وهما: ظهور الدولة الديموقراطية الليبرالية، وخلق أشكال من التحكيم الصناعى، بما فيها الاعتراف القانونى بحق الإضراب، التى ساهمت فى تسوية الصراعات التى كانت تثور فى المجال الصناعى، أو التحكم فيها على الأقل. وقد أتاح قيام الدولة الديمقراطية الليبرالية إمكانية تنظيم الأحزاب، التى يمكن أن تؤدى إلى مزيد من تباعد المصالح الطبقية على المسرح السياسى. أما النقطة الأخرى فقد سمحت بالاعتراف بالفروق بين مصالح الأطراف المختلفة فى القطاع الصناعى. وكانت ثمرة ذلك "نزع فتيل" القنبلة الموقوتة المسماة الصراع الطبقى، بحيث أمكن للصراعات الطبقية العنيفة نسبياً التى شهدها القرن التاسع عشر أن تخلى مكانها للمنافسة السياسية السلمية والتفاوض الصناعى السلمى.

فالمجتمع الصناعى وفق تحليل دارندورف مجتمع يتسم بالتنوع، تتعدد فيه أنواع الصراعات والتحالفات الطبقية المتداخلة. والصورة العامة التى يقدمها دارندورف صورة متفائلة. ففى رأيه أن مثل هذه الصراعات داخلة فى نسيج النظام المؤسسي لكل من السياسة والاقتصاد على نحو ما عرضناه. ومن الأمور التى تمثل دعماً وسنداً مهمين لذلك؛ التوسع فى تكافؤ الفرص الذى رجع فيه الفضل إلى نمو الحراك الاجتماعى. وقد وصف دارندورف المجتمعات الصناعية بأنها ليست مجتمعات مساواة، بمعنى أنه تظل فيها فروق جوهرية فى الثروة والقوة بين مختلف الجماعات داخل ذلك المجتمع. ولكن الآثار الضارة المحتملة لتلك اللامساواة تتوازن بفعل ازدياد الآفاق المفتوحة أمام الأفراد للحركة إلى أعلى السلم الاجتماعى. ويلعب التعليم دوراً رئيسياً فى تيسير هذا الحراك. ففى رأى دارندورف أن النجاح أو عدمه فى النظام التعليمى فى المجتمع الصناعى يصبح العامل الأساسى فى التأثير على وضع الأفراد فى المجتمع. إذ أن الآثار التحريرية للحراك الاجتماعى التى تحققت عن طريق

التعليم تمثل أهمية حيوية لوصول المجتمعات الصناعية إلى النضج المستقر. وفى هذا يقول دارندورف: "لقد أصبح الحراك الاجتماعى أحد العناصر الحاسمة فى التأثير على بناء المجتمعات الصناعية، ويكاد المرء يتنبأ "بانهيار" تلك المجتمعات لو حدث تعويق خطير لعملية الحراك" (انظر كتاب دارندورف، صفحة ٥٧).

وفى هذه النقطة تقترب أفكار دارندورف اقترابا وثيقاً من أفكار دوركايم، التى كتبها قبله بنحو نصف قرن. إذ ميز دوركايم بين ما أسماه أشكال عدم المساواة "الداخلية" و"الخارجية". وأشكال عدم المساواة الداخلية هى تلك الراجعة إلى فروق فى التكوين الوراثى للقدرات والاستعدادات. أما أشكال عدم المساواة الخارجية فهى تلك التى ترجع إلى أصول اجتماعية. وذهب دوركايم إلى أن الاتجاه العام لتطور المجتمعات المعاصرة يسير نحو القضاء تدريجيا على الأشكال الخارجية من عدم المساواة. ولا يعنى ذلك وجود نزعة مساواة عامة فى المجتمع، وإنما يعنى ازدياد تكافؤ الفرص بفضل الحراك الاجتماعى. ويمكن تفسير هذه العملية بأنها تتفق أكثر وأكثر مع نظام اجتماعى تتحدد فيه الفروق فى الثروة أو القوة على أشكال اللامساواة الداخلية وحدها. وسوف يجد الأفراد أوضاعاً اجتماعية تتكافأ مع مواهبهم، تقوم على رعايتها والسهر عليها الأيدى المرشدة لدولة رحيمة.

* * *

أشرت من قبل إلى أن مؤلفات ماركس قد حفزت إلى ظهور طائفة عريضة من الإنتاج الثقافى المتنوع، استطاع بعضه أن يشغل مكانة مركزية فى المناقشات الدائرة حالياً فى العلوم الاجتماعية. وسوف أعمد – من باب التسهيل – إلى استخدام أساس للمقارنة مع نظرية المجتمع الصناعى أحد الكتب التى أثرت تأثيراً قوياً على العلم الاجتماعى، كما كان الحال بالنسبة لكتاب دارندورف. إلا أننا سوف نلاحظ أن الآراء الواردة فى ذلك الكتاب تتناقض إلى حد كبير مع الآراء التى وردت فى كتاب دارندورف، إذ أن هذا الكتاب ذو انتماء ماركسى صريح، وهو كتاب رالف ميليباند المعنون: الدولة فى المجتمع الرأسمالى، ١٩٦٩[٧]. وتشبه أهداف ميليباند أهداف دارندورف إلى حد بعيد، ألا وهو تحليل التغيرات التى حدثت فى البلاد الصناعية على امتداد المائة وخمسين عاماً الماضية، وتوضح دلالات كتابات ماركس بالنسبة لفهم هذه التغيرات. وعلى حين ذهب دارندورف إلى أن بعض أفكار ماركس الأساسية قد اتضح فسادها، نجد ميليباند يؤكد أن تلك الأفكار صحيحة فى جوهرها ولم تفقد كثيراً من قدرتها التفسيرية رغم مرور الوقت. ويقر ميليباند بطبيعة الحال أن الفترة منذ موت ماركس قد شهدت عدداً من التغيرات الاجتماعية والاقتصادية السياسية المؤثرة البعيدة المدى. إن هذه التغيرات يمكن فهمها بتدقيق آراء ماركس، وليس بتغييرها جذرياً أو تجاهلها.

ويتحدث ميليباند عن "المجتمع الرأسمالى" لا عن "المجتمع الصناعى". وهو إذ يفعل ذلك يتبنى صراحة وجهة نظر ماركس. وسأحاول أن أعرض لمضمون هذه الرؤية. فقد كان ماركس ينظر إلى الرأسمالية كشكل للمشروع الاقتصادى، وأنها فى نفس الوقت نمط من المجتمعات، حيث كان يعتقد أن النظم الأخرى فى المجتمع ترتبط أوثق الارتباط بهذا النمط من أنماط التنظيم الاقتصادى. ومن العناصر الجوهرية فى رؤية ماركس الفرضية التى مؤداها أن أصول الرأسمالية – كنمط من أنماط المشروع الاقتصادى – كانت موجودة ومستقرة قبل الثورة

الصناعية، بل إنها كانت عامل تحفز لبدء التصنيع. ويرى ماركس أن المشروع الاقتصادى الرأسمالى ينهض على عنصرين بنائيين جوهريين. أولهما بالطبع هو "رأس المال". ورأس المال هو أى أصول يمكن استثمارها لتحقيق مزيد من الأصول. معنى ذلك أنه يتضمن النقود، وهى أكثر أشكال رأس المال سيولة، وكل الوسائل يمكن أن تسهم فى تحقيق الإنتاج: كمنشآت المصانع، والأدوات، وما إليها. ومنها أيضاً - بعد بدء التصنيع - المصانع والآلات.

وقد حدث أول تراكم لرأس المال فى القرنين السابع عشر والثامن عشر فى أوروبا، وكان بمثابة الأساس الذى نهضت عليه عمليات تحول اجتماعى وسياسى ضخمة. وفى رأى ماركس أننا لا نستطيع أن نفهم أهمية تلك التحولات حق فهمها دون الإشارة إلى العنصر الثانى من عناصر قيام المشروع الرأسمالى. ذلك أن تراكم رأس المال يفترض سلفا وجود "عمالة بالأجر"، ويقصد بهم العمال الذين "جردوا من وسائل الإنتاج التى كانوا يملكونها". فقد كانت الغالبية العظمى من السكان فى المجتمع الإقطاعى من الفلاحين، الذين يعيشون على فلاحة قطع صغيرة من الأرض. وعندما تسارعت عملية التطور الرأسمالى، هاجرت أعداد ضخمة من الفلاحين - تحت تأثير عوامل الإغراء أو القهر - من الريف إلى المناطق الحضرية الآخذة فى النمو آنذاك. وهناك شكلوا مجموعات من العمال، تبعاً لقدرات أصحاب رؤوس الأموال على توفير فرص العمل. وهكذا يفترض التنظيم الاقتصادى الرأسمالى - مسبقاً فى رأى ماركس - وجود نظام طبقى يقوم على العلاقة بين رأس المال والعمالة بأجر. وأدى نمو الإنتاج الآلى وانتشار المصانع - أى عملية التصنيع - إلى تعجيل تحول الفلاحين إلى طبقة عاملة صناعية تعيش فى الحضر أساساً.

ومن هنا تعد الرأسمالية - فى رأى ماركس - مجتمعاً طبقياً فى حقيقته، وأن العلاقات الطبقية التى تنهض عليها هى فى جوهرها علاقات صراع أو نضال. كما أن كلا من أصحاب العمل والعمال يعتمد أحدهما على الآخر بمعنى له أهميته الخاصة. فأصحاب العمل يحتاجون إلى القوة العاملة التى تتولى عملية الإنتاج الاقتصادى، أما العمال فإن تجردهم من الملكية يجعلهم محتاجين إلى

الأجور التى يدفعها لهم أصحاب العمل. ويؤكد ماركس أن هذا الاعتماد يتسم بعدم التوازن الصارخ. فالعمال ليست لهم سيطرة رسمية يعتد بها، أو ليست لهم أى سيطرة على العمل الذى يؤدونه، فأصحاب العمل يستطيعون جنى الأرباح التى ينفقونها فى الأبواب التى يرونها. فالعلاقات فى النظام الرأسمالى علاقات استغلالية، ومن شأنها أن تحفز إلى ظهور أشكال مزمنة من الصراع. وآمن ماركس أن الصراع الطبقى لا يقتصر بحال من الأحوال على المراحل الأولى من النمو الرأسمالى، وأنه سوف يزداد حدة بمرور الزمن.

وترى نظرية ماركس أن العلاقات الطبقية تربط التنظيم الاقتصادى للرأسمالية ربطاً مباشراً بباقى نظم المجتمع. وأن تحليل البناء الطبقى - وليس تحليل التصنيع فى ذاته - هو الذى يمدنا بالأساس الرئيسى لفهم أهمية الثورتين اللتين ساهمتا فى خلق العالم الحديث، وفى تحديد مسار تطوره فى المستقبل. وقد عملت السيطرة المتزايدة للإنتاج الرأسمالى - الذى يرى ماركس أنه نظام دائم النمو - على دفع الابتكارات والتجديدات الفنية التى ترتبط بالثورة الصناعية. وفى رأى ماركس أن ثورة ١٧٨٩ فى فرنسا، وكذلك الثورات "البورجوازية" الأخرى، كانت إيذاناً ببزوغ القوة السياسة للطبقة الرأسمالية. أما ظهور النظم السياسية الديموقراطية - بما فى ذلك نظم الحكم البرلمانى - فقد ارتبط فى نظر ماركس لأوثق الارتباط بالتغيرات الاقتصادية التى أحدثها انتشار - المشروع الرأسمالى. ففى المجتمع الإقطاعى كان العبيد أو الاتباع يمثلون الأساس الرئيسى للنظام الطبقى، فالغالبية العظمى من الشعب كانوا مستبعدين صراحة من المشاركة فى الحكم. ومن هنا حاولت الطبقة الرأسمالية - فى نضالها من أجل إحراز القوة السياسية - تدمير الامتيازات الإقطاعية والقضاء عليها، فتمسكت بأن تجعل المشاركة فى الأمور السياسية مفتوحة - من حيث المبدأ - أمام الجميع، حيث كان كل فرد فى المجتمع يعد، منذ ذلك الوقت فصاعداً، "مواطناً" فى الدولة يتمتع بكل الحقوق كسائر المواطنين.

ولكن ماركس يرى أن الدولة الرأسمالية فشلت فشلاً ذريعاً فى تحقيق المثل العليا الديموقراطية التى كان يعتقد أنها تجسدها. فالحريات التى ناضلت من

أجلها الطبقة الرأسمالية الجديدة وحلفاؤها قد عملت فى الحقيقة على دعم سيطرتها على الطبقة العاملة. فالدولة هنا ليست الجهاز الليبرالى الحانى الذى تصوره لنا نظرية المجتمع الصناعى، وإنما هى تعبير عن القوة السياسية. ويتحقق ذلك بمعنيين اثنين، أحدهما أعمق من الآخر. ففى الدولة الرأسمالية يفترض أن كل فرد فى المجتمع هو مواطن له نفس حقوق الآخرين، بما فى ذلك حقوق المشاركة السياسية المتاحة للجميع على قدم المساواة. ولكن الواقع الذى شهدته أغلب المجتمعات الرأسمالية قبل القرن العشرين كان ينكر على أغلبية السكان أى حقوق سياسية فى الحقيقة، وذلك بسبب شروط الثروة التى كانت مطلوبة للحصول على حق التصويت. كما أن عملية تكوين أحزاب عمالية فى تلك المجتمعات كثيراً ما أجهضت، أو حظرت رسمياً بالقانون. ولكن هذه الظواهر لا تشكل الأساس الرئيسى للطابع الطبقى للدولة الرأسمالية. ذلك أن المجال "السياسى" لم يكن يمس سوى قطاع محدود للغاية من الأنشطة التى يمارسها الفرد فى حياته، فلا يمتد إلى المجال الذى يتركز حوله الجانب الأكبر من حياته اليومية، وأعنى به: العمل. ففى المجتمع الإقطاعى كانت العلاقات بين السيد والقن (رفيق الأرض)(*)، أو بين السيد وعامل اليومية كانت علاقات تقوم على حقوق وواجبات متبادلة، بصرف النظر عن عدم توازن تلك الحقوق والواجبات لصالح طرف على حساب الطرف الآخر. على العكس من ذلك نلاحظ أنه من السمات المميزة لعقد العمل الرأسمالى أنه عقد اقتصادى خالص، يحدد وينظم علاقة مالية بين طرفيه. فالعامل لا يحصل بمقتضى هذا العقد على أى حقوق للمشاركة فى صنع السياسات التى تحكم طبيعة العمل أو غيرها من جوانب بيئة العمل. ويمثل تكوين النقابات العمالية - التى يعدها ماركس أحد العناصر الرئيسية للصراع الطبقى - محاولة من جانب العمال لخلق أداة يستطيعون من خلالها التحكم فى ظروف عملهم.

(*) القن أو رقيق الأرض Serf عامل زراعى يرتبط بالأرض ارتباطاً وثيقاً لدرجة أن ملكيته تنتقل مع الأرض حين نقل ملكيتها إلى مالك آخر. وبذلك فليس بوسعه مغادرة الأرض أو رفض العمل فيها. وكان هذا النظام من أسس ومكونات النظام الإقطاعى فى أوروبا.
(المحرر)

تلك هى الأفكار التى تشكل الخلفية العامة لتحليل ميليباند للمجتمعات الغربية المعاصرة، والتى يتحدى بها - بطريقة علمية منظمة - الصورة التى رسمها رالف دارندورف لتلك المجتمعات. وفى رأى ميليباند أن الملكية الخاصة لرأس المال ستظل أحد الملامح الأساسية الحاكمة لتلك المجتمعات، رغم ما نشهده من نمو المشروعات الكبرى وتنامى تدخل الدولة فى شئون الاقتصاد. يقول ميليباند:

"تشترك المجتمعات الرأسمالية فى سمتين حاسمتين: الأولى أنها جميعاً مجتمعات على مستوى عال من التصنيع، والثانية أن الجزء الأكبر من وسائل النشاط الاقتصادى فيها تخضع للملكية الخاصة ولسيطرتها. وتلك السمتان المترابطتان هما اللتان تجعلان منها مجتمعات رأسمالية متقدمة فى الأساس، وهو ما يميزها جذرياً عن البلاد المتخلفة صناعياً، كالهند، أو البرازيل، أو نيجيريا، حتى برغم أن وسائل النشاط الاقتصادى فيها مملوكة أساساً ملكية خاصة وتخضع لها. وهو ما يميزها أيضا عن الدول التى تسود فيها ملكية الدولة لتلك الوسائل، حتى برغم أن بعض تلك الدول: كالاتحاد السوفيتى وجمهورية ألمانيا الديمقراطية، وتشيكو سلوفاكيا (جميعها سابقاً - المترجم)(*) دول بلغت مستوى عالمياً من التصنيع. فمعيار التمييز - بعبارة أخرى - هو مستوى النشاط الاقتصادى ونمط التنظيم الاقتصادى الذى يرتبط به" أنظر كتاب ميليباند، صفحة ٩).

ولم تؤد الأهمية المتنامية للمشروعات الاقتصادية الكبرى إلى إضعاف الرأسمالية، ولكنها عملت على دعم قوة رأس المال، وإن كان ذلك قد تم بشكل يختلف عن رأسمالية القرن التاسع عشر. وينكر ميليباند أن يكون للفصل الذى بين الملكية والإدارة أى أثر من الآثار الجذرية التى أشار إليها

(*) فالاتحاد السوفيتى قد تفكك إلى روسيا وعديد من الجمهوريات التى استقلت عنه، وجمهورية ألمانيا الديمقراطية عادت إلى الوطن الأم. وأصبحت جزءاً من ألمانيا الموحدة، وانشطرت تشيكوسلوفاكيا إلى جمهوريتين واحدة للتشيك والأخرى للسلوفاك. وقد حدث ذلك كله خلال التسعينيات. (المحرر)

دارندورف. ومن أسباب ذلك أن الفصل لم يضطرد بالقدر الذى يزعمه من يتحدثون عنه، فأصحاب الأقلية من الأسهم يمكن أن يحتفظوا بالسيطرة على المشروع لو أن بقية حملة الأسهم (الأغلبية) كانوا متفرقين أو مبعثرين. ولكن الأهم من ذلك أن أصحاب رأس المال والمديرين لهم نفس المصالح الاقتصادية فى دعم وترسيخ إطار الإنتاج الرأسمالى، وهم ينتمون فى العادة إلى بيئات متميزة (اجتماعيا) متشابهة، ومن ثم يكونون طبقة مسيطرة موحدة نسبياً.

كما أن الحراك الاجتماعى أكثر تحديداً بكثير مما يؤكد عليه دارندورف، سواء من حيث مداه أو من حيث آثاره على المجتمع عموماً. ويذهب ميليباند فى شرح وجهة نظره إلى أن غالبية فرص الحراك الاجتماعى "قصيرة المدى". أى أن الحراك يتم بين أوضاع اجتماعية متقاربة داخل النظام الطبقى. أما فرص الحراك "الواسع المدى" فمحدودة للغاية، وهى الفرص التى تتيح لأفراد من الطبقة العاملة فرصة الصعود إلى جماعات الصفوة. فتكافؤ الفرص الذى يعزو إليه دارندورف أهمية فائقة هو أقرب إلى الأسطورة منه إلى الحقيقة. وحتى لو كانت الأمور فى الحقيقة كما يدعى دارندورف، ففى رأى ميليباند أن الحراك لم يكن يستطيع أن يغير كثيراً فى التقسيمات الطبقية القائمة. ذلك أن النظام الطبقى العام سوف يظل محتفظاً بسماته الأساسية حتى لو حدثت حالات حراك اجتماعى فى الحقيقة أكثر كثيراً مما حدث بالفعل. " ... وحتى لو كان هناك نظام للجدارة(*) يضمن وصول الأكفاء إلى قمة الهرم التدرجى، وذلك تطعيماً للنظام

(*) نظام الجدارة Meritocracy نظام اجتماعي تتحقق فيه المكانة من خلال القدرة والجهد (أى الجدارة)، وليس عن طريق الاكتساب بالميراث استنادا إلى العمر أو الطبقة، أو النوع، أو أى من هذه الخصائص أو المميزات الموروثة. وينطوى المصطلح على أن الأشخاص ذوى الجدارة يستحقون أى امتيازات يكتسبونها. وفى الواقع العملى، من العسير أن نعثر على مقياس للجدراة موثوق به يمكن أن يتفق عليه العلماء الاجتماعيون.
وقد صك هذا المصطلح مايكل يونج فى كتابه: نشأة الجدارة:
الصادر عام ١٩٥٨، للإشارة إلى تولى أولئك الأكثر قدرة على الإنجاز مقاليد الحكم، حيث كانت الجدارة تعرف باعتبارها الذكاء فضلا عن الجهد. وقد حاول فى محاولته الخيالية أن يتنبأ بأقصى النتائج التى يمكن أن تترتب مستقبلا على تبنى مجتمع ما لفكرة تكافؤ الفرص فى نظامه التعليمي بصورة مطلقة، حيث يصعد الأكثر قدرة إلى مصاف الشرائح الأعلى، تاركا ذوى الذكاء المحدود ليقوموا بالأعمال اليدوية المتواضعة. قد حذر الكتاب من أن مثل هذا=

الاقتصادى القائم، فمن شأن ذلك أن يضمن وصول عدد أكبر من ذوى الأصول الطبقية العمالية لشغل المستويات العليا فى النظام القائم. وقد يكون ذلك أمراً مرغوباً فعلاً، ولكنه لن يؤدى إلى تحويل ذلك النظام الطبقى إلى نظام آخر". (انظر ميليباند، صفحة ٤١).

إن تحليل ميليباند لآثار حصول كافة أفراد المجتمع على الحقوق الدستورية، وإقرار إجراءات للتحكيم فى الصناعة(بين العمال وأصحاب الأعمال) يتناقض بنفس الشكل مع الصورة التى قدمها دارندورف. فدارندورف يعتبر تلك التطورات ثمرة مباشرة من ثمار التقدم فى التصنيع، الذى تؤازره وترعاه دولة حانية. ولكنها فى رأى ميليباند لم تتحقق إلا أثناء وبفضل عمليات الصراع الطبقى، وأنها ستظل تمثل بؤرة مثل هذه الصراعات فى المستقبل. فالحقوق الدستورية نادراً ما سمحت بها الطبقة المسيطرة بسهولة، وكذلك حقوق التحكيم الصناعى لم تمنح بسهولة. ولكن هل تم نزع فتيل القنبلة؟ عند هذه النقطة نلاحظ قدراً من الاتفاق بين ميليباند ودارندورف، برغم تعارض وجهات نظر كل منهما. إذ يوافق ميليباند على أن السيناريو الذى تصوره ماركس لم يتحقق، على الأقل بنفس القدر الذى تخيله. ففى شرق أوروبا كانت توجد مجتمعات تزعم أيديولوجيتها الرسمية أنها تجسد مبادئ ماركس فى صورة عملية. وهكذا وجدنا كلا من الاتحاد السوفيتى، ودول أوروبا الشرقية (حتى التسعينيات – المترجم) والصين وبلاد أخرى كثيرة فى العالم تدعى أنها تحكم بواسطة العقائد الماركسية.

ويتضح من الفقرة التى نقلناها عن ميليباند أنه يسلم بأن تلك المجتمعات تختلف من الناحية البنائية عن المجتمعات الغربية، نظراً لأن الاقتصاد يخضع لسيطرة الدولة فى الأساس، – ليس لسيطرة رأس المال الخاص. ولكنه لا يوافق

=التركيز الجديد على الذكاء والقدرات فى النظام التعليمى سوف يؤدى إلى ترسيخ عدم المساواة فى القدرات العقلية، وإحلالها محل عدم المساواة الطبقية. وحيث أن الحكم على ما يمثل جهداً هو أمر أخلاقى بالضرورة، (من قبيل هل يستحق عبقرى كسول الاستحواذ على الجدارة؟ وإذا كان الأمر كذلك، لماذا لا يستحقها شخص مجتهد محدود الذكاء؟) فإن المصطلح سيظل موضعاً للخلاف الحاد. (المحرر)

على أن هذه المجتمعات قد حققت الاشتراكية، على النحو الذى تنبأ به ماركس، ولكنها حققت فى أفضل الظروف نوعاً ناقصاً ومشوهاً من الاشتراكية.

أما فى الغرب فيرى ميليباند أنه على حين استطاعت تلك المجتمعات تحقيق تقدم كبير فى سبيل تحسين الظروف القاسية التى كانت سائدة فى فجر الرأسمالية، إلا أن التحدى الذى كانت تمثله الطبقة العاملة قد فقد حدته جزئياً. فعلى الصعيد الاقتصادى خضع الصراع الطبقى خضوعاً كبيراً لضغوط قوية، مارستها الدولة وقطاع الأعمال، للفصل بين ما يسمى "العلاقات الصناعية" عن المواجهات السياسية. قد أدى نجاح النقابات العمالية فى تعبئة "العمالة المنظمة" إلى اختيارهم البقاء ضمن النظام القائم. أما النقابات العمالية التى تحولت إلى منظمات بيروقراطية كبرى، ذات موظفين متفرغين للعمل النقابى، فقد استطاعت أن تنفصل عن القواعد التى كان المفروض أن تمثلها، أى عن العمال فى عنابر المصانع.

ويضيف ميليباند أن هناك مجموعة متنوعة من العوامل التى أسهمت فى تحقيق تطورات مناظرة فى عالم السياسة. ففى الفترة التى انقضت منذ ماركس استطاعت الأحزاب الاشتراكية أو العمالية أن تمثل مواضع قوية فى كافة المجتمعات الرأسمالية المتقدمة، باستثناء الولايات المتحدة التى تمثل حالة فريدة دارت حولها كثير من الدراسات والتحليلات. وإن كان يمكن القول أن الحزب الديموقراطى فى أمريكا يمثل - بضفة عامة وعلى وجه التقريب - مصالح العمال هناك. ولكن أيا من تلك الأحزاب لم يستطع أن يقود ثورة اشتراكية ناجحة. ولكن لماذا لم يستطع؟ هناك بعض العوامل المسئولة عن ذلك التى ترتبط بظروف نجاح الأحزاب الاشتراكية فى الحصول على موطئ قدم فعال فى الحكومة. ففى أغلب الحالات لم يتحقق لها الوصول إلى الحكم إلا عندما دخلت تلك الأحزاب فى تحالفات مع منافسيهم المحافظين، وهى تحالفات كانت تستأثر فيها الأجزاب المحافظة بالأغلبية العددية. ولم يكن لذلك من نتيجة سوى تدعيم النظام القائم لا إضعافه أو القضاء عليه. أما فى الحالات التى استطاعت فيها الأحزاب الاشتراكية أن تصل إلى الحكم، فقد كانت هناك عوامل أخرى

أدت إلى تحجيم تأثيرها. فلكى تحظى تلك الأحزاب بالنجاح فى الانتخابات كان عليها عموماً أن تخفف برامجها للتغيير الاجتماعى وتقلل من حدتها. ثم ما أن تصل إلى مقاعد الحكم حتى نجد أن سياساتها الفعلية أصبحت أقل تطرفاً مما كانوا يعدون به فى حملاتهم الانتخابية، ذلك أن المقاومة القوية من جانب أصحاب المصالح كانت تتصدى لكل ما يهدد أوضاعهم وامتيازاتهم المستقرة. ولقد انقسم الماركسيون فى الرأى حول تلك النقطة، لكن ميليباند يميل للرأى القائل بأن "الاشتراكية البرلمانية" هى أميل فى الواقع إلى عدم الفاعلية، ذلك أن التغير الاجتماعى الجذرى يتطلب دعماً إضافياً من حركات خارج النظام البرلمانى.

والآن لا يختلف أحد فى أن ماركس كان يؤمن أن الثورة الاشتراكية كانت وشيكة الحدوث فى البلاد الرأسمالية المتقدمة فى أواخر القرن التاسع عشر. معنى ذلك أنه حدث شيء خطأ بالتأكيد. ومن هنا اتجه ميليباند إلى مؤلفات ماركس يلتمس منها إجابة على هذا التساؤل. فوجد أن الاتجاهات الإصلاحية للأحزاب الاشتراكية الغربية ترجع إلى تأثير **الأيديولوجيا**. ففى رأى ماركس أن الطبقة التى تتحكم فى وسائل الإنتاج وفى النظام السياسى تتولى فى الوقت نفسه التحكم فى الرموز الأساسية للأشكال الاعتقادية فى المجتمع. فالمجتمعات الرأسمالية تعرف ما أسماه ميليباند "هندسة الرضا"، التى تتولى زرع الاتجاهات العامة للامتثال للأمر الواقع وقبوله فى نفوس الناس. هناك طائفة من النظم التى تشترك فى خلق مناخ أيديولوجى يحبذ استمرار الرأسمالية، تبرز بينها المؤسسات التربوية بشكل خاص. وفى الوقت الذى ينظر فيه إلى التعليم بوصفه الأداة الرئيسية لتحقيق المساواة ولخلق نظام اجتماعى يتسم بالمرونة و "تفضيل أهل الكفاءة". يرى ميليباند أن التعليم من أبرز الظواهر التى تعمل على تعويق التغير الاجتماعى. إذ يرى أن النظام التعليمى موجه بالأساس نحو إعادة إنتاج قيم عامة مؤيدة لمصالح الطبقة المسيطرة فى نفوس كل جيل.

وهكذا نرى أن نظرية المجتمع الصناعى - كما ذكرت من قبل - تتعارض تعارضاً صريحاً مع آراء ماركس فيما يتعلق باحتمالات وإمكانيات التحول

الجذرى فى "المجتمعات المتقدمة". ولا شك أن فكرة الوحـــدة الأساســية لنظــم التصنيع تلعب دوراً مهماً فى وجهة النظر هذه. فالمجتمعات الصناعية تشـــترك حتماً فى بعض السمات العامة، ومن الواضح أن نماذج التصور المستقبلى لديـها تكون متقاربة فى العادة إلى حد ما، بمعنى أن المستقبل لن يختلف عن الحــاضر اختلافاً بعيداً.

وآمل أن تكون الحجج ووجهات النظر التى سقتها فـــى الفصليــن الأولين من هذا الكتاب قد أثارت لدى القارئ الشكوك فى أى نظرية تقوم على أساس الضرورات الحتمية. وهو ما ينطبق كذلــك علـــى الآراء الماركسية التى صيغت على نحو قريب من هـــذا النمــط الحتمى. فهناك بعض الماركسيين الذيـــن ذهبــوا إلـــى أن انـــهيار الرأسمالية وحلول الاشتراكية محلها أمر حتمى، وهنــاك فقـــرات فى مؤلفات ماركس نجده يتحدث فيها بنفس هذا المنطق. ولكن كـــلا الرأيين لا يمكن الدفاع عنه منطقياً أو تأييده إمبيريقيا. فنحن نعيـش فى عالم مفعم بالإمكانيات والفرص المفتوحة، ولا شك أن معرفتنـــا بذلك العالم سوف تساعدنا على تشكيل تلك الإمكانيــات والفــرص. ولكن المهم بالتأكيد هو أن نحدد أى الاتجاهين - اللذين عرضنا لهما فيما سبق - هو الأكثر دقة، إذ من شأن ذلك أن يؤثر بقـــوة علـــى أفكارنا عن اتجاهات التطور الأكثر احتمالاً أن يشهدها العالم، وعلى أكثر الاختيارات واقعية التى يمكن أن نتبناها للتأثير على اتجاهـــات التغير الاجتماعى.

* * *

المراجع

(١) يمكن للقارئ أن يجد مسحاً مفيداً لهذه الأفكار فى مؤلف كريشان كومار المعنون: النبـوءة والتقدم:

Krishan Kumar, Prophecy and Progress, London, Allen Lane, 1978.

(٢) هناك تحليل مهم فى هذا الاتجاه، كان واسع التأثير فى حينه، وما زال يحظـــى بأهميـــة حتى اليوم نجده عند سيمور مارتن ليبست فى كتابه: الإنسان السياسى:

Seymour Martin Lipset, Political Man, New York, Doubleday, 1960.

(٣) راجع مؤلف راينهارد بندكس، بناء الأمة والمواطنة، نيويورك، وايلى:

Reinhard Bendix, Nation- Building and Citizenship, New York, Wiley, 1964.

(٤) انظر كلارك كير وزملاءه، النظام الصناعى والإنسان الصناعى:

Clark kerr et al., Industrialism And Indusrrial Man, Harmondsworth, Penguin, 1973.

(٥) ستانفورد، مطبعة جامعة ستانفورد، ١٩٥٩. وكان الأصل الألمانى لهذا الكتاب قد صـــدر عام ١٩٥٧.

Ralf Dahrendorf, Class and Class Conflict in Industrial Society, Stanford, Stanford University Press, 1959.

(٦) ويمكن أن نجد عرضاً كلاسيكياً لهذا الرأى فى مؤلف بيرل وميـــنز المعنـــون: المنشـــأة الحديثة والملكية الخاصة، ١٩٦٨ - وكان الأصل قد نشر فى عام١٩٣٢.

A.A Berle and G.C. Means, The Modern Corporation and Private Property, New York, Collier- Macmillan, 1968.

(7)Ralph Miliband, The State in Capitalist Society, London, Weidenfeld And Nicolson, 1969.

الفصل الثالث

الانقسام الطبقى والتحول الاجتماعى

أثار الفصل السابق مجموعة من القضايا المختلفة، التى لا يمكن تناول بعضها تفصيلاً فى هذا الكتاب، بالرغم من أنها قد تثير اهتمام القارئ. فهناك ثلاث موضوعات أساسية أثيرت حتى الآن وأود أن أوليها اهتماماً خاصاً. **الموضوع الأول** يتعلق بأهمية التحليل الطبقى لدراسة المجتمعات المتقدمة صناعياً فى الوقت الراهن. فالتطورات التى شهدتها هذه المجتمعات لم تتبع نفس المسارات التى توقعها ماركس. ولكن هل يدفعنا ذلك إلى القول بأن أفكاره لم تعد لها أية أهمية فى تحليل المجتمعات المعاصرة كما يزعم منظرو المجتمع الصناعى؟ إن هذا السؤال سوف يكون محل اهتمامى الرئيسى فى هذا الفصل. أما **الموضوع الثانى** فيتعلق بطبيعة الدولة. فنظرية المجتمع الصناعى، والنظرية السياسية الليبرالية بشكل عام، كلاهما ينظر إلى الدولة على أنها وسيط لمصالح الجماعة بشكل عام. وعلى النقيض من ذلك تأتى وجهة نظر ماركس والتى تنظر إلى الدولة - كما أوضح ميليباند Miliband - على أنها دولة رأسمالية؛ أى دولة تعبر عن حكم الطبقة، وهى تعكس عن ضرب من اللاتوازن و (اللاتماثل) فى تعبيرها عن المصالح الطبقية. وسوف أتناول مشكلة الدولة فى الفصل القادم. أما **الموضوع الثالث** فإنه يذهب إلى أبعد من هذين الموضوعين، وهو يرتبط بشكل مباشر بالمناقشات النظرية التى طرحناها فى الفصلين السابقين من هذا الكتاب، وأعنى به موضوع احتمالات التحول الاجتماعى فى عالم اليوم. ويرتبط هذا الموضوع على مستوى معين بمدى صدق المشروع الذى قدمه ماركس. فهل بمقدورنا أن نحدد على وجه واقعى إمكانية ظهور المجتمعات الاشتراكية التى تختلف اختلافاً جذرياً عن صور الرأسمالية الصناعية؟ أما على المستوى

الأكثر تجريداً - ولكنه ليس أقل أهمية - فيتعلق الموضوع الثالث بطبيعة علم الاجتماع كمشروع نقدى. فقد كان رأيى دائماً أن العلوم الاجتماعية تقف فى علاقة نقدية مضمرة مع موضوع دراستها؛ أى مجموعة حياة الناس فى المجتمع. ولكن السؤال هو فى أى صورة يمكن أن يتشكل هذا المشروع النقدى؟ إن الكتاب برمته يتعرض لهذه القضية على نحو ما؟ ولكنى سوف أتعرض لها على نحو صريح فى الفصل الختامى لهذا الكتاب.

* * *

القوة الاندماجية (النقابية)

إذا ما قارن المرء بين التحليلات المتتالية التى قدمها كل من دارنـــدورف وميلبياند - وهى تحليلات تتشابه مع تحليلات أخرى كثيرة - لا يجد اختلافـــاً كبيراً فى آرائهما حول صورة أوروبا فى القرن التاسع عشر. وللتعبير عن ذلك بشكل سريع مبسط نقول بأن كلا منهما وافق على اعتبـــار تصويـــر مـــاركس للرأسمالية الصناعية فى القرن التاسع عشر تصويـــراً صحيحـــاً. فقـــد ذهـــب دارندورف إلى أن الملكية الخاصة تطابقت مع التقسيم الطبقى فى تلك الفـــترة، كما كان الصراع الطبقى ظاهرة بادية للعيان فى أحيان كثيرة. ولكـــن تظـــهر الفروق بين الكاتبين جلية فيما يتصل بالتغيرات التى ظهرت فـــى المجتمعـــات الغربية خلال المائة سنة الماضية. فقد ذهب دارندورف إلى أن هذه التغـــيرات تعد تغيرات جذرية، وقد أدت بشكل تطورى - وليس ثوريا - إلى تحلل الطـــابع الطبقى للرأسمالية على النحو الذى قدمه ماركس. أما ميليبانز فقد رفـــض هـــذا التفسير؛ ورأى أن المجتمعات الغربية ظلت مجتمعات رأسمالية، ويعد التحليـــل الطبقى تحليلاً ذا أهمية فى فهم شكلها النظامى.

ولا يمكن فى فصل مثل هذا أن نقدم عرضاً شاملاً لقرن من التغـــير، بـــل ليس بمقدور كتاب واحد استيعابه. ولكن من الممكن أن نقـــدم تقويمـــاً شـــاملاً، مستخدمين ما هو متاح من مادة إمبيريقية، لدلالة التحولات الكبرى التى حدثت. فمن الملامح الواضحة للمجتمعات الغربية خلال المائة سنة الماضيـــة ازديـــاد تدخل الدولة فى الحياة الاقتصادية وفى مجالات أخرى من النشاط الاجتمـــاعى. ولكننى سوف أتعرض لهذه الظاهرة بشكل مباشر فى الفصل التالى. أما القضيـــة الأكثر أهمية فى هذا السياق فترتبط بتزايد **التركز فى الاقتصـــاد**؛ ونعنـــى بـــه سيطرة الشركات الكبرى على الحياة الاقتصادية. ولا أحد يستطيع أن يشك فـــى أن الشركات الكبرى، فى كل الاقتصاديات الغربية قد بـــدأت تلعـــب بدرجـــات متفاوتة دوراً متنامياً فى أهميته. ومن الصعب أن نحصل على أرقـــام دقيقـــة،

خاصة فيما يتعلق بالبيانات التى يمكن أن تقارن بين مختلف البلدان. ففى الولايات المتحدة رفعت أكبر مائتين من الشركات الصناعية نصيبها فى الأصول الكلية بحوالى ٠,٥% كل عام منذ بداية القرن، وتسيطر هذه المائتى شركة الآن على ثلاثة أخماس الأصول الصناعية. وعلى نفس المنوال، تعد أكبر مائتين من التنظيمات القائمة الآن مسئولة عن أكثر من نصف التعاملات المالية(١). ومن بين هذه الشركات هناك عدد قليل يتميز بأنه عملاق بالفعل، ويمتلك شركات مساعدة عبر العالم.

ويعد مستوى التركز الصناعى فى بريطانيا مقاساً بمعظم المؤشرات، أعلى من نظيره فى الولايات المتحدة. وعلى حين تختلف الدول الأوروبية الغربية الأخرى واليابان اختلافاً ظاهراً فيما يتصل بمستويات التركز، إلا أننا نجد فى كل هذه الدول أن الشركات الكبرى تلعب دوراً رئيسياً فى النشاط الاقتصادى. والغالبية العظمى من هذه الشركات هى اتحادات عامة، أى أنها تعتمد على تقويم الأسهم التى يمكن أن تباع وتشترى. ويمتلك أصحاب الأسهم هذه الشركات.

ولكن ما دلالات كل ذلك؟ لقد تبنى دارندورف ما يطلق عليه عموماً الموقف الإدارى. فقد تضمن ظهور اتحادات الشركات تفتيت الطبقة الرأسمالية التى ظهرت فى القرن التاسع عشر. ولقد ترتبت بعض النتائج الهامة على تنوع نظام الأسهم فى الشركات الكبرى وفقاً لما يذهب إليه هذا الرأى. وسوف أشير إلى هذه الشركات من الآن فصاعداً باسم الشركات العملاقة Megacor Porations. وثمة رأى يقول بأن هذه الشركات العملاقة هى شركات أقل رأسمالية مما كانت عليه الشركات الصغرى فى أوج الرأسمالية التى اعتمدت على المشروع الرأسمالى. لقد كانت الرأسمالية فى القرن التاسع عشر رأسمالية تقوم على التنافس الشديد، ولذلك فقد كان الدافع الرئيسى لكل شركة هو تعظيم الربح. ولكن الشركات العملاقة أصبحت تتمتع الآن بموقع مسيطر فى قطاعات بعينها من الاقتصاد، بحيث تستطيع أن تسيطر على الأسواق، بدلاً من أن تكون الأسواق هى المسيطرة عليها. ويذهب هذا الرأى – بالإضافة إلى ذلك – إلى القول بأن الشركات العملاقة أصبحت أكثر اهتماماً بالنمو المستقر طويل

المدى، أكثر من اهتمامها بتعظيم الأرباح السريعة. وفى ضوء ذلك فإن شركة IBM تركز على المحافظة على تطورها الكلى الشامل، وبنفس القدر الذى تحافظ به على تنمية المستويات العليا للربح. وباستخدام لغة الاقتصاد الحديث، فإن هذه الشركات تميل إلى تحقيق حالة من الرشد الإدارى. فالقضية الأهم عند هذه الشركات هو المحافظة على مستوى مرتفع من الربحية الشاملة، وليس مجرد تعظيم الربح دون أى اعتبار لأى شيء خلاف ذلك.

ويختلط مثل هذا التفسير بالرأى القائل بأن الملاك الرسميين للشركات العملاقة - أى أصحاب الأسهم - لم يعد بمقدورهم أن يمارسوا أى تأثير ذا بال على شئون الشركات. فقد انتقلت القوة إلى المديرين. وطالما أن المديرين ليسوا رأسماليين - أى أنهم لا يملكون المؤسسات التى يديرونها - فإنهم يكونوا أكثر اهتماماً بالاستقرار الإدارى الداخلى أكثر من مستوى الربح الذى تحققه. فقد تحولت الشركات العملاقة - على ما يؤكد أصحاب هذا الرأى - إلى جهاز ذى مسئولية اجتماعية أى إلى "شركات ذات روح" مختلفة عن الشركات العدوانية التى تسعى إلى تحقيق مصالحها الخاصة فحسب، والتى سادت فى القرن التاسع عشر

ووفقاً لما يذهب إليه الكتاب من أصحاب النزعة الإدارية، من أمثال بيرل Beryle، فإن التركز القوى لنمط المؤسسات الاقتصادية، والذى يميز الاقتصاديات الغربية المعاصرة، لا يتضمن إذن خلق شكل جديد من أشكال الطبقة العليا. فتكثيف المؤسسات الاقتصادية يسير جنباً إلى جنب مع تحلل صور قديمة للتضامن الطبقى. ويتحدث دارندورف - استناداً إلى هذا التراث - عما يسميه "إعادة تكوين الطبقة العليا". ففى القرن التاسع عشر، كانت توجد طبقة رأسمالية مسيطرة ومترابطة، ولكن فصل الملكية عن الإدارة، إلى جانب نمو الشركات العملاقة، قد أديا إلى تفكك هذه الطبقة، إذ أصبح ملاك رأس المال فئة مفككة، طالما أن ملكية الأسهم أصبحت منتشرة بين السكان. وانفصل الملاك عن المديرين التنفيذيين، الذين يملكون القوة الحقيقية داخل المؤسسات الاقتصادية. ولكن المديرين أنفسهم ينقسمون فيما بينهم، طالما أن انتماءاتهم

الرئيسية تكون للشركات التى يديرونها

هناك أسباب وجيهة للاعتراض على كل نقطة من النقاط المتضمنة فى هذا التفسير. فسيطرة الشركات العملاقة على الاقتصاديات الحديثة كان لها آثار بعيدة المدى على الحياة الاقتصادية المعاصرة. ولكن هذه الآثار لا يبدو أنها تتلاءم مع نموذج الرشد الإدارى الذى تقترحه النزعة الإدارية. فأصحاب هذه النزعة يميلون أولاً وقبل كل شيء إلى المبالغة فى الدرجة التى وصفت بها المنافسة التى تسعى إلى تعظيم الأرباح والتى يقال أنها ميزت رأسمالية القرن التاسع عشر. فالمنظمون الأوائل كانوا يهتمون اهتماماً كبيراً ببناء شركاتهم على المدى الطويل، وليس بمجرد الحصول على الربح بأى صورة ممكنة. والأهم من ذلك أن الشركات العملاقة الموجودة الآن ما تزال تعمل فى إطار رأسمالى تنافسى، بالرغم من أنها أصبحت قادرة - ومن خلال وسائل الإعلان الواسعة النطاق والوسائل الأخرى - على التأثير فى الطلب بطريق مباشر. كما أن الشركات العملاقة ليست فى موقف "احتكار" بالمعنى الدقيق للكلمة؛ أى فى موقف تكون فيه الشركة هى المنتج الوحيد للسلع فى قطاع محدد من الاقتصاد. فغالباً ما تكون الشركات العملاقة فى حالة تنافس مع بعضها البعض، فى أيامنا هذه سواء داخل نطاق الاقتصاديات الوطنية، أو على المستوى الدولى على وجه الخصوص. ويمكن أن تكون الضغوط المتولدة عن هذه المنافسة، وعن السعى نحو تحقيق معدلات عالية للربح، يمكن أن تكون ضغوطاً فائقة. ويجب أن نشير - بالمناسبة - إلى أن اتجاه النزعة الإدارية قد ذاع صيته فى الخمسينيات والستينيات، حيث كانت الصناعة فى الغرب فى حالة توسع مطرد لا تواجه مشكلات تذكر. ولقد أدى ظهور الأزمة الاقتصادية فى السنوات اللاحقة إلى جانب تزايد أهمية المنتجين المحليين فى الدول التى حققت تقدماً جزئياً فى التصنيع، والتى تنخفض فيها تكاليف العمالة، أدى ذلك كله إلى خلق صعوبات جمة أمام الشركات العملاقة لتحقيق الربحية فى بعض قطاعات الاقتصاد. فقلة من هذه الشركات فقط هى التى استطاعت أن تحقق أهدافها فى مضمار الرشد، هذا إن كانت هناك شركات استطاعت ذلك أصلاً.

إن هذه الاعتبارات تعد اعتبارات هامة عند النظر فـــى طبيعـــة ودلالات الانفصال بين الملكية والإدارة. وقد أدت الشواهد الحديثة إلى التشكيك فيما ذهب إليه أنصار النزعة الإدارية بقولهم إن ملكية الأسهم قد أصبحت تتسم بـــالتوزيع على قاعدة عريضة فى الشركات العملاقة، وأن هذا التوزع قد أدى إلى فقـــدان سيطرة رأس المال على الشركات، حسب زعمهم. وقد تكون الحصص الصغيرة نسبياً من رأس المال كافية لضمان قدر من التحكم الفعال فى سياسة الشـــركات على أى حال، إذا ما أصاب التفتت ما تبقى من رصيد الملكية. وإن كان الأمـــر الأكثر أهمية من هذه المسائل، هو ما يتعلق بحقيقة أن مصالح المديريـــن هـــى أقرب بكثير إلى مصالح الملاك مما كان يتصـــور لأنصـــار المذهـــب الإدارى. فمعظم المديرين فى الإدارة العليا يملكون كمية معقولة من الأسهم، وهى كميـــة غالباً ما تكون أساسية بالمعنى المطلق، حتى وإن لم تكن كبيرة بالقياس بـــالثروة الكلية للشركة الكبرى. ومن ثم فإن مصالح أولئـــك المديريـــن، هـــى مصـــالح رأسمالية، بمعنى مزدوج، فهم – من ناحية – لهم مصلحة عامة فـــى ازدهـــار أسواق المال، وهى مصلحة يشتركون فيها مع ملاك رأس المال الآخرين، كمـــا أن أنشطتهم داخل نطـــاق الشـــركات العملاقـــة تســـتهدف بإطـــار المشـــروع الرأسمالى(٢).

ومثل هذا التحليل لا يؤيد الفكرة التى تقول بأن الطبقة الرأسمالية فى القرن التاسع عشر قد أسلمت الطريق لأعداد متنوعة مـــن الجماعـــات، لا يمكـــن أن ينطبق عليها مصطلح "الطبقة المسيطرة". حقيقة أنه كان مـــن الممكـــن دائمـــاً المبالغة فى درجة الوحدة التى تتسم بها الطبقة، سواء المسيطرة أو الخاضعـــة. ولكن لا يجب أن ننسى – على سبيل المثال – أن كبار الملاك التقليديين ظلـــوا يحتلون مواقع متقدمة فى القوة الاقتصادية فى أغلب المجتمعات الرأسمالية خلال القرن التاسع عشر. وقد أدى هذا بالتأكيد إلى اتسام الطبقة العليا علـــى الأقـــل بمظاهر للانقسام لا تقل عما يفصل بين المديرين والملاك هذه الأيـــام. وثمـــة عاملان هامان فى هذا الصدد. الأول يتعلق باســـتمرار وجـــود مظـــاهر عـــدم المساواة فى توزيع الثروة فى المجتمعات الرأسمالية. وبالرغم من أن هناك قدراً

من الاختلافات بين البلدان المختلفة، إلا أن أقلية قليلة من السكان فى كل هـــذه البلدان هى التى تمتلك كمية من الثروة تفوق حجمها بكثير. كما أن ملكية الأقلية هذه تتأكد، إذا ما نظرنا إلى ملكية رؤوس الأموال والأسهم تحديداً، وليس إلـــى ملكية على إطلاقها. أما العامل الثانى فيتعلق بالحراك الاجتماعى - أو بالإحرى نقص الحراك، خاصة فيما يتصل بتركيب جماعات الصفوة. وتعد النتائج التـــى توصل إليها ميليباند هنا أقرب إلى الصواب مـــن تلـــك التـــى توصـــل إليـــها دارندورف. فمهما ظهر الحراك فى المستويات الدنيا من النظام الطبقـــى، فـــإن فرص أولئك الذين ينتمون إلى أصول منخفضة فى اختراق الدوائر العليا هـــى فرص نادرة بالتأكيد.

إضفاء الطابع المؤسسى على الصراع الطبقى

من هم - إذن - أولئك الذين يشكلون الطبقة العاملة. والذين أشـــار إليـــهم ماركس فى عبارة شهيرة له بأنهم "حفارو قبر الرأسمالية؟ فالقبر لم يحفر بعـــد، وقد انقضى الآن أكثر من قرن من الزمان على تلك العبارة، كما أن الرأسمالية، التى تجاوزت مرحلة الشباب، لا يبدو أنها مهددة بالزوال فى المستقبل. فلماذا لم يظهر التحول الكبير فى الرأسمالية؟ إن الكتاب الذين ينطلقون من موقف مخالف كل الاختلاف يوافقون على القول بأن ثمة قدراً من الصدق فى أفكار مـــاركس بالنظر إلى سياق القرن التاسع عشر. إن الإجابة على هذه الأسئلة - أو المنحـــى الذى يمكن أن يتطور فى ضوء إحدى هذه الإجابات - يعتمد بدرجة كبيرة علـــى تفسير عملية إضفاء الطابع المؤسسى مأسسة الصراع الطبقى". ولقـــد أبـــرزت عبارة "مأسسه الصراع الطبقى" لأننى أريد أن أوضح أن هذه العبـــارة يشـــوبها شىء من الشك. ولكن العمليات التى نوجه إليها أنظارنا هى نفسها العمليات التى اندمجت من خلالها الطبقة العاملة فى النظام الرأسمالى، بدلاً من أن تقدم بديـــلاً ثورياً لها.

إن عبارة "مأسسة الصراع الطبقى" هى العبارة المفضلـــة عنـــد منظـــرى المجتمع الصناعى، وهى تتلاءم بشكل جيد مع واحدة من تأكيداتهم المميزة. ففى رأى هؤلاء الكتاب، أن الصراع الطبقى سواء أخذ شكلاً مفتوحاً أو مفاجئاً يرتبط بالمراحل الأولى لتطور الرأسمالية الصناعية. ولكن تطور أساليب منظمـــة أو مقبولة للتحكيم الصناعى قد أدت إلى التقليل من حدة الصراع الطبقى ، وتحويلـه إلى مجرد صراع صناعى وأصبح بمقدور العمال أن يحصلوا على نصيب عادل من الكعكة الصناعية، وذلك بسبب القنوات التى فتحت أمامهم لتحقيق مصالحـــهم الاقتصادية. كما أن حصول العمال على الحقوق المتصلة بالتفاوض الصناعى قد صاحبها الحصول على حقوق سياسية فى الدولة. ويشير أصحاب هذا الرأى إلى تاريخ الحركات العمالية والتى كان لها وشائج حميمة مع المذاهب الماركســـية، خلال القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، ولكنها ما لبثت أن تخلت عن الشعارات الثورية وتحيزت للنزعة الإصلاحية. وغالباً ما يشار إلى الحركـــات العمالية فى ألمانيا والسويد بوصفها أمثلة لهذا التحول. فـــالحزب الديموقراطـــى الاشتراكى الألمانى (SPD) أصبح فى الجزء الأخير من القرن التاســـع عشـــر الحزب السياسى الجماهيرى الوحيد الذى يتبنى موقفاً ماركسياً. ولكن مع بدايـــة الحرب العالمية الأولى صوت غالبية أعضاء الحزب الديموقراطى الاشـــتراكى الألمانى لصالح الجهد الألمانى فى الحرب وتدعيمه مما يعنى الاستسلام لمقـــود الحكومة فى نهاية الأمر.ولقد فعلوا ذلك فى الوقت الذى كـــان الحـــزب يـــهتم بالقضاء على فلول اليسار؛ أولئك الذين رفضوا أن يسيروا فى الخط الذى سارت فيه أغلبية الحزب. ولقد تم ذلك على نحو مشوب بـــالعنف، أى باستخدام القـــوة المسلحة. وظل الحزب الاشتراكى الديموقراطى الألمانى فى ســـنوات الحـــرب حزباً يناصر الإصلاح الاجتماعى دون الثورة. وفى هذه الأثناء كـــان العمـــال الألمان أقرب إلى المثال الطرازى لقوة العمل التى تتسم بالامتثـــال والإذعـــان، حيث كانت معدلات الإضراب بالنسبة لها هى الأقل فى دول العالم الصناعى.

ومع ذلك فلا يمكن النظر إلى تطور الحركة العمالية الألمانية علـــى أنـــها طراز ممثل لنظيراتها فى المجتمعات الأوروبية ككل؛ كما أنه لا يمكن اعتبارها

نموذجاً للتغير من حزب يحترف الثورية إلى حزب إصلاحى. فثمة اختلافات أساسية وبعيدة المدى بين المجتمعات الرأسمالية فى هذا الصدد. فهناك - من ناحية - المجتمعات التى تقلصت فيها العناصر الثورية من داخل الحركة العمالية، ولم يعد فيها للماركسية كنسق تفكير وبرنامج سياسى أى تأثر (مثل الولايات المتحدة وبريطانيا). وهناك - من ناحية أخرى - أننا لا نعدم وجود أمثلة لحركات عمالية كانت تحمل تراثاً ثورياً فى الماضى، وما تزال تحتفظ بقدر من هذا الطابع حتى الآن. وتدخل فرنسا وإيطاليا فى هذه الفئة. وتدل هذه الاختلافات على أن اندماج الطبقة العاملة ليس ظاهرة واحدة. فإذا كان نضوج الرأسمالية لم يؤد إلى ظهور بروليتاريا ثورية، فإن الطبقة العاملة لم تندمج بنفس القدر فى النظام (الرأسمالى).

ويبدو أنه لا توجد مبررات مهمة للشك فى أن غياب التحول الثورى فى الغرب يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأحداث التى أشار إليها دارندورف وآخرون. ومن أفضل التحليلات فى هذا الصدد - وهو التحليل الذى اعتمد عليه دارندوف وغيره من الكتاب اعتماداً كبيراً - ذلك الذى قدمه مارشال T.H Marshall منذ ثلاثين عاماً[٣].

وفى رأى مارشال أن الصراعات الطبقية التى ميزت القرن التاسع عشر قد خفت حدتها بالتدريج بفضل التطور المتتابع لثلاثة أنماط من "حقوق المواطنة". وأطلق مارشال على هذه الحقوق: حقوق المواطنة المدنية، والسياسية والاجتماعية. ويتضمن النمط الأول - الحقوق المدنية - المساواة الرسمية أمام القانون، بجانب مجموعة من حقوق استخدام النظام القضائى. أما النمط الثانى فيشير أولاً وقبل كل شىء إلى الامتيازات العامة، وإلى حقوق تشكيل الأحزاب. أما النمط الثالث فيشير إلى حقوق المساومة الصناعية وحقوق الرفاهية مثل: التعويض عن البطالة، المساعدات عند المرض ... إلخ. وتنحصر فكرة مارشال فى القول بأن كل نوع من المواطنة كان أساساً لتطور النوع التالى. فالحقوق القانونية التى تقر أن كل المواطنين أحرار ويتساوون أمام القانون، هذه الحقوق القانونية قد استقرت ورسخت فى المراحل المبكرة نسبياً من تكوين الرأسمالية.

وبدون هذه القوانين (والتى تتعارض فى الحقوق والواجبات القائمة على التمييز، والتى كانت سائدة فى النظام الإقطاعى) لم يكن من الممكن أن تنتشر قوانين المواطنة السياسية. ولعب انتشار الحقوق السياسية دوراً رئيسياً فى الحد من سلطة الطبقة الرأسمالية، وذلك بالسماح للعمال بتنظيم أنفسهم سياسياً لتمثيل مصالحهم فى المجال البرلمانى. ولقد ساعدت القوة السياسية المتنامية للطبقة العاملة، بالإضافة إلى الحقوق القانونية، على تعضيد الأنماط المعترف بها من المساومة الجماعية فى عالم الصناعة. ولكن الحقوق السياسية للطبقة العاملة - من وجهة نظر مارشال - كانت لها أهميتها الكبرى فى تقوية دولة الرفاهية الحديثة. ولقد أدت هذه التطورات مجتمعة إلى تبديل واسع النطاق فى كل من تأثير الانقسامات الطبقية وطبيعة الصراع الطبقى. ويستطرد مارشال قائلاً إن: "المواطنة والنظام الطبقى الرأسمالى كانا فى حالة حرب طوال المائة عام الماضية" (ص ٨٤). واستطاعت المواطنة أن تحرز النصر، ولكن دون أن يكتمل انتصارها؛ لأن الصراع الطبقى لم يعد يهدد النظام الرأسمالى بالسقوط.

وفى المتفادى أن ثمة قدراً من الصدق فيما قاله مارشاله، ولكن لا يمكن قبوله على علاته؛ فهناك عدد من التحفظات التى يجب أن نأخذها فى الاعتبار. وأول هذه التحفظات يتعلق بدلالة الحقوق القانونية. فلم يؤكد مارشال على نحو كاف الطابع غير المتوازن للعلاقة بين "العلاقات القانونية البورجوازية" ووضع الطبقة العاملة. وكما أكد ماركس باستفاضة، فإن تحرير جماهير السكان من روابط الالتزام الإقطاعى كان جزءاً من خضوعهم لقوة رأس المال. فقد كان المنظمون الرأسماليون الأوائل يهتمون بخلق تجمع للأيدى العاملة "الحرة"، يمكن أن يتم تشغيله عند الحاجة وإنهاء عمله فى أى وقت. واحتل **عقد العمل الرأسمالى** مكاناً محورياً فى تحليل ماركس للمشروع الاقتصادى الرأسمالى، وربط ذلك بشكل مباشر بنظريته فى الدولة. فعقد العمل الرأسمالى يفترض وجود أفراد "أحرار"، لا تربطهم علاقات إقطاعية؛ فالعلاقة هى علاقة اقتصادية خالصة، يحكمها عقد حر ولكن هذه "الحرية" تعمل على زيادة قوة أصحاب العمل على حساب العمال. فالعمال الذين لا يملكون شيئاً يعتمدون على العمل

من أجل البقاء. أما الحقوق القانونية التى تحدد حرية العقد فلا تسمح للعامل بأى درجة من الرقابة الشكلية على مجرى العمل الذى ينخرط فيه. وفى رأى ماركس - وكما أشرت فى فصل سابق - يعد ذلك تصوراً فى منظومة الديموقراطية البرلمانية. فالحقوق السياسية التى تمنح لأى شخص كمواطن لا تمتد إلى المجال الصناعى، وهو المجال الذى يحتل مساحة كبيرة من نشاط الحياة لجماهير السكان.

ويقودنا ذلك إلى ملاحظة ثانية، وهى أن أتساع حقوق المواطنة التى وضعها مارشال لم تكن مجرد نتيجة لأنشطة الدولة، ولكنها (وكما لاحظ ميلباند) حقوق كان يتعين انتزاعها بالقوة. ويحق لنا عند هذه النقطة أن نعيد التأكيد الذى ذكرته فى الأجزاء الأولى من هذا الكتاب. فليست "المواطنة والنظام الطبقى" هما الطرفان اللذان يتصارعان، ولكن كلاً منهما يعبر عن مظاهر للفعل النشط الذى يقوم به الفاعل الإنسانى فى السياق المؤسسى لتطور الرأسمالية المبكرة. وما يزال موقف ماركس - الذى يحسن البناء عليه - يقدم أساساً لتحليل هذه العمليات وما يترتب عليها من نتائج. فالتداخل بين الحقوق القانونية والسياسية وحقوق الرفاهية يؤسس بؤرة لاستمرار الصراع الطبقى؛ فليست هذه مجرد مراحل متتابعة لعملية تخفيف مظاهر عدم المساواة، وإنما هى ما تزال تمثل حتى الآن مجالاً لصراعات مستمرة. إن التوسع فى حقوق المواطنة كان فى جانب كبير منه ثمرة من ثمار الحركات العمالية، التى دخلت فى صراع مع أصحاب العمل والدولة. ويمكننا إعادة تفسير رأى مارشال على النحو التالى. يمكننا فهم نمو النزعة النقابية بين العمال كاستجابة "دفاعية" لنقص القوة فى جانب العمال، والتى يعبر عنها عقد العمل الرأسمالى. ففى ظل عدم وجود حقوق رسمية للمشاركة فى نطاق الإنتاج، اتجه العمال إلى تبنى أساليب مختلفة للامتناع عن التعاون- معتمدين على التهديد بالانسحاب الجماعى من العمل أو القيام بذلك فعلاً -من أجل تحقيق درجة من الرقابة على موقع العمل. وكما أشار ميليباند فإن إقامة أنماط معترف بها للمساومة الصناعية فى عديد من البلاد قد تمت بعد قدر هائل من الصراع النشط- الذى غالباً ما كان حاداً وعنيفاً - من

جانب الحركات العمالية. وينسحب نفس القول على تحقيق الحقوق السياسية. فالامتيازات العامة لم تتحقق فى معظم البلدان إلا فى القرن العشرين - وفى ظلال الحرب - قدمتها الحكومات على مضض لأنها كانت تسعى إلى تعبئة سكانها لعداوات الحرب.

أما ما أسماه مارشال "دولة الرفاهية" (التى سوف نتناولها بشكل أكثر تفصيلاً فى الفصل القادم) فيطلق عليه دارندورف "النظام الصناعى لما بعد الرأسمالية". أما وجهة نظرى فإنها تختلف. ذلك أن المجتمعات الغربية تغيرت تغيراً كبيراً منذ ماركس وحتى الآن. ولقد كان هذا التغير ناتجاً - فى جانب كبير منه - عن الصراع الطبقى، ولكن هذه المجتمعات ظلت رأسمالية ويمكن أن نصف هذه المجتمعات بأنها مجتمعات رأسمالية فى ضوء المعايير التالية:

(١) الإنتاج من أجل الربح، بما فى ذلك سيطرة رأس المال الخاص بوصفه المحرك الدينامى الرئيس للنظام الاقتصادى.

(٢) ظلت الملكية الخاصة، خاصة ملكية رأس المال، تكشف عن مظاهر لعدم المساواة.

(٣) استمر الصراع الطبقى يحظى بأهمية فائقة ودلالات بعيدة فى كل من الاقتصاد والسياسية. فالمجتمعات الرأسمالية هى **مجتمعات طبقية**.

ويعنى ذلك أن كتابات ماركس ما تزال تحتل أهمية محورية فى تحليل هذه المجتمعات. ولا يعنى هذا أن كتابات ماركس أومن جاء بعده من الماركسيين، يمكن أن تقبل على علاتها، فأوجه التعارض التى أشرت إليها بين نظرية المجتمع الصناعى والماركسية تعد طريقة مفيدة ومختصرة لفهم جانب من المشكلات الرئيسية فى علم الاجتماع المعاصر. ولكننى أود أن أرتب على تلك الملاحظات القول بأننا بحاجة إلى أن نتحرر من هذه الأساليب المتنافسة فى التحليل.

* * *

لعل من أهم التغيرات التى حدثت فى النسق الطبقى للمجتمعات الغربية فى القرن الماضى، والتى خضعت لمناقشات مستفيضة، ذلك النمو المتزايد للعمال غير اليدويين، أو المعروفون باسم العمال ذوى الياقات البيضاء بالمقارنة بالعمال اليدويين، ذوى الياقات الزرقاء. فطبقاً لإحصاءات التعداد، يوجد الآن فى قوة العمل فى الولايات المتحدة الأمريكية نسبة من العمال ذوى الياقات البيضاء تفوق نسبة العمال ذوى الياقات الزرقاء. أما فى بلدان أخرى فإن الحجم النسبى للعمال ذوى الياقات البيضاء - كما تعبر عنه الإحصاءات الحكومية - ليس مرتفعاً بنفس القدر، ولكن الزيادة فيه تسير فى نفس الاتجاه.

ويبدو أن هذه الإحصاءات تتناقص كلية مع توصيف ماركس للتطور المحتمل الرأسمالية. فقد اعتقد ماركس أن الغالبية العظمى من السكان سوف يتحولون إلى عمال يدويين فى مهن يغلب عليها الأداء الروتينى؛ وسوف يذوب الجانب الأكبر من رؤوس الأموال الصغيرة؛ وسوف تتكون طبقة صغيرة من كبار الرأسماليين تواجه كتلة متضخمة من البروليتاريا. ومع ذلك نجد عند ماركس بعض الفقرات التى تتعارض مع هذا الرأى المبسط. ومن أشهر هذه النصوص تلك التى يتحدث فيها ماركس "عن النمو المطرد لعدد أبناء الطبقات الوسطى، أولئك الذين يقفون فى المنتصف بين العامل من ناحية والرأسمالى ومالك الأرض من ناحية أخرى"[٤]. ولكن التعليق على هذه الفقرة جاء فى شكل جدلى، كما لم توضح دلالاته بجلاء. ولقد اتخذ كثير من غير الماركسيين انتشار عمالة ذوى الياقات البيضاء ذريعة أساسية لرفض تحليل ماركس للبناء الطبقى للرأسمالية. ولقد أوضحت كثير من الدراسات البحثية التى أجريت فى بلدان مختلفة أن العمال ذوى الياقات البيضاء، أو ما أصبح يسمى "بالطبقة الوسطى الجديدة"، تميل إلى الانخراط فى العمل النقابى بمعدلات أقل من أولئك الذين يشغلون مهناً يدوية، كما أنهم يتبنون قيماً واتجاهات مختلفة. ويذهب بعض الكتاب إلى أن النمو النسبى للعمال ذوى الياقات البيضاء يؤشر على ظهور

مجتمع الطبقة الوسطى. فقد صور ماركس مجتمعا يسوده الانقسام بين طبقتين متعارضتين. ولكن اتساع الطبقة الوسطى أصبح عاملا فاعلا في تحقيق الاستقرار، وفى تقليص الطبقة العاملة، كما أن البروليتاريا يتم استيعابها على نحو متزايد داخل الطبقة الوسطى، وليس العكس.

وينتقد الماركسيون هذا الرأى بطريقة مقنعة فهم يرون أن هناك عاملين يؤديان إلى أخذ الإحصاءات التى أشرنا إليها بحذر، وهى إحصاءات رسمية، وذلك عند النظر إليها نظرة سطحية. وأحد هذين العاملين أن كثيرا من مهن الياقات البيضاء لها طابع روتينى، بل آلى؛ فنمو العمل غير اليدوى سار جنبا إلى جنب مع ميكنة العمل المكتبى. ومن ثم فإن نسبة كبيرة من الأعمال التى يصنفها التعداد على أنها "أعمال ذوى الياقات البيضاء" يصعب تمييزها عن المهن اليدوية، وهى تتطلب قدرا من المهارات المحدودة وليس مستوى تعليميا رفيعا. فلكى تكون "موظفا كتابيا" فى القرن التاسع عشر كان يجب أن تكون أولا موظفا مهنيا، فى موقع داخل السلطة الإدارية. وأما الآن فتوجد أعداد متزايدة من الموظفين الكتابيين فى النسق المهنى؛ ولكن الأعمال الكتابية قد تم اختزالها إلى سلسلة منمطة من الأعمال البسيطة غير المعقدة التى لا تحمل أى امتيازات للسلطة. ويرتبط العامل الثانى بأن التوسع فى الأعمال الكتابية قد تساوق مع تزايد دخول المرأة إلى المستويات الدنيا من قوة العمل غير اليدوية. وتشكل المرأة – فى معظم المجتمعات الغربية – النسبة الغالبة من المشتغلين بالأعمال الكتابية (كما تشكل النسبة الغالبة فى عدد من المهن الخدمية مثل البائعات). وتميل الأعمال غير اليدوية التى تنخرط فيها المرأة إلى أن تكون مختلفة اختلافا كبيرا عن تلك التى ينخرط فيها الرجل. وهذه الأعمال هى الأكثر روتينية، وهى أعمال ينخفض فيها مستوى الأمان الوظيفى، كما أن التقدم فيها على المسار المهنى ليس سهلا ولا يشكل هؤلاء النسوة العاملات جزءا من الطبقة الوسطى الناشئة ذات الدخول الجيدة؛ بل هن يشكلن على العكس من ذلك ما أسميه بقاع قطاع الموظفين ذوى الياقات البيضاء[٥]. كما أن المرأة تتعرض إلى استغلال مزدوج (أنظر الفصل السادس من هذا الكتاب)؛ فهى ضحية للتمييز

فى النسق المهنى فى الوقت الذى يتعين عليها فيه أن تؤدى معظم العمل المتصل بالمنزل ورعاية الطفل.

ويذهب بعض الكتاب إلى القول بأن تشخيص ماركس لعملية التحول البروليتارى المتزايد لقوة العمل لم يعد مقبولاً الآن. ولكن هناك القليل منهم ممن يتبنون اليوم وجهة النظر هذه. ولكن الغالبية منهم يدركون أنه بالرغم من أن الطبقة الوسطى ليست بهذا الحجم الذى يتصوره أولئك الذين يتبنون تفسيراً ساذجاً لإحصاءات التعداد، إلا أن هذه الطبقة تعد عاملاً من عوامل التعقيد فى العلاقات الطبقية الرأسمالية. فالعمال ذوو الياقات البيضاء فى المهن المتخصصة أو الإدارية أو الإدارية العليا قد أثبتوا أنهم قادرين على أن يصبحوا قوة سياسية مؤثرة. ولقد كان ماركس محقاً - بشكل عام - عندما تنبأ بتقليص أعداد أصحاب رؤوس الأموال الصغيرة - صغار رجال الأعمال، صغار التجار، ...إلخ - الذين كانوا يشكلون الطبقة الوسطى القديمة. ولكن إذا ما أعطينا لتأثير الطبقة الوسطى الجديدة غير المالكة الوزن الذى تستحقه، فإن ذلك يعنى الابتعاد بقدر عن الصياغات الماركسية. وهذا هو رأيى على أى حال. ولكى نكون عادلين تجدر الإشارة إلى أن بعض الكتاب الماركسيين المعاصرين قد حاولوا صياغة تحليلات للطبقة الوسطى الجديدة يعتقدون أنها تشتق بشكل مباشر من ماركس بأكثر مما يمكن تصوره فى رأيى(٦).

ولكن ماذا عن الطبقات الجديدة والتقنيات الجديدة؟ هناك عدد من الكتاب المؤثرين، بعضهم يقترب من وجهة نظر ماركس ولكن غالبيتهم بعيدون عنه، أولوا اهتماماً خاصاً لأنواع معينة من التغيرات التكنولوجية كتغيرات مهمة فى التأثير على تشكيل المسارات المعاصرة للمجتمعات الرأسمالية. والتصور الأكثر انتشاراً فى هذا الصدد هو ذلك الذى يقول بأننا نتحرك صوب حقبة لا تسيطر عليها الصناعة التحويلية، كما كان الحال فى الماضى، وإنما تسيطر عليها **تكنولوجيا المعلومات**. ويتحدث هؤلاء الكتاب لا عن **مجتمع ما بعد الرأسمالية**، ولكن عن مجتمع، بعد الصناعة(٧).

وقد ذهب هؤلاء إلى أن الدور الذى يلعبه العلم فى الإنتاج الحديث،

واستخدام الحاسبات الآلية على ونطاق واسع، واستخدام التقنيات متناهية الصغر، كل هذا سوف يكون له آثار عميقة على النظام الاجتماعى القائم.

والحق أن هذه الآثار ممكنة، على الرغم من أن دخول التقنيات الدقيقة قد حدث مؤخراً لدرجة لا يمكن معها تقدير نتائجه بشكل دقيق. فالحديث عن **ثورة صناعية ثانية** ما يزال حديثاً سابقاً لأوانه. وفضلا عن ذلك فإن هناك اعتراضات قوية على فكرة أن النزعة الصناعية فى سبيلها إلى أن تفسح مكانها **لنمط جديد من المجتمع**، أى نظام "ما بعد الصناعة" الذى يختلف اختلافاً بيناً عن المجتمعات المعاصرة. ومن أهم الانتقادات التى وجهت إلى هذا الرأى أورد الانتقادات التالية:

(١) تعد فكرة المجتمع ما بعد الصناعى استمراراً لفكرة الحتمية التكنولوجية التى لا تبتعد كثيراً عن الشكل العام لنظرية المجتمع الصناعى. فكما أشرت من قبل يجب أن نكون حذرين بكل صور الحتمية عندما يجرى تطبيقها على الشئون الإنسانية. فأى نوع من التقنية لا يمكن دراسته دراسة كاملة بمعزل عن الأطر الاجتماعية التى يرتبط بها. وهذه الأطر ما تزال - فى المجتمعات الغربية - أطر رأسمالية فى الأساس.

(٢) يذهب بعض الكتاب إلى أن ولوج المجتمع ما بعد الصناعى يؤشر على ظهور طبقة حاكمة جديدة، تعتمد قوتها على التحكم فى المعلومات وليس على نصيبها من الملكية. وتلك فكرة ليست بجديدة فى جوهرها، فهى تعود إلى أوائل القرن التاسع عشر. إذ ذهب سان سيمون على سبيل المثال- إلى أن المجتمع الصناعى الجديد (آنذاك) سوف يحكمه تجمع من العلماء وخبراء التقنية. ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث، ورغم التقدم الحديث الذى تحقق فى ميدان تكنولوجيا المعلومات، ألا أن هذا الأمر من غير المحتمل حدوثه.

(٣) ويجب أن نفهم التغيرات الاجتماعية والاقتصادية المرتبطة بالتقنيات الجديدة فى سياق عالمى. كما سيوضح الفصل القادم والفصول التى تليه. فجانب كبير من الصناعة التحويلية التى تزود الغرب بنسبة كبيرة من سلعه تقع خارج هذه المجتمعات نفسها.

وتعد اليابان بالذات أبرز نموذج فى هذا الصدد، فقد تحولت فى حوالى ثلاثة عقود من بلد ينخفض مستوى اقتصاده نسبياً إلى أن تصبح الأمة التى يأتى ناتجها القومى الإجمالى فى الترتيب الثالث على مستوى العالم (بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى). وتصدر اليابان الآن من السلع أكثر بكثير مما تستورد، ويزيد معدل الاستثمار ومعدل النمو فيها مرتين عن الولايات المتحدة. ولقد أصبحت تحتل مكانة قيادية فى عدد من الصناعات التى كانت تحتكرها المجتمعات الغربية فى الأجيال السابقة

لقد تحدى اليابانيون بنجاح الطريق الذى اتبعته الولايات المتحدة للسيطرة على الصناعات الأساسية مثل إنتاج الصلب وصناعة السفن. لقد نجحت اليابان فى أن تستأثر من الولايات المتحدة وألمانيا بقيادة العالم فى مجال صناعة السيارات، ومن المملكة المتحدة وهولندا فى صناعة السلع الإلكترونية الاستهلاكية؛ ومن ألمانيا وسويسرا فى صناعة الكاميرات والساعات والبصريات[8]. ولكن وضع اليابان قد أصبح محل تساؤل بسبب التطورات الاقتصادية السريعة التى تشهدها أقطار شرقية أخرى، خاصة هونج كونجو وتايوان وكوريا الجنوبية.

فكما سنشير فى الفصل السابع من هذا الكتاب، فإن هذه التحولات لم تحدث سوى تغيرات طفيفة فى مظاهر عدم التوازن الأساسية التى توجد بين القطاعات المحظوظة والقطاعات المحرومة على مستوى العالم. ولكنها أدت إلى اندماج المجتمعات الغربية داخل نظام لتقسيم العمل الدولى يزداد تعقيداً يوماً بعد يوم. وفى ضوء ذلك فإن المجتمع ما بعد الصناعى الذى يعتقد أنه أخذ فى الظهور يحسن أن يوصف بأنه إعادة ترتيب لاقتصاد العالم، بحيث تعمل البلدان الرأسمالية المتقدمة كمركز إدارى لاقتصاد العالم (ولكنه مركز يخضع لعمليات تحول دائم على أى حال).

* * *

يتعين علينا بعد أن فرغنا من ذلك العرض أن نأخذ مأخذ الجد فكرة أن هناك تحولات أساسية تحدث الآن فى البناء الطبقى وفى طبيعة العمل فى المجتمعات الغربية. ويمكن القول بأن الاستخدام المتزايد لتكنولوجيا المعلومات سوف يغير باضطراد طابع العمل الذى يؤديه كثير من الناس، وسوف يساهم فى زيادة البطالة. وبالإضافة إلى ذلك فإن معظم الاقتصاديات العالمية واقعة فى براثن كساد مستمر، كما ارتفعت معدلات البطالة فى السنوات الأخيرة ارتفاعاً حاداً فى العديد من البلدان. ويذهب البعض - إزاء هذه الظواهر - إلى القول بأن المجتمعات الصناعية لن تعود مرة أخرى إلى اقتصاد "التشغيل الكامل"، على نحو ما كان عليه الحال فى معظمها خلال الستينيات. ويقدم لنا الشكل رقم (٣-١) مؤشراً على المستويات المتغيرة للبطالة فى عدد من المجتمعات الغربية.

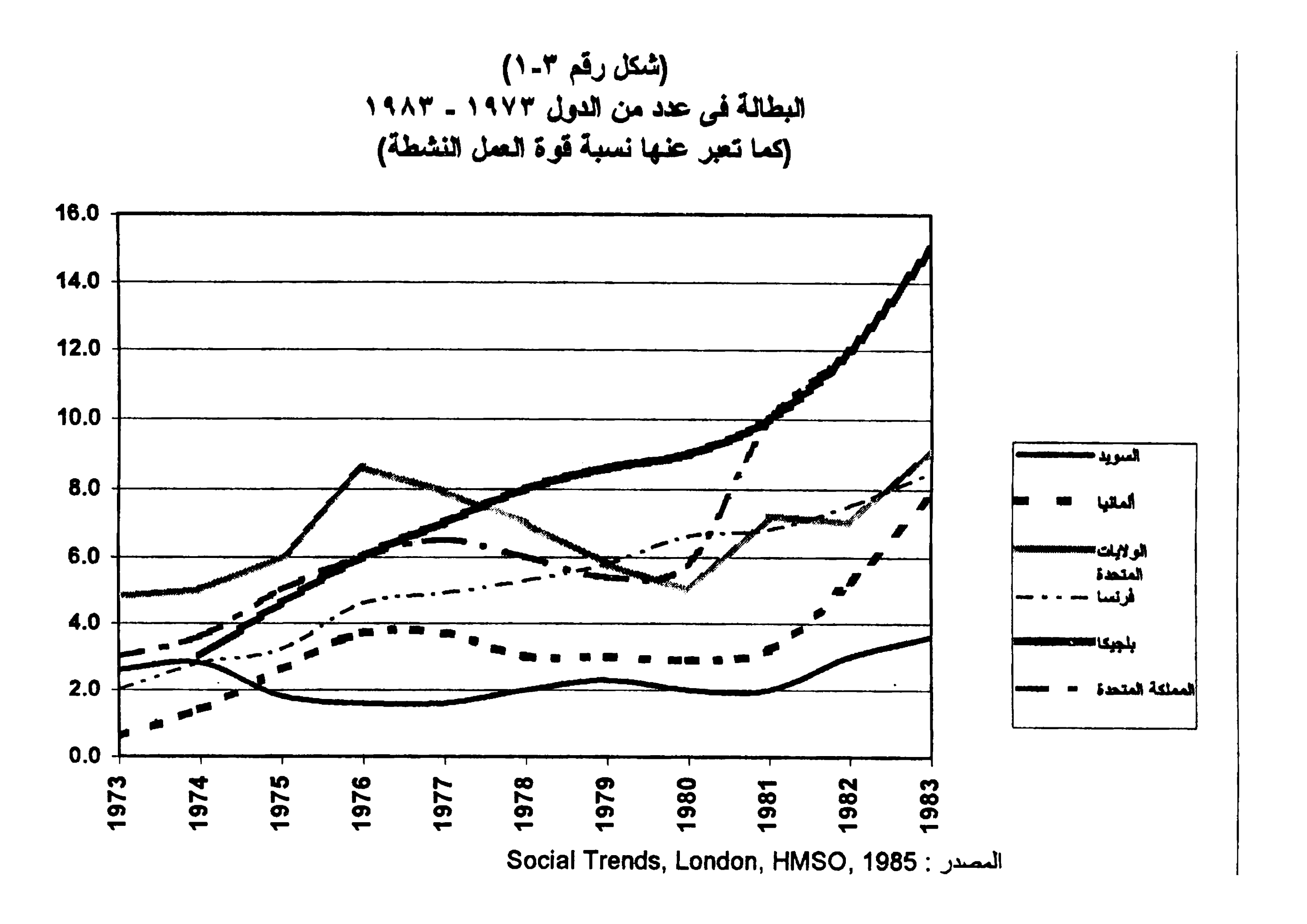
ولقد ظهر عدد التأويلات - التى يمكن أن نصفها بأنها تخيلية - لاتجاهات التطور فى البناء الطبقى فى البلدان الغربية فى ضوء الاستمرار المحتمل للمعدلات العالية من البطالة. ومن أظهر هذه التأويلات وأكثرها إثارة للجدل ذلك الذى قدمه الكاتب الفرنسى المعاصر جورز[٩].

ورغم أنه يكتب بوصفه راديكالياً وليس محافظاً، إلا أن جورز يذهب إلى أن مشروع التحول الثورى فى الرأسمالية - كما فهمه ماركس فى القرن التاسع عشر لم يعد موجوداً الآن. فبدلاً من أن تطيح البروليتاريا بالنظام الرأسمالى، فإن نضوج الرأسمالية قد أدى إلى التقليل - بشكل مضطرد -من دور الطبقة العاملة. ويقبل جورز الأطروحة القائلة بأن نسبة العمالة اليدوية إلى العمالة الكتابية (أو ذوى الياقات الزرقاء إلى ذوى الياقات البيضاء) تنخفض باستمرار. ولكنه أضاف إلى ذلك تأثير تكنولوجيا المعلومات، والتى اعتقد بأنها سوف تعمل على القضاء على جانب كبير من المهن اليدوية الحالية - بجانب إزاحتها للموظفين الذين يؤدون أعمالاً روتينية أيضا.

(شكل رقم ٣-١)

البطالة فى عدد من الدول ١٩٧٣ - ١٩٨٣

(كما تعبر عنها نسبة قوة العمل النشطة)



المصدر : Social Trends, London, HMSO, 1985

ومن ثم فإن نقد جورز للماركسية يختلف اختلافاً بيناً عن وجهة النظر التى قدمها دارندورف. فمن وجهة نظر ماركس - كما شرحها جورز على نحو ما - فإن احتمال قيام الطبقة العاملة بإقامة مجتمع إنسانى وعادل تكمن فى الإنتاج الوفير الذى تتيحه الرأسمالية الصناعية. ولكن الصناعات الحديثة قد ولدت قدرات إنتاجية خلقت من الثروة أكثر بكثير مما يلزم لسد الحاجات البشرية الأساسية. فثمة غموض فى مساحة الحرية فى ظل نظام الإنتاج الوفير ناتجة عن كوابح العمل القسرى؛ فالعمل سوف يصبح غاية فى حد ذاته، بحيث يصبح محكوماً فقط من خلال ما يحققه من رضا للمنتج. ومع ذلك فإن جورز يقول بأن التطور اللاحق للرأسمالية قد تجاوز هذه التوقعات تماماً. فقد أدت ممارسات رقابة العمل الصارمة من قبل الإدارة إلى القضاء على أى وعى لدى العمال لتحقيق أى إمكانية خلاقة للعمل. وترتبط كثير من المصانع الآن بعمليات إنتاجية قد تتعدى قارات مختلفة (انظر الفصل السابع من هذا الكتاب)، كما أن المصانع لم تعد منذ زمن مراكز رئيسية لصياغة السياسات وإصدار القرارات. ففى عصر الإنتاج ذى التكنولوجيا المعقدة والمستويات العالمية، أصبحت القوة الوحيدة التى يمكن أن يتمتع بها العمال فى مراكز الإنتاج المحلية هى قوة سلبية؛ وأعنى بها القدرة على تعويق سياسات الإدارة أو مبادراتها.

ولكن اتجاهات التغير التى أدت إلى التقليل من أهمية وجهة النظر الماركسية - وفقاً لما ذهب إليه جورز - قد فتحت آفاقاً جديدة لتحقيق بعض القيم التى تتوأم معها. فقد ذهب إلى أن:"النقطة الهامة الآن هى تحرير الذات من العمل من خلال رفض طبيعته ومضمونه وضرورته وأشكاله" (ص ٦٧ من كتاب جورز). فلم تعد القضية - كما ذهب ماركس - هى قضية إحراز الطبقة العاملة للقوة ولكن نيل الحرية لرفض دور "العامل" كلية. ولقد أدت هذه التطورات إلى استبدال ما أسماه جورز "التكوين اللاطبقى للجماعات اللاعمالية" أو البرولتياريا الجديدة بالطبقة العاملة. وتتكون هذه من أعداد غفيرة من الناس العاطلين كلية، أو الذين إن عملوا فإنهم يعملون فى مهن تفتقر إلى التنظيم، وهم يفتقدون إلى هوية طبقية محدودة، وينخفض لديهم مستوى الأمان الوظيفى.

وعلى المدى الطويل، وكنتيجة للتأثير المضطرد لتكنولوجيا المعلومـــات، فـــإن أعداد العاطلين سوف تتضخم أكثر فأكثر.

ولما كانت البروليتاريا الجديدة لا تشكل طبقة ولا يجمعها تناغم تنظيمـــى، فإنها لا يمكن أن تعد الآن بديلاً عن الطبقة العاملة فى النظرية الماركسية، فـهى لا تمتلك مهمة تاريخية لتغير النظام الاجتماعى. ولكن هذا الضعف الظـــاهر - كما يفترض جورز - هو مصدر القوة. فالذين يشكلون "اللاطبقة" ليس لديهم مـن مبررات لقبول الروح الإنتاجية للرأسمالية أو الاشتراكية بالشكل الذى تصـــوره ماركس. فهم يسعون أكثر فأكثر إلى البحث عن مصادر للرضا لا علاقـــة لـــها بالعمل أو مكان العمل. فتنوع أساليب الحياة - خارج مجال العمـــل - سـوف يكون محرراً للحياة فى المستقبل. فنحن نتحرك - كمـــا يذهب جورز - صوب مجتمع يقوم على الازدواجية. ففى قطاع سنجد الإدارة السياسية وإدارة الإنتـــاج على درجة من التنظيم الذى يستهدف تحقيق أعلى درجات الكفاءة. وفى قطـــاع آخر سنصادف مجالاً ينشغل فيه الأفراد بالسعى إلى كل ما تقودهم إليه المتعـــة وتحقيق الذات.

أما بالنسبة لأولئك الذين يعملون بالفعل - على ما يذهب جورز - فإننـــا نتوقع تخفيضاً أساسياً لمتوسط ساعات يوم العمل، ودخول صور من المشـــاركة فى العمل. وينظر غالبية العمال وأصحاب الأعمال - على حد ســـواء - إلـــى ظاهرة البطالة على أنها ظاهرة سلبية؛ ولكن هذه الوجهة من النظر تبدو قديمـة. فأخلاق العمل المنتج تفسح مكانها لنظرة جديدة نحو استخدام "الوقت الحر"، الذى لم يعد ينظر إليه على أنه هامشى فى الأنشطة اليومية. فنسبة كبيرة من العمـــال فى كثير من بلدان أوروبا لا تختار ساعات بدء العمل وانتهائه فحسب، ولكنـــها تختار أيضا حجم العمل الذى يؤدونه كل شهر. وثمة عدد من الاحتمالات يمكـن تصورها فى هذا الصدد منها: التقاعد المبكر فى أى سن، تأجيل التقاعد النـهائى من قوة العمل؛ إجازات التفرغ كالتى توجد الآن فى مجالات محدودة، وخاصـــة الجامعات؛ و "حسابات توفير الوقت" والتى من خلالها يستطيع الفرد الذى يدخـر كمية محددة من العمل فى وقت معين وأن يقلل من ساعات عمله فى وقت آخـر

دون أن يقلل من دخله.

ومن المفيد أن نقارن بين وجهات نظر جورز ووجهات نظر كتاب آخرين، مثل هيملستراند Himmelstran وزملائه(١٠).

لقد كتب هيملستراند حول كواليس مجتمع السويد؛ وهو المجتمع الذى استفاد من تكنولوجيا المعلومات استفادة تفوق أى مجتمع آخر. لقد أثنى كتاب هيملستراند على الظواهر التى اعتبرها جورز ظواهر بالية؛ فقد قدم تفسيراً ماركسياً صريحاً لإمكانية عملية التحول الاشتراكى التى تقودها الحركة العمالية. فهم لم يتردد فحسب فى أن يقول وداعاً للطبقة العاملة، ولكنه أنكر القول بأنها تتقلص من حيث الحجم النسبى، ورفض الرأى القائل بأن العمال قد انخرطوا على نحو سلبى فى الأجهزة التقنية للإنتاج. وتعد السويد من أكثر المجتمعات رفاهية من الناحية المادية، كما تعد من أوفى المجتمعات فى العالم حظاً من المساواة والتقدم التقنى- حيث يرتفع متوسط دخل الفرد فيها عن نظيره فى الولايات المتحدة. كما أنها دولة ظلت لما يقرب من نصف قرن محكومة بحزب عمالى؛ هو الحزب الديموقراطى الاشتراكى، ولقد مكنت هذه العوامل السويد، كما يذهب هيملستراند، من أن تتجاوز **رأسمالية ما بعد الرفاهية** إلى الاشتراكية ولا تشير الاشتراكية بفهم هيملستراند إلى شىء أشبه بنموذج الاشتراكية فى شرق أوروبا سابقاً، والتى يحط من قدرها، مثله فى ذلك مثل بقية الماركسيين الغربيين المعاصرين. فالأشياء التى يأمل أن تتحقق فى المستقبل ليست التوسع فى تأميم الصناعة أو العمل على إخضاع الإنتاج لنظام التخطيط المركزى. ولكنه يأمل أن يتحقق إمكانية حصول العمال على وسائل للرقابة الحقيقية على عمليات الإنتاج التى ينخرطون فيها؛ وهو الشىء الذى رفضه جورز كشىء يتعذر تحقيقه فى الصناعة الحديثة. وفضلاً عن ذلك يذهب هيملستراند إلى أن ما يتحدث عنه ليست رؤية لصاحب نظرة ثاقبة إلى المستقبل؛ ولكنها شىء فى سبيله إلى التحقيق فعلاً.

فالسويد تتمتع بمستوى بطالة منخفض مقارنة بمعظم الدول الأوروبية الأخرى. ولا يتطرق هيملستراند فى كتابه إلى الحديث عن زيادة الطبقة

البروليتارية الجديدة المكونة من العاطلين أو أنصاف العاطلين. إنما نجده يكتب عما يسميه **الطبقة العاملة الممتدة** – التى تشمل غالبية قوة العمل – التى يفترض فى أعضائها الاشتراك فى المصالح العامة التى تحققها لهم الإصلاحات الاشتراكية. وتتكون الطبقة العاملة الممتدة من كل الذين يؤدون أعمالاً روتينية، بما فى ذلك الموظفين من المستويات الدنيا وعمال الخدمات بجانب العمال ذوى الياقات الزرقاء. ولقد حاول أن يوضح أنه طبقاً لمؤشرات الوعى الطبقى فإن البروليتاريا – كما تتمثل فى الطبقة العاملة الممتدة – ليست حقيقة قائمة فحسب، ولكنها تناضل أيضا؛ فالظروف الموجودة فى السويد، وربما فى مجتمعات أخرى متقدمة صناعياً تعمل على تطوير برامج تتجاوز المفاوضات النقابية المعتادة إلى شكل أشمل من عملية إعادة البناء الاجتماعى. ويلفت الانتباه – على وجه الخصوص – إلى المقترحات المتصلة بإدخال نظام صناديق تمويل الأجور إلى الصناعة، وهى مقترحات أقرها الديموقراطيون الاشتراكيون. وبالرغم من أن هذا النظام يتخذ صوراً عديدة، إلا أنها جميعاً تتضمن مبدأ المشاركة فى الأرباح. حيث يتحول جزء من أرباح الشركة إلى العمال فى الشركة كل عام، وكذلك إلى صناديق تمويل التنمية الإقليمية والوطنية. ويمكن أن تؤدى هذه العملية إلى التأثير الإيجابى على التحول فى علاقة القوة بين العمال وأصحاب العمل، كما أنها تعد مكوناً من مكونات مشروعات الديموقراطية الصناعية.

كيف يمكن إذن أن توجد مثل هذه الخلافات الكبيرة فى وجهات النظر بين كاتبين يكتب كل منهم عن التحولات المعاصرة فى البناء الطبقى فى المجتمعات الغربية؟ إن إحدى الإجابات على هذا السؤال تتمثل بوضوح فى أن هيملستراند يكتب عن تجربة السويد أساساً، حتى وإن كان يفترض أن دلالات كتابته يمكن ألا تقتصر على هذا المجتمع وحده، بينما يتخذ جورز من فرنسا نقطة مرجعية له. ولكن هناك أيضا اختلافات جوهرية بين الكاتبين فيما يتصل بنتائج التغيرات المعاصرة التى نشهدها فى التنظيم الصناعى وفى البناء الطبقى. ويتعلق أحد هذه الاختلافات بما إذا كانت الطبقة العاملة آخذه فى الاختفاء (كما يذهب جورز) أو آخذة فى الاتساع (كما يذهب هيملستراند) داخل النسق المهنى للمجتمعات

الغربية.

وتتصل المناقشة التى قدمتها فى الفصل الثالث من كتابنا هذا بهذا السؤال. ويبدو أن وجهة نظر كل من الكاتبين تفتقر إلى الصحة. فمن ناحية نجد أن العديد من المجتمعات الغربية، والتى تضم الولايات المتحدة، والمملكة المتحدة، وفرنسا، وألمانيا، تشهد تقلص الصناعات "القديمة" مثل تعدين الفحم والحديد وصناعة الصلب. فبعض هذا الإنتاج – وكما أشرنا من قبل – قد تم توطينه في بلدان أخرى فى الشرق الأقصى. كما نلاحظ ومن ناحية أخرى أن الحجم النسبي المتقلص لهذه الصناعات قد تم تعويضه بنمو الصناعات الخدمية المتعلقة – مثلاً – بالفنادق والمطاعم والسياحة فغالبية الوظائف فى هذه الصناعات الجديدة هى من النوع غير الماهر أو شبه الماهر، وهى وظائف لا يمكن – كما أشرت من قبل – أن تحتسب داخل الطبقة الوسطى. ولكن هذه الفئات من الأفراد لا تميل إلى الاندماج فى العمال ذوى الياقات الزرقاء لتشكيل ما أسماه هيملستراند بالطبقة العاملة الممتدة. فالصورة تبدو على درجة من التنوع نلمس فيها وجود تباين جوهرى بين البنى الطبقة فى المجتمعات المختلفة، وكذلك داخل البناء الطبقى الواحد.

ولا تعتمد وجهة نظر جورز على تقلص أهمية الطبقة العاملة من ذوى الياقات الزرقاء فحسب، ولكنها تعتمد أيضا على الصلة المفترضة بين تكنولوجيا المعلومات والبطالة، جنباً إلى جنبٍ مع القول بأن معدلات البطالة العالية سوف تظل قائمة فى المستقبل. ولكن كلاً من هذه الادعاءات قابل للنقاش. فمن الواضح أن تكنولوجيا الإليكترونيات الدقيقة، خاصة عندما ترتبط بعمليات الأتمتة (الآلية) التى كانت تنجز فيما مضى بواسطة العمل البشرى، يمكن أن تؤدى إلى توفير العمل فى المواقع التى تدخل مباشرة فيها. ولكن تبقى القضية المرتبطة بمدى تأثير هذه العمليات، ومدى استمرارها فى علاقتها بالاقتصاد ككل، تبقى قضية خلافية إلى حد كبير. إذ يذهب البعض – مثل جورز – إلى القول بأن الأتمتة (الآلية) تؤدى على تقليص فرص العمالة. ولكن يمكن القول – من ناحية أخرى – بأن نشر تكنولوجيا – المعلومات سوف يخلق على المدى القصير أو البعيد

وظائف جديدة، مع تغير أنماط الطلب. ومن السهولة بمكان أن نفكر في طرائق يمكن من خلالها أن يخلق انتشار استخدام التكنولوجيا الدقيقة فرصاً للتشغيل مثلما نفكر فى عكس ذلك. فالمنتجات الأرخص والأكثر انتشاراً بين الناس من المنتجات القائمة يمكن أن تخلق طلباً على أنواع جديدة من السلع؛ كما أن هناك إمكانية لظهور منتجات جديدة أو فتح آفاق خدمات جديدة؛ ويمكن أن تستعيد قطاعات الصناعة التى تعانى من مصاعب مالية تحد من قدرتها على تحقيق أرباح.

من هنا يظل كل هذا – بالضرورة – أكثر إشكالية وأقل قابلية للتنبؤ مما يستطيع كثير من الكتاب. فيجب أن ننظر إلى المعدلات المرتفعة من البطالة على خلفية التراجع الذى سببته أزمة النفط فى عامى ١٩٧٣ و ١٩٧٤، وغير ذلك من العوامل التى تميل إلى إنتاج الكساد. فالقول بأن معدلات البطالة سوف تظل مرتفعة أو سوف تزداد ارتفاعاً فى غالبية المجتمعات الغربية فى المستقبل القريب هو قول يتجاوز بالضرورة حدود الإمكانية. ولكن ذلك لا يبدو بدرجة الحتمية التى يصورها كثير من المراقبين الآن. ففى الستينيات، وهى حقبة الانتعاش فى كل البلدان الغربية، كان كل الناس تقريباً يتصورون أن التشغيل الكامل سوف يظل قائماً. لذلك يتعين علينا أن نحذر استخدام نفس النمط من التفكير التعميمى فى عكس هذه القضية الآن.

ويلاحظ القارئ أن هذه الملاحظات تعتمد على الأساس الإمبيريقى للآراء التى قدمها كل من جورز وهيملستراند. ولكن يبدو من الواضح أنهما لم يحلا القضية المتعلقة بما إذا كان سيناريو كالذى رسمه ماركس منذ أكثر من قرن من الزمان سوف يظل محتفظاً بأهميته بالنسبة للبرامج التى يجرى الدفاع عنها الآن. إن المشكلات الكامنة هنا تتجاوز القضايا التى تناولناها فى هذا الكتاب حتى الآن، وسوف أعود إليها فى الفصل الختامى.

المراجع

1- Micheal Useem, The Inner Circle, New York Oxpnd University Press, 1984. Chapter 2.

2- Edward S. Herman, Corporate Control Corporate Power, Cambridge, Cambridge University Press, 1981.

3- T. H. Marshall, "Citizenship and Social Class" In: Class, Citizenship and Social Development, Westpont, Greenwood, 1973 (Originally Published 1950)

4- Karl Marx, Theories of Surplus Value, London, Lawrence and Wishart, 1969, Vol . 2.p. 573.

5- Anthony Giddens, The Class Structure of The Advanced Societies, London, Hutchinson, 1979, p. 288.

6- E.O Wright, Class, Crisis and The State, London, New Left Books, 1978. Ch. 3.

٧- الاطلاع عل صورتين مختلفتين من هذه الأفكار انظر:

-Daniel Bell, The Coming Post - Industrial Society, New York: Basic Books, 1973.

Alain Touraine, The Post- Industrial Society, New York Random House, 1971.

8- Ezra, F. Vogel, Japan as Number One: Lessons For America, Cambridge, Mass., Harverd University Press, 1979.

9- Amdre Gorz, Farewell to The Working Class, London, Pluto, 1982.

10- Himmelstran., et al., Beyond Welfare Capitalism, London, Heinmann, 1981.

الفصل الرابع

الدولة الحديثة

ثمة مجموعة هامة من التغيرات التى ظهرت خلال القرن التاسع عشر، والتى أشرت إليها حتى الآن على عجالة؛ وهى تتعلق بالدور المتزايد للدولة فى الحياة الاجتماعية. ويمكن توثيق التوسيع فى أنشطة الدولة بطرق عديدة. فعلى المستوى الاقتصادى، أصبحت الدولة فى المجتمعات الرأسمالية تلعب دوراً مباشراً فى مراقبة النشاط الإنتاجى. وتستخدم الدولة فى معظم هذه البلدان أكثر من ٤٠% من قوة العمل النشطة اقتصادياً، ممن يعملون إما فى داخل أجهزتها الإدارية أو فى الصناعات التى تم تأميمها. كما حاولت الدول أيضا أن تتدخل أكثر فأكثر فى النشاط الاقتصادى عن طريق التأثير فى العرض والطلب المتعلق بالسلع، والاضطلاع بالتخطيط الاقتصادى، ورسم سياسات الأسعار والدخل ... إلخ. ولكن الدولة تدخلت أيضا فى جوانب أخرى عديدة من الحياة الاجتماعية؛ فهى تشارك فى تأسيس وحماية السجون، والملاجىء، والمستشفيات، وتقديم عدد من الخدمات التى تندرج تحت ما يسمى بالرعاية أو الرفاهية.

وفى ضوء هذه الخلفية يكون من المدهش حقاً أن يتعرض موضوع الدولة للإهمال الشديد فى علم الاجتماع - على الأقل حتى وقت قريب - سواء من جانب الماركسيين أو غيرهم. ولقد كان هذا الوضع - جزئياً - نتيجة لتقسيم عمل غير موفق وخاطئ فى حقل العلوم الاجتماعية. فلقد كان مفهوماً أن هدف علم الاجتماع هو دراسة "المجتمع" بالمعنى الذى كان يطلقه مفكرو القرن التاسع عشر على **المجتمع المدنى**؛ أى الاقتصاد والأسرة وكل المؤسسات الأخرى فيما عدا الدولة. ومن هنا ترك موضوع دراسة وتحليل الدولة كميدان متخصص للسياسة أو لعلم السياسة. كما أن تجنب دراسة الدولة له جذور فكرية

أعمق ترجع إلى القرن التاسع عشر. فعلم الاجتماع الماركسى وغير الماركسى يضرب بجذوره إلى التراث النقدى للنظرية الاقتصادية الكلاسيكية. ولم تكن هذه النظرية تهتم بدور الدولة إلا فى النذر اليسير. ففى رأى علماء الاقتصاد الأوائل، أن أهم القوى المحركة للتغير الاجتماعي تتركز فى الإنتاج، ومن ثم فى نطاق المجتمع المدنى. وتقدم الدولة إطاراً قانونياً يضمن العقود الاقتصادية ورعاية مصالح الجماعة بصفة عامة.

ولم يقتنع المفكرون اللاحقون بهذا الموقف. وأضحت الدولة بالنسبة للعلماء الذين يشكلون التيار الفكرى الرئيسى فى علم الاجتماع (ربما نشير هنا مرة أخرى إلى دوركايم) تلعب دوراً مهما وأكثر إيجابية مما تصور علماء الاقتصاد الأوائل. فامتداد أنشطة الدولة هو عنصر أساسى فى تطور النظام الاجتماعى العام الملتزم بالإصلاح الاجتماعى التقدمى. ودرست الدولة فى هذه الحالة باعتبارها مجموعة من المؤسسات النافعة التى تضطلع بشكل مباشر بمهمة التقليل من مظاهر الانقسام الطبقى واللامساواة الطبقية. وعلى النقيض من ذلك ذهبت وجهة نظر ماركس إلى القول بأن الاقتصاديين قد فشلوا فى اكتشاف الطابع الطبقى للدولة. فبدلاً من القول بأن الدولة هى أداة لحل الانقسامات الطبقية، قيل أن الدولة لها دور فى دعم هذه الانقسامات والمحافظة عليها، عن طريق حماية مصالح الطبقة المسيطرة ضد الطبقات الأخرى فى المجتمع. ولكن الدولة لم تتحول إلى موضوع للدراسة المنهجية فى أى من التيارين الفكريين لدور كايم وماركس. فقد ذهب الماركسيون وغير الماركسيين على حد سواء إلى القول بأن التأثيرات المفترضة لأنشطة الدولة هى محور الاهتمام، وليست الدولة فى حد ذاتها. والواقع أن ماركس نفسه لم يترك سوى نصوص متفرقة حول الدولة، فقد ركز جل قواه فى نقد النظرية الاقتصادية المبكرة مستخدماً نفس مفاهيمها وأعنى العلاقات الداخلة فى الإنتاج الرأسمالى.

* * *

ومع ذلك فقد تحولت الدولة الحديثة خلال سبعينيات وثمانينيات القرن الماضى إلى موضوع للمناقشة الحية، خاصة بين الكتاب الماركسيين. فقد أصبح الماركسيون أكثر وعياً بالطابع الأولى غير المكتمل للكتابات الماركسية حول الدولة، وحاولوا أن يفسروا دلالاتها على نحو أكثر تفصيلاً. ويعتبر كتاب ميليباند – فى الواقع – من أول الإسهامات فى هذا الاهتمام المتجدد بالدولة. ومن الكتاب الآخرين ذوى الحيثية فى هذا الصدد نذكر كل من بولانتزاس وأوفا(١).

ولقد دخل ميليباند وبولانتزاس فى سلسلة من الحوارات المباشرة حول الطريقة التى يجب أن تدرس بها الدولة؛ وسوف أعلق على هذه الحوارات بشكل مختصر فيما يلى.

يمكن تلخيص الإشارات المختلفة التى كتبها ماركس حول الدولة الرأسمالية بطريقتين. فقد تحدث ماركس فى بعض المواضع كما لو كانت الدولة هى أداة الحكم الطبقى، تتحكم فيها الطبقة الرأسمالية على نحو مباشر. فهناك نص على سبيل المثال يتحدث فيه ماركس عن الدولة بوصفها "الهيئة التنفيذية للبورجوازية". ولكن هناك سياقات أخرى يميل فيها ماركس إلى القول بأن الطابع الطبقى للدولة يشتمل على حقيقة أن الدولة تحمى مجتمع الإنتاج الرأسمالى ككل. وبالرغم مما يبدو للوهلة الأولى، فإن هناك خلافات جوهرية بين هذين الرأيين. ويتضمن الرأى الأول القول بأن الطبقة المسيطرة هى تكوين اجتماعى متجانس، وأن هذه الطبقة تستخدم الدولة لخدمة إرادتها. وبالتالى فإن هذا الموقف يسهل مهاجمته، وأن هذا النوع من التصور هو ما تم تحديه من قبل الكتاب أنصار المذهب التعددى. فطبقاً للتفسير التعددى، والذى يتفق مع أراء كتلك التى عبر عنها دارندورف وغيره من أنصار نظرية المجتمع الصناعى، لا توجد فى المجتمعات الصناعية طبقة حاكمة متجانسة. فهناك بدلاً من ذلك مجموعة من جماعات الصفوة المتنوعة أو المتعددة لا تتمتع كل منها إلا بقوة

محدودة فقط للتأثير على السياسات الحكومية.

أما الرأى الثانى المستمد من آراء ماركس فيعترف بوجود انقسامات وانشقاقات مهمة داخل الدوائر الحاكمة، فى مجتمع يظل مجتمعاً طبقياً. ولقد طور بولانتزاس هذا الموقف فى كتاباته عن الدولة - وإن كان قد عبر عنه فى أسلوب غامض، وبطريقة تستحق النقد. ففى التأويل الأول لموقف ماركس المشار إليه آنفاً، تبدو الدولة وكأنها تخضع لهيمنة الطبقة الحاكمة. ولكن بولانتزاس يرى أن للدولة ما أسماه بالاستقلال النسبى عن الطبقة الرأسمالية، التى تنقسم بدورها من الداخل. ويعنى ذلك أن الدولة تتمتع بقدر من القوة المستقلة، ولكن هذا الاستقلال ليس إلا بدرجة معينة؛ وأن هذه القوة تستخدم للمحافظة على الإطار النظامى العام للمشروع الرأسمالى. فالدولة يمكن أن تبادر بممارسة سياسات تتعارض مع المصالح قصيرة الأمد لبعض الجماعات الرأسمالية، من أجل أن تحمى المصلحة طويلة الأجل المتعلقة باستمرار النظام ككل. والمثال على ذلك يتجسد فى حالة تقديم الدولة لتشريعات مضادة لاتحادات رجال الأعمال بحيث تلقى معارضة قادة رجال الأعمال الذين يرغبون فى دمج شركات فى قطاع اقتصادى بعينه.

والحق أن هذا النوع من تحليل الدولة هو - بالتأكيد - أكثر دقة من تلك التحليلات التى بنيت على التفسير "الأداتى" للماركسية. وينظر بولانتزاس إلى كتاب ميليباند على أنه يندرج ضمن هذا النوع من التحليل، ومن ثم فقد شن عليه هجوماً نقدياً. فقد اهتم ميليباند - هكذا يقول بولانتزاس - اهتماما فائقاً بالتأكيد على أن جماعات الصفوة (النخب السياسية) فى المجتمعات الرأسمالية تشترك فى أصول تعليمية واحدة، وتقوم بينها علاقات أسرية وعلاقات صداقة. فقد تصدى ميليباند لنظرية المجتمع الصناعى، والنظرية التعددية السياسية، معتمداً على نفس أسسها، محاولاً أن يؤكد وجود طبقة متجانسة فى الحكم. ولكن وجود انقسامات فى الدوائر العليا للحكم لا يدل فى رأى بولانتزاس على أن هيمنة الطبقة الرأسمالية قد تقلصت. فهذه الانقسامات هى انقسامات طبيعية على أى حال. فالقضية ذات الأهمية الحاسمة هنا هى أن الآليات النظامية للإنتاج

الرأسمالى تظل كما هى.

وبالرغم من أن المناظرة بين بولانتزاس وميليباند لا يمكن اعتبارها مفيدة أو مثمرة - فكلاهما كان يتحدث متجاوزاً الآخر - إلا أنها ألقت الضوء على عدد من القضايا الهامة التى قدمت بها كتابى هذا. فبالنسبة للموقف العام لبولانتزاس، فإنه بالرغم من توجهه الماركسى، إلا أنه يتفق إلى حد بعيد مع بعض العناصر التى انتقدتها فى نموذج علم الاجتماع. فنموذج بولانتزاس الذى تأثر بقوة بالماركسية البنائية للفيلسوف الفرنسى المعاصر لويس التوسير، ينظر إلى الفاعلين الاجتماعيين على أنهم يعبرون عن أنماط الإنتاج. وبعبارة أخرى فإن الفعل البشرى يفسر بوصفه محصلة للأسباب الاجتماعية. إن الكائنات البشرية لا تبدو هنا كفاعلين قادرين على المعرفة؛ فلم يتم التعبير عن انخراطهم المزدوج فى المجتمع. ولذلك فقد انتقد ميليباند بولانتزاس لسقوطه فيما أسماه نوعاً من "الحتمية البنائية المفرطة" بصرف النظر عن نواحى الصواب والخطأ الأخرى فى الخلاف بينهما[٢].

دعنى أفصل قليلاً فى هذه النقطة، فبجانب أهميتها فى إلقاء الضوء على المسائل النظرية التى ناقشناها فى الفصل الأول، فإنها ترتبط ارتباطاً مباشراً بقضية الدولة. فكيف تحقق الدولة هذا "الاستقلال النسبى" الذى تحدث عنه بولانتزاس؛ ومما يتكون؟ الملاحظ أن إجابات بولانتزاس على هذين السؤالين جاءت غامضة ومضللة فليس واضحاً ما هى الأسس التى يقوم عليها هذا الاستقلال النسبى للدولة، أو كيف يكون نسبياً، أو ما هو النسبى فيه؟ فى رأيى أن بمقدورنا أن الإجابة على هذه الأسئلة، ولن يتم ذلك إلا من خلال الابتعاد عن الموقف الحتمى الذى تبناه بولانتزاس. إن أفضل طريقة لتوضيح بعض الملامح الخاصة للدولة الرأسمالية تتحقق بعقد مقارنة بينها وبين أنماط الدولة الأخرى التى وجدت فى التاريخ؛ الدول الزراعية أو الإمبراطوريات. ففى تلك الأخيرة كان الأشخاص الذين ينتمون إلى الطبقة الحاكمة هم أنفسهم الذين يشكلون جهاز الحكم الرسمى؛ فقد كانت الدولة والطبقة المسيطرة شيئاً واحداً. ولكن الوضع يختلف عن ذلك فى المجتمع الرأسمالى: فأعضاء الطبقة المسيطرة - أى كبار

رجال الأعمال أو الصناعة – لا يشاركون بشكل مباشر فى الحكومة إلا فيما ندر. ولكن الغالب الأعم أن تكون القيادة الصناعية والحكم الرسمى للدولة منفصلين عن بعضهما البعض من الناحية المؤسسية. "فالطبقة الحاكمة فى الرأسمالية لا تحكم" إذا استخدمنا العبارة التى قالها واحد من الماركسيين فى بداية القرن هو كارل كاوتسكى. ولقد كانت الصورتان اللتان تحدث بهما ماركس عن الدولة تسايران هذا المعنى إلى حد ما، ولكن الدلالات الكامنة فى هذا المعنى يمكن استخلاصها على نحو من شأنه أن يلقى الضوء على فكرة الاستقلال النسبى.

إن الدولة فى الرأسمالية تعتمد فى عوائدها على ضمان أداء ناجح للأعمال؛ فهى لا تستطيع أن تبقى إذا لم تنتصر لازدهار المشروع الصناعى، والذى لا تتحكم فيه بشكل مباشر، فهذا التحكم هو مجال الطبقة الرأسمالية. أما استقلال الفعل من جانب الحكم الرسمى للدولة فإنه يكون محدوداً باعتماده على المشروع الرأسمالى. وهذا هو الوضع المؤسس لاستقلال الدولة، وهو فى نفس الوقت المصدر الرئيسى للطابع النسبى أو المحدود لهذا الاستقلال. ومع ذلك فإن أيا من هاتين الظاهرتين (الاستقلال أو الاستقلال النسبى) لا يمكن، ولا يجب، أن يفسر بصورة ميكانيكية. ثم كان الانخراط المتزايد للدولة فى الحياة الاقتصادية جزءاً لا يتجزأ من محاولات موظفى الدولة التأثير فى الأداء العام للمشروع الاقتصادى. ولم يكن الماركسيون فقط هم الذين كانوا على وعى بالأزمات والفترات التى يتعرض لها الاقتصاد الرأسمالى. فقد كان رجال الدولة واعين بذلك شأنهم شأن أى أحد آخر، وكان شغلهم الشاغل هو الانخراط فى البحث عن طريقه لإدارة الاقتصاد.

عند هذا الحد يتفق هذا التحليل مع أراء بولانتزاس، على الرغم من أنه قد تم التعبير عنه بمصطلحات تختلف عن تلك التى يفضلها هو. ولكن هناك – مع ذلك – عنصر آخر فائق الأهمية فيما يتعلق باستقلال الدولة. ويتصل ذلك بقوة الطبقة العاملة المنظمة نفسها – كما يتم التعبير عنها – كقوة نقابية وفى تأثير أحزاب العمال أو الأحزاب الاشتراكية على سلوك الحكومة. وقد أوضح

بولانتزاس لماذا تتعارض الدولة والطبقة الرأسمالية عادة فى ضوء الانقسامات داخل الطبقة الرأسمالية؛ حيث يمكن أن تفضل سياسات الدولة أحد قطاعات رأس المال عن قطاعات أخرى. ولكن على الدولة أيضاً أن تحاول التكيف مع تأثير العمل المنظم. فإذا لم يكن هذا مهماً فى السنوات الأولى للرأسمالية الصناعية؛ فإن الوضع يختلف الآن. فالصراعات والتغيرات التى شرحتها فى الفصل السابق لم تدمج الطبقة العاملة فحسب فى المؤسسات الاقتصادية والسياسية التى ظلت دون تغير؛ بل إن حقوق المواطنة التى تم اكتسابها قد غيرت توازن القوة فى الدولة، حتى وإن لم تؤد إلى التغيرات الثورية القوية التى تنبأ بها ماركس.

ويمكن أن تعد كتابات أوفا فى هذا الصدد تصحيحاً لمزاعم بولانتزاس. فقد ذهب أوفا إلى القول بأن الدولة لا يمكن أن تفهم فهماً كافياً فى الصورتين اللتين قدمهما ماركس، على الرغم من أن الثانية أقرب إلى الصواب من الأولى. فالدولة تقف فى حقيقة الأمر بين تأثيرين متعارضين ومتناقضين. فالدولة الحديثة تلتزم بعدد من الإجراءات والتدابير - التى تضم الرفاهية الاجتماعية وعدداً آخر من الخدمات - التى تطبق على الجماعة ككل. ولكن مهما حاولت الدولة أن تتحكم فى النمو الاقتصادى، فإن دخلها يعتمد بالأساس على الثورة التى تتولد من رأس المال الخاص ومن عمل الشركات الكبيرة؛ أى تعتمد على عمليات لا تتحكم فيها على نحو مباشر. فالخدمات التى تنظمها الدولة يتم تمويلها مباشرة من خلال الضرائب. ولكن أولئك الذين يتحكمون فى الحياة الاقتصادية - قادة رجال الأعمال أو الطبقة الرأسمالية - تميل إلى مقاومة محاولات الدولة لتأمين الدخل اللازم لتمويل هذه الخدمات المجتمعة. ويرجع السبب فى ذلك إلى أنه بالرغم من أن بعض هذه الخدمات تحتاجها الطبقة المسيطرة مثلما يحتاجها بقية الشعب نذكر على سبيل المثال إنشاء شبكة من الطرق الجيدة وصيانتها، إلا أن الكثير منها - مثل خدمات الرعاية الاجتماعية لا تستفيد منها إلا الفئات الدنيا من المجتمع.

وتكون النتيجة - فى رأى أوفا - حدوث توتر مباشر بين ما يسميه تسليع

(إضفاء الطابع السلعى) Commodification العلاقات الاجتماعية أو نزع الطابع السلعى عنها. والسلعة هى أى منتج أو خدمة يمكن أن تباع وتشترى؛ ومن ثم فإن العلاقة التى يتم تسليعها هى العلاقة التى يحدد لها سعر، أى علاقة يمكن تسويقها. أما نزع الطابع السلعى عن العلاقة فيعنى إخراج العلاقات الاجتماعية من السوق، وتنظيمها فى ضوء معايير غير اقتصادية. وتحاول الأحزاب الاشتراكية والعمالية بشكل عام أن تنتهج سياسات تنشر العلاقات التى يتم نزع الطابع السلعى عنها، والمثال على ذلك تحسين الفرص التعليمية أو العلاج المجانى لكل فرد. وفى مقابل ذلك تستمد الأحزاب المحافظة على الجانب الأكبر من دعمها من الطبقتين الوسطى أو العليا، ومن ثم فهى تحاول أن تحافظ على العلاقات ذات الطابع السلعى، أو تعيد دمجها فى الإطار السلعى. وهذا هو الحال فيما يتعلق – على سبيل المثال – بالسياسات الحكومية التى تستهدف توفير تكاليف التعليم من خلال مشروعات الاقتراض أو التى تعمل على توسيع ميدان العلاج الطبى الخاص.

ويتفق موقف أوفا بشكل عام مع المناقشة المتعلقة بأهمية حقوق المواطنة وطبيعة دولة الرفاهية والتى استعرضها الفصل السابق. لقد حاول منظرو المجتمع الصناعى معاملة الظواهر كظواهر مكتملة ساعدت على تحقيق نظام صناعى ديموقراطى ليبرالى مستقر؛ كما نظروا إليها على أنها أدت إلى تذويب الصراع الطبقى بشكل فعال بصورة قريبة من تحليلات ماركس. ولكن هذه الظواهر – لو أنى كنت على صواب – قد أدت إلى زيادة الصراع الطبقى وليس إلى التقليل منه؛ ومن هنا فإن دولة الرفاهية تمثل حلاً هامشياً نسبياً. وفى جو سياسى يسود فيه الاتجاه المحافظ مثلما هو الحال الآن، يمكن رؤية ذلك بشكل أيسر مما كان ممكنا منذ عقد أو عقدين ماضيين، لأن بعض الحكومات المحافظة الحالية قد قامت بمحاولة منظمة لإعادة تسليع بعض خدمات الرعاية على نحو يفوق بكثير ما كنا نعهده منذ وقت طويل.

* * *

الدولة والبيروقراطية

إذا كان الكتاب الماركسيون قد ساهموا بشكل جوهرى فى تحليل الدولة المعاصرة على النحو الذى أشرنا إليه، فإن هناك ميدانين يظهر فيهما عدم كفاية مناقشاتهم. الأول يتعلق بالرابطة بين الدولة والبيروقراطية، وبشكل عام بينها وبين السلطة (القوة) الإدارية؛ أما الثانى فيرتبط بالعلاقة بين الدولة والأمة، وعلاقة الدولة – الأمة (الدولة الوطنية) بالقوة العسكرية والعنف. كما أننا لا نستطيع أيضا أن نرجع على نظرية المجتمع الصناعى لنلتمس منها دليلاً لكيفية التعامل مع هذه القضايا، وذلك لأنها انشغلت بالمصادر الفكرية التى نهلت منها الماركسية.

ومع ذلك فهناك شخصية بارزة فى النظرية الاجتماعية تصلح أفكاره لتقديم مصدر لمقاربة هذه القضايا وأقصد به ماكس فيبر. فقبل فيبر كان مصطلح "البيروقراطية" يستخدم بشكل عام كمرادف لبيروقراطية الدولة، أى إلى الإشارة إلى أجهزة الدولة. واستمرت كتابات ماكس فيبر حول البيروقراطية للاهتمام بالدولة فى المقام الأول، ولكنه وسع المفهوم بحيث أصبح يشير إلى أى صورة من صور التنظيم الواسع النطاق. وزعم فيبر أن انتشار البيروقراطية يرتبط أوثق الارتباط باتساع النظام الرأسمالى. وتوجد الرابطة بين الاثنين فيما أسماه ماكس فيبر "المعايير القانونية الرشيدة". فأحد الملامح المميزة للمشروع الاقتصادى الرأسمالى – كما يرى فيبر – هى طبيعته الروتينية؛ فالإنتاج يعتمد على حساب الأرباح والتكاليف، فى علاقتها بمدخلات المواد الخام وقوة العمل، ومخرجات السلع. ولا يمكن أن تظهر هذه الصورة القائمة على الروتين إلا من خلال تبنى معايير وقواعد لا شخصية تحدد الإجراءات وتجعل عملية الحساب الاقتصادى الدقيق أمراً ممكناً. وذهب فيبر إلى القول بأن توافق بداية المشروع الرأسمالى فى أوروبا مع اختراع نظام المحاسبات ذى الخانات المزدوجة لم يكن صدفة؛ فقد كان هذا النظام هو الوسيلة الواقعية للحساب الاقتصادى اللازم للنشاط الاقتصادى الروتينى.

ويمكن للمعايير القانونية الرشيدة أن تقود المشروع الرأسمالى، ولكن لها – كما يذهب فيبر – تطبيقات أوسع فى إدارة التنظيمات البيروقراطية بعامة. أما فى نطاق الدولة، فإن التنظيمات البيروقراطية تدخل فى تشكيل أجهزة القانون الرسمى المكتوب؛ وفى تنظيمات أخرى تدخل عن طريق الإجراءات والقواعد الرسمية بصورها المختلفة. ويتسم التنظيم البيروقراطى بعدد من الخصائص المميزة. ويعد تصوير ماكس فيبر لهذه الخصائص فى كتابه "الاقتصاد والمجتمع" بمثابة نمط مثالى. وقد لعب مفهومه هذا عن النمط المثالى دوراً محورياً فى مدخله إلى العلوم الاجتماعية(*). ومفهوم النمط المثالى هو "مبالغة مقصودة" لبعض جوانب من الواقع، يمكن أن تستخلص ليتم مقارنة الواقع بها بعد ذلك. ومن ثم فإن صياغة فيبر للنمط المثالى للبيروقراطية يحصر عدداً من الخصائص التى توجد على نحو نادر – هذا إن وجدت أصلاً – فى الصورة المتطورة لأى تنظيم واقعى(٣). تضم البيروقراطية تدرجاً هرمياً للسلطة، يقوم على مستويات الواجبات الرسمية؛ كما أن الذين يمارسون أدواراً رسمية هم من الموظفين مدفوعى الأجر، يعملون كل الوقت، ويحملون مؤهلات رسمية هى التى خولت لكل منهم شغل وظيفته. وهناك جانبان فى مناقشة ماكس فيبر للعلاقة بين البيروقراطية والرأسمالية، وهما يستحقان منا اهتماماً خاصاً هنا. يتعلق الأول بتقوية المشروع الرأسمالى على أسس ذات طابع عام. ولقد ركز فيبر بشكل أكثر قوة من ماركس على التطور المبكر لأجهزة الدولة البيروقراطية كأساس لتطور الرأسمالية. وتمثل ذلك فى تكوين نظام قانونى، ونظام نقدى مضمون، يتم إدارته عن طريق الدولة، فكان ذلك بمثابة الأساس الضرورى لتوسع الإنتاج الرأسمالى على نطاق كبير.

ومن أهم جوانب مناقشة فيبر – على الأقل فيما يتعلق بما نهتم به فى هذا الفصل – ما يرتبط منها بالآثار الناجمة عن علاقة الرأسمالية – كنمط متميز للمجتمع. بتطور البيروقراطية. فقد دفع فيبر هنا بالكرة إلى ملعب الماركسيين، وتحدى الفكرة القائلة بأن المجتمع الاشتراكى يمكن أن يطور نظاماً ديمقراطياً أكثر مما هو الحال فى الديموقراطية الليبرالية الرأسمالية. وذهب فيبر إلى القول

بأن البيروقراطية والديموقراطية يدخلان فى علاقة متناقضة كل مـــع الآخـــر. فالبيروقراطية تعمل بطبيعتها على تركز القوة فى أيدى أقلية هم أولئـــك الذيـــن يتربعون على قمة التنظيم. واعتبر ماركس أن تجريد جمـــاهير السـكان فـــى المجتمع الرأسمالى من وسائل الإنتاج هو أساس الهيمنة الطبقية الاستغلالية، كما أنها أساس الطابع المحدود للديمقراطية البرجوازية. ولكـــن مـــن الطبيعـــى أن يتحول كل هذا بالضرورة مع دخول الاشتراكية، من خلال القضاء على الملكيـــة الخاصة والطبقات. فسوف يستعيد العمال سيطرتهم على وسائل الإنتاج؛ وسوف تفسح الحرية المزيفة للعمالة الحرة بأجر، تفسح مكانها للحريات الحقيقية التـــى تحققها الصناعة الديموقراطية.

ولقد جاء تحليل فيبر لهذا المفهوم بمثابة تحد بالغ الخطورة له. فتجريـــد العمال من القدرة على التحكم فى وسائل الإنتاج التى يعملون عليها لا يقتصـــر على الشركات الرأسمالية، ومن ثم فإنه لن يختفى مع اختفاء الرأســمالية. ففـــى رأى فيبر أن فقدان السيطرة على عمليات العمل – واختزال العمل إلى عمليـــات روتينية يتحول فيها الغالبية إلى مجرد "تروس فى آلة" – هـــى إحـدى سـمات التحول إلى البيروقراطية بشكل عام. فالعمال الصناعيون فى الموقع الرأســمالى لا يملكون شيئاً، وليس لهم من رقابة رسمية على وسائل إنتاجهم. ولكن هـــذا الوضع لا يقتصر على الصناعة؛ فنفس الشيء ينطبق على أولئك الذين يشـغلون مواقع دنيا فى كافة التنظيمـــات البيروقراطيـــة، مثـــل المستشـفيات الكبـيرة والجامعات. كما ينطبق على المشاركة فى الحكومة ذاتها. وأكد فيبر أن مثاليات الديموقراطية إنما ظهرت فى الأصل فى المجتمعات الصغيرة التى تستطيع فيـــها قطاعات صغيرة من السكان الذين كانوا يحظون بحق المواطنة أن يتجهوا سـوياً لممارسة القوة السياسية. أما فى المجتمعات الكبيرة المعاصرة، التى اتسقت فيـــها حقوق المواطنة بحيث أصبحت تشمل كل النـــاس، فـــإن هـــذا النمـــوذج مـــن الديموقراطية يصبح غير قـــابل للتطبيق. فالنسق الديموقراطى الحديث يفـترض مسبقاً تحقق مستوى مرتفع من البقرطة فى السياســـة (أى اكتســـاب السياســـة الطابع البيروقراطي). ولتنظيم الانتخابات الجماهيرية، يجب أن يتوفـــر نظـــام

قانوني رشيد تصاحبه إجـراءات بيروقراطية تضمن تنظيم الانتخابات وإدارتها. وفضلاً عن ذلك فإن الأحزاب السياسية تكتسب هى الأخرى السمة البيروقراطية بقوة بالرغم من الأهداف المفتوحة أو الديمقراطية التى تتوخى تحقيقها. فالحقبـة المعاصرة هى حقبة "الآلة الحزبية" التى تكون فيها درجة مشـاركة المواطـن العادى فى تشكيل السياسات محدودة بشدة وبشكل صارم كل الصرامـة. ويعـد فيبر واحداً من الذين قاموا بتـأصيل مـا يسـمى أحيانـاً بنظريـة "الصفـوة الديموقراطية" فالديموقراطية الحديثة تسمح للأفراد ببعض التأثير من خلال حـق الانتخاب على جماعات الصفوة التى تحكمهم؛ ولكن من الصعب أن نجد صـورا من ديموقراطية المشاركة التى يستطيع فيها السكان أن يمارسوا رقابة واسـعة النطاق على مصيرهم(٤).

ومن هنا، فإن الاشتراكية فى نظر فيبر يمكنه أن تدفـع الأمـور إلـى الأسوأ. فسوف يقتصر الأمر على نشـر البيروقراطيـة إذ أن الاتجـاه نحـو المركزية فى الحياة الاقتصادية والكامن فى البرامج الاشتراكية سوف يتضمـن تطوير دولة أكثر بيروقراطية مما هو موجود فى المجتمعات الرأسمالية. ولذلـك يقال إن تقويم فيبر للرأسمالية والديموقراطية تقويم متشائم على وجـه العمـوم. ولكنه اعتقد أن الديموقراطية الليبرالية تحافظ على الأقل علـى بعـض صـور الانفراج التى يتركها غير موصدة المد الجارف للبيروقراطية. إن اتجاه الاعتماد على الصفوة الديموقراطية يمكن أن يكون صورة محدودة للمشاركة السياسـية، التى تصبح فى سياق النظام المتعدد الأحزاب أفضل من لا شىء. وبالرغم مـن أن الرأسمالية تميل إلى الاحتكار المعروف أو نظام احتكار القلة، إلا أنها تحتفظ بالكثير من الطابع التنافسى الذى يسمح للمستهلك بحرية الاختيار، وسوف تنغلق هذه الحرية عندما يوضع الإنتاج تحت الرقابة المركزية.

* * *

يجب أن نأخذ وجهة نظر فيبر على محمل الجد فمن المؤكد أنها تصيب بخيبة الأمل كل من يفترض أن الدولة الرأسمالية يمكن أن تتحول – سواء عن طريق الإصلاح أو الثورة – بسهولة فى اتجاه ضمان مستويات عليا من العدالة والحرية. ولكن هناك أسباب عديدة تدعو إلى عدم قبول التأويل المرتبط بالتهديد المستمر للهيمنة البيروقراطية بصورته الراهنة.

فأولاً: يبدو أنه من الخطأ أن نفترض – كما ذهب فيبر – أن نمو البيروقراطية ينتج حركة أحادية للقوة فى اتجاه واحد، بحيث يحرم منها أولئك الذين يشغلون المستويات الدنيا فى التنظيم. لقد عمم روبرت ميشليز وهو تلميذ لفيبر[٥] وجهة نظر فيبر فى صياغة ما أسماه **بالقانون الحديدى للأوليجاركية**. فقد قال ميشيلز: "إن من يذكر كلمة التنظيم لابد وأن يذكر كلمة الأوليجاركية" ففى التنظيمات الواسعة النطاق تتركز القوة بالضرورة فى أيدى قلة قليلة. ولكن القانون الحديدى للأوليجاركية لا هو قانون حديدى للأوليجاركية ولا هو تعميم علمى دقيق، ثم أن التعبير تم بشكل غير دقيق. فنمو حجم المجتمعات وتزايد حجم التنظيمات داخلها (والتى أكد عليها ميشيلز على نحو خاص) وكذلك تزايد عمليات التحول البيروقراطى (التى ركز عليها فيبر) كل ذلك لا يؤدى بالضرورة إلى النتائج التى افترضها الكاتبان. والواقع أن من السهل إثبات ذلك. فلننظر إلى المثالين التاليين، وكلاهما يرتبط بالمناقشة التى أجريتها فى الفصل السابق حول الطبقات والدولة. فالاقتصاد الحديث يحقق درجة من المركزية أكبر مما كان عليه الحال منذ خمسين سنة خلت، وذلك بسبب توليفة من العوامل التى أشرت إليها، ومنها نمو الشركات العملاقة فضلاً عن تزايد تدخل الدولة فى الحياة الاقتصادية. ولكن بعضاً من جماعات العمال قد اكتسبوا – بفضل ذلك – قدراً من القوة يفوق ما تحقق لهم فى الماضى، لأنهم أصبحوا يعملون فى قطاعات من الاقتصاد ذات أهمية استراتيجية خاصة. مثال ذلك العمال فى ميدان الخدمات العامة، أو إنتاج الطاقة، أو فى مجال التوزيع. أما المثال الثانى فيمثله

العمال الذين يعملون فى خط الإنتاج الفائق التكامل، الذى تتم فيه الرقابة على مجرى العمل بعيداً عن العمال كلية. وقد توصل بعض الكتاب وبينهم ماركسيون[٦]. إلى النتيجة التى مفادها أن مواقع العمل هذه تنزع الرقابة على العمل من العمال، ومن ثم فقد توصلوا إلى نتائج متشائمة تشبه تلك التى سبق أن توصل إليها ماكس فيبر وميشيلز من قبل. والحقيقة أن العمال يحصلون فى مواقع العمل الأكثر تنظيماً على قوة أكبر من تلك التى كانوا يتمتعون بها من قبل. فخطوط الإنتاج المتكاملة أكثر تعرضاً على وجه الخصوص للتوقف من خلال العمل المنظم لجماعات العمال الصغيرة.

ومرة أخرى نرى هنا الأهمية السوسيولوجية لإدراك أن الفاعلين الاجتماعيين هم فاعلين حاملين للمعرفة، وليسوا مجرد مستقبلين سلبيين للتأثيرات التى تحد سلوكهم دون مقاومة. ودلالة ذلك فى مثل هذا السياق تنحصر فى أن التنظيمات البيروقراطية، بما فى ذلك الدولة، تشهد عمليات مستمرة من التخلص من مصادر قوتها. وتكون القوة عادة مجالاً للصراع النشط، الذى يخسر فيه دائماً أولئك الذين يشغلون مواقع التبعية والخضوع. والقول بهذا لا يعنى الحكم بعدم فائدة رأى كل من فيبر وميشيلز، فقد أشارا ولا شك إلى وجود اتجاهات تغير حقيقة وعامة. ولكن هذه الاتجاهات لا ترتبط عموماً بالبيروقراطية أو بالنمو المتزايد للتنظيم الاجتماعى.

وأعتقد أن تركيز فيبر على مشكلات الهيمنة البيروقراطية قد أدى به إلى عدم إدراك نواحى القوة فى النقد الماركسى للدولة الرأسمالية. إن فصل "السياسى"، الذى يعد كل واحد فيه مواطناً، عن "الاقتصادى"، يبقى واحداً من الملامح المميزة للمجتمعات الرأسمالية المتقدمة. فحق الانتخاب كان – وكما أوضحت سابقاً – أداة فائقة الأهمية فى إحداث التغير فى هذه المجتمعات. ولكن يبقى أن القوة التى يستطيع العاملون فى الصناعة أن يحصلوا عليها هى قوة سلبية: مثل الانسحاب الجمعى للعمال، أو الصور المختلفة التى يؤكدون من خلالها وجودهم (مثل التحكم فى تدفق خط الإنتاج، وإغلاق عمل خط الإنتاج، أو تخريبه بطرق أخرى). فلا العمال ذوو الياقات البيضاء ولا الموظفون ذوو

المستويات الدنيا يتمتعون بأى حقوق رسمية للمشاركة فى السياسات التى ترسم من أعلى.

وإذا كان هؤلاء الذين يشغلون مواقع الخضوع قادرين عادة على المحافظة على قدر من القوة بالوسائل السلبية، فإن هناك مبررات قوية للافتراض بأن مثل هذه القوة يمكن أن تتسع أكثر فأكثر من خلال توسيع حقوق المواطنة بحيث تمتد إلى المجال الصناعى. وبعبارة أخرى فإن إمكانيات تحقيق **ديمقراطية المشاركة** فى المجتمعات المعاصرة لا يجب استبعادها استبعاداً تاماً كما ذهب فيبر. فهذا الأمر ينطبق على مكان العمل الصناعى وبشكل جدى كما يمكن أن يشتق من تحليل ماركس، ولكن من الصعب أن ننكر أن ماركس - وكثير من الماركسيين بعده - كانوا شديدى التفاؤل عن الطريقة التى يمكن أن تتأسس بها بنجاح ديموقراطية المشاركة فى النظام الاشتراكى الذى كانوا يأملون فى قيامه. ولكن المجتمعات الاشتراكية التى قامت فعلاً فى شرق أوروبا لم تتمكن (مع استثناء جزئى لتجارب يوغسلافيا فى الإدارة الذاتية للعمال، وأنشطة منظمة التضامن فى بولندا) من السير فى هذا الطريق.

* * *

تأثر تاريخ الدول الحديثة، على الأقل منذ القرن الثامن عشر فصاعداً، تأثراً عميقاً بما شهدته تلك الدول من الحركات الاجتماعية. ويمكن النظر إلى الحركات الاجتماعية على أنها أشكال من الفعل الجمعى الذى يهتم بتحقيق تحولات جوهرية فى بعض جوانب النظام القائم فى مجتمع من المجتمعات شأنها شأن دراسة الدولة البيروقراطية، والدراسة الاجتماعية للحركات الاجتماعية تدين بالكثير فى ريادتها إلى ماكس فيبر. فقد أكد فيبر أهمية أوجه التعارض بين الأنماط المستقرة والمنضبطة من التنظيم البيروقراطى والطابع غير الثابت والأكثر سيولة للحركات الجماهيرية والتى تتطور إلى تحد للنظام القائم. وتمثل الحركات الاجتماعية فى رأيه تأثيرات دينامية يمكن أن تؤدى باستمرار إلى تفكيك أو تهديد الأنماط المستقرة من السلوك، ومن ثم تتحول إلى مصدر سريع للتغير.

ولقد وجدت أنماط فائقة الأهمية من الحركات الاجتماعية فى الأزمنة السابقة على الحداثة. ولهذا ناقش كون "تأثير الحركات الإحيائية" فى العصور الوسطى(٧).

ولقد كان لهذه الحركات أهدافاً دينية، وكان الدافع وراءها هو الطموح نحو إقامة حكم الله فى الأرض. كما ظهرت صور أخرى من الحركات الاجتماعية بأهداف أكثر علمانية. ولذلك شهدت نهاية العصور الوسطى الأوربية كثيراً من ثورات الفلاحين، التى كانت تحدث بسبب نقص الغذاء أو ارتفاع الضرائب. وهناك تمييز واضح كل الوضوح بين الحركات الدينية والحركات العلمانية فى المجتمعات التقليدية من ناحية، وبين الحركات الاجتماعية التى كانت لها تأثيرات بعيدة المدى على تطور الدول الحديثة خلال القرنين الماضيين من ناحية أخرى. ويمكن توضيح الاختلافات بينهما من خلال التمييز الذى أقامه بعض الكتاب بين حركات التمرد من ناحية وحركات الثورة الاجتماعية من ناحية أخرى. فحركات تمرد الفلاحين التى أشرنا إليها تواً ما هى إلا حركات تمرد، بمعى أنه رغم

محاولتها فى الغالب الإطاحة بالجماعة القائمة من النبلاء، أو بملك معين، إلا أنها لم تكن تمتلك رؤية لعمليات طويلة المدى من الإصلاح المؤسسى. وحتى الاعتقاد فى ظهور تغيرات مع نهاية الألفية، وهو الاعتقاد الذى يتأثر بالأفكار الواردة فى الإنجيل، لا تحمل سوى إشارات طفيفة بأن إصلاح النظام القائم للقوة هو إصلاح مرغوب فيه أو ممكن. وعلى النقيض من ذلك، تستهدف الحركات الثورية تحقيق نوع من التحول الاجتماعى العلمانى والثورى، ويرتبط ظهورها بالحقبة الحديثة. ولقد ظهرت هذه الحركات مع ظهور فكرة حقوق المواطنة العامة، جنباً مع جنب مع مفاهيم المساواة والديموقراطية. ولقد كان لهذه المفاهيم بعض الجذور العامة فى العالم الكلاسيكى، ثم أخذت تكتسى بالطابع الحديث فى بدايات القرن السابع عشر. وابتداء من أواخر القرن الثامن عشر فصاعدا بدأت هذه المفاهيم ترتبط على نحو منظم بالحركات التى تضغط لإحداث تجديد سياسى واجتماعى ثورى.

ولقد سبق أن أشرت فى الفصل الأول إلى التأثير العميق للثورتين الفرنسية والأمريكية على عمليات التغير فى القرنين التاسع عشر والعشرين. وهناك شعور أساسى لدى كل فرد فى عالم اليوم بأننا نعيش فى **مجتمعات ثورية**. فلم ينج مجتمع واحد من تأثير **الثورتين الكبيرتين**، وأغلب الظن أن غالبية الدول قد شهدت على الأقل جانباً رئيسياً من الثورة السياسية فى وقت ما خلال المائتين عام الماضية. وقد ارتبطت الماركسية - بطبيعة الحال - بهذه الظاهرة بطريقة متكاملة منذ بداية القرن العشرين. إذ تأثرت معظم الثورات الاجتماعية فى القرن العشرين بالفكر الماركسى أو استلهمت ذلك الفكر فى أى صورة من صوره. وتختلف الماركسية عن أى مدخل نظرى آخر فى العلوم الاجتماعية فى هذه الزاوية بالذات؛ فقد عملت كوسيط لإحداث حلقات متتابعة وبعيدة المدى من التغير الاجتماعى من خلال تكوين حركات اجتماعية معارضة.

إن تفسير طبيعة الثورات الاجتماعية والنتائج المترتبة عليها يختلف اختلافاً كبيراً، وهو أمر ليس بمستغرب إذا وضعنا فى اعتبارنا الطابع المشحون للموضوع. ومن بين أكثر المداخل تأثيراً فى دراسة الحركات الثورية والثورات

الاجتماعية ذلك المدخل الذى قدمه تيلى Tilly و سكوكبول Skocpol [٨].

وقد حاول تيلى أن يحلل عمليات التغير الثورى فى ضوء إطار للتفسير العام لتعبئة الحركات الاجتماعية فى الأزمنة الحديثة. فأحد خصائص عالم مشحون بأفكار الالتزام السياسى والمشاركة السياسية هى وجود ميل لدى الجماعات للعمل النشط نحو تعبئة وتطوير مصالحها ومثالياتها. فالحركات الاجتماعية هى وسائل لتعبئة موارد الجماعة التى تكون مبعثرة فى إطار نظام سياسى معين، أو تكون قد تعرضت للقمع من قبل سلطات الدولة.

وفى رأى تيلى أن الحركات الثورية هى جزء من العمل الجمعى فى ظروف يصفها تيلى بمفهوم "تعدد السيادة"، ويعنى بها أن الدولة - لظرف أو لآخر - لا يكون لها رقابة كاملة على منطقة النفوذ التى يفترض أنها تحكمها. ويمكن لمواقف تعدد السيادة أن تظهر كنتيجة للحروب الخارجية،أو كمحصلة للصدامات السياسية الداخلية، أو لكليهما معا. ولذلك فإن الثورة الروسية فى عام ١٩١٧ وقعت فى ظل انخراط روسياً فى الحرب العالمية الأولى وما نجم عنها من فقد الدولة بعض الأقاليم الروسية ووقوع بعض الانقسامات الداخلية العميقة.

وتميل الحركات الثورية إلى أن تكسب قوة دفع فى ظروف تعدد السيادة، خاصة إذا حاولت الحكومة القائمة إن تبقى على قوتها باستخدام أساليب القمع. ويمكن أن يرتبط هذا فى أحيان كثيرة بعدم رغبة الحكومة - أو عدم قدرتها - فجأة على سد الحاجات التى كانت تتوقع هذه القطاعات العريضة من السكان من الدولة أن تقوم على أمرها. من هذا مثلاً ما شهدته إيطاليا فى نهاية الحرب العالمية الأولى، حيث أدى التسريح السريع لأكثر من مليونى رجل من القوات المسلحة، جنباً إلى جنب مع رفع القيود التى فرضت زمن الحرب على الأسعار ومواد الطعام، قد أدى إلى تهيئة المسرح لنمو حركات راديكالية فى كل من اليمين واليسار.

وتختلف الفكرة الأساسية عند سكوكبل عن رأى تيلى. فقد مال تيلى إلى الافتراض بأن الحركات الثورية يحركها السعى الواعى والهادف إلى تحقيق المصالح، وأن الأساليب "الناجحة" من التغير الثورى تظهر عندما تحاول هذه

الحركات تحقيق تلك المصالح. أما سكوكبل فقد اعتبرت أن هذه الحركات تعانى فى العادة من غموض أهدافها ومن تردد تلك الأهداف وتأرجحها، كما نظـــرت إلى التغيرات الثورية الكبيرة على أنها تحدث كنتيجة غير مقصـــودة للأهـــداف الجزئية التى تحاول الجماعات والحركات تحقيقها. فالثورة الاجتماعية فى تاريخ العالم الحديث - ركزت سكوكبل فى تحليلها على الثورات الفرنسية والروســـية والصينية - تنتج من ظهور بعض الشروط البنائية المواتية للغير داخل نظـــام حكومى معين قائم. كما أكدت على وجه الخصوص على أهمية السياق الدولـــى فى تهيئة الظروف التى يمكن أن تؤدى إلى الثـــورة الاجتماعيـــة. وتتحصـــر أطروحتها فى القول بأن الأزمات الثورية تظهر - حدث ذلك فى كل حالة مـــن الحالات التى درستها- عندما تفشل الحكومة (والتى كانت فى كل الأمثلة الثلاثـة التى درستها حكومة ملكية أوتوقراطية) فى أن تتوافق مع متطلبات المواقـــف العالمية المتغيرة، فى نفس الوقت الذى تعمل فيه الانقسامات الطبقيـــة الداخليـــة على تأكيد هذا الفشل. ولم تكن سلطات الدولة قـــادرة علـــى أن تنفـــذ برامـــج للإصلاح الداخلى، أو تطوير تنمية اقتصادية سريعة، كافية لمواجهة التـــهديدات العسكرية من جانب الدول الأخرى التى حققت هذه التغيرات بنجـــاح. وتـــؤدى الضغوط الناتجة عن ذلك إلى التعجيل بنمو التوترات الداخلية بطريقة تعمل على تحطيم بناء الدولة القائمة، مؤدية بذلك إلى ظهور أزمات سياسية مستمرة تعمـــل الحركات الاجتماعية الآخذة فى النمو على استغلالها. فظهور المواقف الثوريـــة - على ما تقول كلمات سكوكبل - لم يظهر بعد على صعيد الواقع:

"وذلك بسبب الأنشطة المقصودة لتحقيق هذه الغاية سواء من جـــانب الثوار أو من جانب جماعات سياسية قوية داخل النظام القديم. وتظـــهر أيضا أزمات سياسية ثورية تتصاعد مع حدوث مظاهر خلل سياســـى وإدارى. ويرجع السبب فى ذلك إلى أن الـــدول الإمبرياليـــة تصبـــح عرضة لضغوط من شتى الاتجاهات تأتى مـــن التنـــافس العســـكرى المتنامى أو التدخل الخارجى أو الضغوط التى تمارسها الأبنية الطبقية الزراعية ونظمها السياســـية علـــى طبيعـــة اســـتجابات الحكومـــات

الملكية".(سكوكبل، ص ٢٨٥).

ولا شك أن سكوكبل على حق عندما تؤكد أن الثورات الاجتماعية الكبرى ليست مجرد نتيجة لحركات منظمة تتجه نحو الإطاحة بالنظام القائم. ولكنها من المحتمل أن تكون قد بالغت فى تصور التعارض بين الصور الهادفة للتغير الاجتماعى وتلك التى تظهر من جراء التناقضات البنائية. ولو كانت فعلت ذلك لبدا موقفها أقل تناقضاً مع موقف تيلى. وذلك لأن الحركات الاجتماعية الحديثة بصفة عامة، والحركات الثورية على وجه الخصوص، تتضمن فى الغالب ضرباً من التنظيم القوى والفعال للأنشطة الإنسانية لخدمة الأهداف أو المصالح الجمعية. وليس على التاريخ أن ينحنى بالضرورة أمام هذه الأهداف، ولكن كثيراً من معالم العالم المعاصر تتشكل من خلال التفاعل بين هذه الأشكال من التعبئة الاجتماعية وما يترتب عليها من نتائج غير منظورة.

المراجع

1-Nicos Poulantzas, Politicol Power and Social Classes, London, New Left Books, 1973 (First Published 1968); Clausoffe Disorganized Capitalism, Combridge, Polity Press, 1985.

2- Palph Miliband, The Capitalist State: a Reply To Nicos Poulantzas, New Left Review, No.59. 1970.

3- Max Weber, Economy and Society, Berkeley, University Of California Press, 1978 Vol.2.pp. 956-94. نشر بالألمانية عام١٩٩٢

4- David Beetham, Max Weber and The Theory of Modern Politics, Cambridge, Polity press,1985.

5- Robert Michels, Political Parties, London, Collier- Macmillan,1968 (صدر الكتاب فى الأصل بالألمانية عام١٩١١)

6- Harry Braverman, Labar and Monopoly Capital, New York, Monthly Review Press, 1973.

7- Norman Cohn, The Pursuit of The Millenium, London, Mercury Books, 1962.

8- Charles Tilly, From Mobilization to Relvoution, Reading, Mass., Adddison - Wesley, 1978. Theda Skocpol, States and Social Revolutions. Cambridge, Cambridge University Press, 1979.

الفصل الخامس

المدينة: الحضرية والحياة اليومية

مدن ما قبل الرأسمالية والمدن الحديثة

فلنؤكد ثانية عند هذه المرحلة على حداثة التحولات التى غيرت العالم المعاصر. فالاستثمار الرأسمالى الموسع يعود بأصوله إلى القرن السادس عشر أو ما يقرب من ذلك، فى حين تعود جذور الرأسمالية الصناعية إلى أواخر القرن الثامن عشر فقط، وقد ظهرت هذه آنذاك فى جيب معزول من العالم. ومع ذلك فقد شهدت المائتى سنة التى انقضت منذ عام ١٧٨٠ تحولات ذات آثار أكثر عمقاً على الحياة الاجتماعية مما حدث على امتداد التاريخ البشرى حتى هذا التاريخ.

وكما أشرنا فى الفصل الأول من هذا الكتاب، لا يتبدى عمق تلك التأثيرات أوضح من تجليه فى طابع وسرعة وقع الحياة الحضرية المعاصرة. وعندما نتصدى لمحاولة فهم أثر التحضر المعاصر، نجد أن البعد التاريخى للخيال السوسيولوجى يكتسب أهمية خاصة. ومن الأمور البعيدة الدلالة – كما سوف أوضح فيما بعد – أن أصبح الحضر هو البيئة التى أصبحنا نحيا جميعاً فى ظلها فى المجتمعات الرأسمالية المتقدمة. ومن ثم، فمن العسير علينا أن نعيد تصوير الكيفية التى كانت عليها الحياة الاجتماعية للبشر منذ قرنين فقط من الزمان، وذلك على الرغم من أن أجزاء كبيرة من العالم ما تزال يسودها أساليب معيشة تقليدية.

وبالطبع، كانت المدينة فى الحضارات قبل الحديثة متمايزة تمايزاً

واضحا عن الريف. ومن المؤكد أنه بالإمكان المبالغة في تصور السمات المشتركة للمدن في مرحلة ما قبل هذا العصر الحديث[1]. وقد اتسمت المدن في أغلب أشكال المجتمعات قبل الرأسمالية ببعض الخصائص المميزة. فقد كان من المعتاد أن تحاط المدن بأسوار، تؤكد على طابعها المنعزل وعلى انفصالها عن الريف، فضلاً عن أنها كانت ذات وظائف عسكرية دفاعية. وكان المعبد والقصر والسوق تشغل قلب المدن التقليدية، وأحياناً ما كان هذا المركز الطقوسي والتجارة يحاط بسور داخلي ثان. كانت المدن بمثابة مراكز العلم والفنون والثقافة الكوزموبوليتانية. ولكن هذه الأنشطة كانت دائماً حقا مقصورا على صفوات محدودة العدد. وعلى الرغم من أنه من المحتمل أن المدن كانت ترتبط ببعضها البعض بواسطة شبكة طرق متطورة، إلا أن الارتحال كان أيضاً مقصورا على القلة، أو مقتصرا بصفة أساسية على الأنشطة العسكرية والتجارية. وكان وقع الحياة في المدن قبل الرأسمالية يتسم بالرتابة والبطء، وكان عامة الناس يميلون عادة إلى إتباع تقاليد مشابهة لتلك السائدة بين أقرانهم الذين يعيشون في الريف. ولكنا نلاحظ على العموم وكما ذكرت مسبقاً، أن المدن كانت – بمعايير اليوم– كيانات بالغة الصغر.

ولقد نما سكان العالم نمواً هائلاً على مدار القرنين الماضيين، ومازالوا يفعلون، وأصبحت أعداد كبيرة من نتاج هذا النمو السكاني تعيش في المدن. (انظر ص :٦ من هذا الكتاب). وتثير الإحصاءات الخاصة بتلك الظاهرة كثيرا من الدهشة، فهناك اليوم حوالي ١٧٠٠ مدينة في العالم يفوق تعداد كل منها المائة ألف نسمة. كما أن هناك ٢٥٠ مدينة يفوق حجم سكان كل منها تعداد أكبر المدن التي عرفها التاريخ حتى وقت قريب، أي يزيد سكانها على خمسمائة ألف نسمة. ويبلغ تعداد سكان أكبر المدن حوالي ١٤ مليون نسمة. ولكن المدن اليوم لم تعد لها أسوار، كما أن الحدود الإدارية للتجمعات الحضرية الكبرى عادة ما لا تتوافق مع أي تقسيم فعلي للامتداد الحضري العشوائي. فإذا ما كانت الاقتصادات المعاصرة تخضع لهيمنة الشركات العملاقة، فإن المدن الضخمة أو

"مدينة المدن" megalopolis(*). هى التى تميز الحياة الحضرية فى عالم اليـــوم. والواقع أن للكلمة أصل كلاسيكى، حيث صكها رجال الدولة – الفلاسفة من أهل شبه جزيرة البيلوبونيز(**). الذين خططوا لإنشاء مدينة – دولـــة جديــدة أرادوا بتصميمها أن تكون موضع حســـد كافــة الحضـــارات. علـــى أن الاســتخدام المعـــاصر لها يرتبط بهذا الحلم بخيوط واهية. وقد استخدم المصطلح لأول مرة فى العصور الحديثة للإشارة إلى سلسلة المدن الساحلية الشمالية الشـــرقية فـــى الولايات المتحدة التى تمتد لمسافة حوالى ٤٥٠ميلا من شمال بوســطن وحتــى جنوب مدينة واشنطن العاصمة. ففى تلك المنطقة يعيش حوالى ٤٠ مليون نسمة فى ظل كثافة تبلغ ٧٠٠ شخصٍ فى الميل المربع. وثمة تركز سكانى حضـــرى يبلغ نفس الحجم والكثافة تقريباً فى منطقة البحيرات العظمى الأمريكية والكندية.

ولا تقف دلالة هذه التطورات عند بعدها الكمى الخالص، وذلـــك علـــى الرغم من الميل الواضح لبعض أدبيات علم الاجتماع الحضـــرى لأن تفـــترض ذلك. بعبارة أخرى، هناك العديد من الكتاب الذين تحدثوا عن العلاقة مـــا بيـــن التحضر والتصنيع الرأسمالى، كما لو كان يعنى ببساطة مجرد انتقال السكان من المناطق الريفية إلى المدن. وبالطبع كان الأمر كذلك، ولكن هذا الحـــراك كـــان يمثل فى الوقت نفسه إلى جانب ذلك جزء من مجموعة تغيرات ذات تـــأثيرات أوسع نطاقاً بكثير، بدلت من طبيعة الحياة الحضرية ذاتها. وقد تم التعبير عنـــه رمزياً بأكبر قدر من الوضوح باختفاء أسوار المدن. وسوف تتضح دلالات هـذه الملاحظات إذا ما ألقينا نظرة سريعة على بعض النظريات التى تحتـــل مكانـــة رائدة فى التحليل الحضرى فى علم الاجتماع.

* * *

(*) أى وحدة الحضرية الكبرى، أو الاقليم الحضرى، الذى يتكون من عـــدد مـــن المـدن، كالقاهرة الكبرى على سبيل المثال، التى تضم القاهرة بأحيائها القديمة والجديدة والعشـــوائية، وامتدادها جميعا شرقا، وشمالا، وجنوبا، ومدينة الجيزة .. إلخ والتى قـــد يتجـــاوز مجمـــوع سكانها – حسب آخر تعداد – الرقم الذى ذكره المؤلف. (المحرر)

(**) شبه جزيرة البيلوبونيز Peloponnesus هى جزيرة شبه جزيرة جبلية تقع إلى الجنـــوب بين خليج كورنت، وتشكل الشطر الجنوبى من البر اليونانى الرئيس. كانت تعـــرف خـــلال القرون الوسطى باسم موريا المود، بيروت، ١٩٩١، المجلد السابع (المحرر)

رؤى مدرسة شيكاغو(*)

ظلت إسهامات مدرسة شيكاغو فى علم الاجتماع التى سادت خلال العقدين الأولين من القرن الماضى تهيمن - حتى وقت قريب - على الحوار حول الدراسات الحضرية. وثمة مفهومان مرتبطان ببعضهما البعض من مفاهيم

(*) مدرسة شيكاغو في علم الاجتماع: مدرسة ذات تقاليد بحثية اقترن اسمها بجامعة شيكاغو خلال العقود الأربعة الأولى من القرن العشرين، استطاعت أن تهيمن على علم الاجتماع في أمريكا الشمالية طوال تلك الفترة. تأثرت تقاليد هذه المدرسة بشدة بالنزعة الفلسفية **البراجماتية**، والملاحظة المكتسبة بالخبرة المباشرة، وتحليل العمليات الاجتماعية الحضرية. ويرتبط اسم مدرسة شيكاغو عادة بتلك القضايا الثلاث. القضية الأولى: وهى أكثرها شيوعا، اقترن اسم مدرسة شيكاغو بإجراء **الدراسات الميدانية** الإمبيريقية، في مقابل بعض الاتجاهات الأخرى الأكثر ميلا إلى التجريد والتنظير التى كانت تسم أنشطة غالبية علماء الاجتماع الأوائل فى أمريكا الشمالية. وبخاصة **الداروينية الاجتماعية**. وقد أثمرت عددا كبيرا من الدراسات التى أصبحت تعد الآن، من كلاسيكيات الدراسات الإمبيريقية في علم الاجتماع، نذكر من بينها دراسة فريدريك ثراشر عن: العصابة، التى صدرت عام ١٩٢٧، ودراسة كليفورد شو بعنوان: عامل صالة القمار ونشرت عام ١٩٣٠؛ ودراسة نيلز أندرسون تحت عنوان: المتشرد ونشرت عام ١٩٢٣؛ ودراسة هارفى فى زوربوه، بعنوان الساحل الذهبى والحى الفقير ونشرت عام ١٩٢٩، وتعد هذه المجموعة مجرد امثلة مشهورة مميزة لمدرسة شيكاغو، كما أثمرت تلك التوجهات أيضا ممارسة قدر كبير من التجريب على أدوات البحث. ومما يلفت النظر هنا تطوير أدوات مثل **الملاحظة المشاركة** ومنهج **دراسة الحالة**. ومع ذلك فمن الخطأ أن نرى في مدرسة شيكاغو مجرد معقل للمناهج الكمية، باعتبار أنها قادت الطريق فى استخدام **المسوح** الاجتماعية والبحوث الإحصائية للمجتمعات المحلية، ورسم الخرائط الكمية للمناطق الاجتماعية وإيداع سجلات الوقائع الخاصة بالمجتمعات المحلية. باختصار، استطاعت مدرسة شيكاغو أن تطور تقلدا راسخا في استخدام المناهج الكيفية أيضا، وقد ارتبط ذلك باسم وليم **أوجبرن** على وجه الخصوص، فضلا عن ذلك، فإن علم الاجتماع فى مدرسة شيكاغو لم يكن عدوا للتنظير.

أما القضية المحورية الثانية فى بحوث مدرسة شيكاغو فى علم الاجتماع فتتعلق بدراسة المدينة. هنا، وفى واحدة من أسرع المدن نموا فى أمريكا الشمالية فى بداية هذا القرن، بكل ما يصاحب ذلك من مشكلات الهجرة، و**الجناح**، و**الجريمة**، والمشكلات الاجتماعية، أصبحت الدراسة السوسيولوجية للمدينة فرعا مستقلا من فروع علم الاجتماع. وتعود العديد من جذور **علم الاجتماع الحضرى** إلى تقاليد هذه المدرسة، سواء من الناحية الوصفية، حيث تم رسم خرائط لمناطق المدينة (رتبت فى سلسلة من المناطق الدائرية المتحدة المركز)، تبدأ من قلب المدينة، وتنتهى بالحزام الخارجي للمتنقلين يوميا، أو من الناحية النظرية فى ضوء محاولات تفسير ديناميات نمو المدينة وتغيرها.

وأما القضية الثالثة التى نبعت من مدرسة شيكاغو فتتمثل فى صيغة مميزة لعلم النفس الاجتماعى، مشتقة جزئيا من قسم الفلسفة الحليف، وبخاصة من كتابات جورج هربت **ميد**. وقد ركز هذا التقليد على خلق وتنظيم **الذات**، وهو ما عرف فيما بعد عبر كتابات هربرت **بولمر** باسم **التفاعلية الرمزية**. انظر المزيد فى: موسوعة علم الاجتماع. مرجع سابق.

(المحرر)

مدرسة شيكاغو يستحقان معالجة خاصة. الأول هو ما يسمى "بالاتجاه الإيكولوجي" فى دراسة توزيع الأحياء السكنية فى المدينة. وقد صيغ هذا المفهوم أصلاً فى ضوء المماثلة الصريحة مع العمليات الإيكولوجية فى علم الأحياء: وهى عمليات تتوزع بمقتضاها الحياة النباتية والحيوانية فى البيئة الفيزيقية بصورة منظمة، من خلال أساليب تكيفها مع هذه البيئة. وقد وصف روبرت عزرا بارك(*) طريقة تطبيق هذا المنظور على المدينة، فكتب يقول: "يبدو أنه من الممكن النظر إلى المدينة باعتبارها آلية للتصنيف والتمييز، بحيث يمكن القول أنها تختار بطرق محايدة – ليست مفهومة لنا تماماً حتى الآن – من بين مجمل السكان الأفراد الأكثر قدرة على الحياة فى إقليم وبيئة بعينها"(١).

وتنظم المدينة فى عدد من "المناطق الطبيعية" عبر عمليات من المنافسة، والغزو، والتتابع مماثلة لتلك التى تحدث فى البيئة البيولوجية. وتتحكم هذه العلميات فى تحديد خصائص الأحياء السكنية المختلفة، حيث تميل مناطق قلب المدينة إلى أن تشهد تركزاً كبيراً لأنشطة الأعمال والمؤسسات التجارية والترفيه. ويتحلق حول قلب المدينة، فى الأغلب، مناطق متدهورة ذات نسب عالية من الشقق والإسكان الرخيص. وإلى الخارج من هذه الدائرة، توجد مناطق سكنى الطبقة العاملة المستقرة، فى حين تقطن الطبقة الوسطى فى دائرة

(*) بارك، روبرت عزرا (عاش من ١٨٦٤ حتى ١٩٤٤) Park, Robert Ezra عضو بارز فى **مدرسة شيكاغو فى علم الاجتماع**، يرجع إليه الفضل فى التعريف بمؤلفات وآراء جورج **زيمل** لجيل كامل من علماء الاجتماع الأمريكيين، وقد فعل ذلك بشكل غير مباشر أساساً، وخاصة مؤلفه الواسع الانتشار: "مقدمة لعلم الاجتماع"، الصادر عام ١٩٢١، واشترك معه فى التأليف إرنست بيرجس. كذلك كان بارك وبيرجس من أبرز الممارسين لتوجه **الإيكولوجيا البشرية** (وهما اللذان قاما بصك المصطلح نفسه). ويرجع الجانب الأكبر مما أصبح يعرف فيما بعد باسم الإيكولوجيا البشرية الكلاسيكية إلى تأثير كتابات بارك وآراء مدرسة شيكاغو. وقد ذهب بارك إلى أن **المنافسة** هى العملية الأساسية وراء العلاقات الاجتماعية، وإن كان الاعتماد المتبادل بين البشر والراجع إلى ظاهرة **تقسيم العمل**، جعل تلك المنافسة تنطوى دوما على عناصر من التعاون غير المخطط (وهو الأمر الذى أدى فى النهاية إلى وجود ظاهرة: التعاون التنافسى). وهكذا أخذ الناس يقيمون علاقات تكافلية، على كل من المستوى المكانى والمستوى الثقافى. وقد تطورت هذه الأفكار فى الكتاب الذى يضم مجموعة المقالات (التى كتب أغلبها بارك نفسه) والمعنون: المدينة، الصادر عام ١٩٢٥، ودراسته المونوجرافية عن "المجتمعات المحلية البشرية"، الصادر عام ١٩٥٢. للمزيد، انظر: موسوعة علم الاجتماع، مرجع سابق. (المحرر)

الضواحى الخارجية.

ومن المعتقد أن الاتجاه الإيكولوجى يهتم عادة بالتحضر فى المجتمعات الحديثة فقط. على أن هذا لا يصدق بالنسبة للرؤية الأخرى المرتبطة بمدرسة شيكاغو، والتى تتجلى فى مناقشة لويس ويرث Wirth للحضرية كأسلوب للحياة التى أرست دعائم الإدعاء الذى يعزو بعض الخصائص العامة للمدينة إلى أسلوب الحياة فى المدن. ولقد صورت أفكار لويس أحياناً فى صورة كاريكاتيرية من قبل نقاده، ومن هنا يصبح تقديم وصف دقيق لأفكاره أمرا له أهميته. وتتلخص أفكار لويس ويرث فى مقال شهير له نشر للمرة الأولى عام ١٩٣٨[٣].

وفيه ويميز ويرث ثلاثة ملامح أساسية تختص بها المدن بصفة عامة هى: الحجم، والكثافة، وعدم تجانس السكان. ففى المدن يعيش عدد كبير من السكان بالقرب من بعضهم البعض، ولكن أغلبيتهم لا يعرفون بعضهم البعض معرفة شخصية. ولقد كان ويرث مدركاً أن هذه المعايير تتسم بغلبة الطابع الرسمى عليها، وأن النتائج المترتبة عليها تتشكل بواسطة عوامل متعددة. ومع ذلك، فقد ذهب إلى أن هذه النتائج تنطوى على أسلوب خاص للحياة يميز سكان المدن. ففى المدن، تتسم العديد من العلاقات بالآخرين بعدم الاستمرارية والتفتت، كما ينظر إليها من قبل أولئك المنخرطين فيها باعتبارها أدوات، أى وسائل لغايات، أكثر من كونها علاقات مشبعة فى حد ذاتها. فالشخص – كما يقول ويرث – مجرد من القدرة على "التعبير التلقائى عن الذات، والمعنويات، والإحساس بالمشاركة النابع من العيش فى مجتمع متماسك"[٤]. واتساقا مع الرؤية الإيكولوجية، يذهب ويرث إلى القول بأن أعداد السكان الكبيرة والكثيفة تقود بالضرورة إلى تخصيص وتنوع المناطق: فكما هى الحال بالنسبة لحياة النبات والحيوان، يسمح التباين الوظيفى لقدر أكبر من الأشخاص أن يعيشوا معاً فى مساحة صغيرة نسبياً. وينطوى تحلل "التماسك الاجتماعى" فى المدينة على سيادة أنماط سلوكية منتظمة تخضع لسيطرة قواعد سلوكية لا شخصية. وفى هذا الصدد ينبغى على المرء أن يلاحظ وجود تماثل بين ما يذهب إليه ويرث وتوصيف فيبر للبيروقراطية.

وقد دعم ويرث وجهات نظره من عدة نواح. "فأسلوب الحياة الحضرية" ليس بالضرورة قاصرا على أولئك الذين يعيشون فى مدن ذات أحجام بعينها، وذلك نظراً لأن تأثير المدن يمتد ليؤثر فى السكان المقيمين خارج نطاقها. كما أن العكس صحيح أيضاً. فليس كل أولئك الذين يعيشون فى المدن مستوعبين فى إطار تلك الأنماط السلوكية اللاشخصية التى تتسم بها. فقد يحافظ المهاجرون من المناطق الريفية على الجوانب هامة من أساليب حياتهم السابقة، كما يمكن لبعض هذه الجوانب أن تستمر حية لفترة طويلة. فضلاً عن ذلك، فإن ويرث لا يتحدث عن صفات يدعى أنها شاملة لكافة خصائص الحياة الحضرية، بل كان يقصد الحديث عن خصائص الحد الأدنى. وقد كان يصر على هذه النقطة، لأنه كان يأمل فى أن يطور تحليلاً للمدن يمكن تطبيقه على نطاق واسع من ناحية، ولا يكون قاصراً على الحضرية المحدثة فقط، من ناحية أخرى.

وهناك عدة أوجه تم من خلالها توجيه سهام النقد لوجهات نظر كل من ويرث والاتجاه الإيكولوجي. وسوف أقتصر هنا على التقويم النقدى ذى العلاقة بالأطروحات العامة لهذا الكتاب، كما أننى سوف أهتم بالإشارة إلى تلك الجوانب التى ينطوى عليها هذان الاتجاهان، والتى يمكن أن تحتفظ بمصداقيتها اليوم إذا ما تمت إعادة صياغتها بطريقة ملائمة. ولعله بالإمكان تصنيف ملاحظاتى النقدية فى أربع فئات سوف أعمد إلى أن أركز فيها بصفة رئيسية على أطروحة ويرث.

أولاً، لا تتمتع نظرية ويرث بالقابلية العامة للتطبيق التى يدعيها. ويرجع ذلك إلى أن استنادها على ملاحظاته عن المدن الأمريكية فى العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضى، يفرض حدوداً على قابليتها للتطبيق حتى على التحضر فى العالم الرأسمالى الصناعى. وهى تعانى من عجز خاص عند تطبيقها على مدن مجتمعات ما قبل الرأسمالية. ولقد تراكم قدر كبير من أدبيات البحوث المقارنة التى أجريت حديثا عن التحضر فى هذه المجتمعات فى مجالى علم الآثار والأنثروبولوجيا. وعلى الرغم من عدم قابلية هذه النتائج للتعميم بسهولة، فإننى أعتقد أنها تشير إلى ما اعتبره جوبرج فى كتابه

سالف الذكر "فرضيته الأساسية"، وهى القائلة بأن: "بنية مدن ما قبل الصناعة أو شكلها – سواء فى أوروبا فى العصور الوسطى أو الصين القديمة والهند وغيرها من المناطق – تتشابه بدرجة كبيرة، ومن ثم فإنها تختلف اختلافاً واضحاً عن المراكز الحضرية – الصناعية الحديثة"(٥).

وتتعلق هذه الاختلافات بملامح مدن ما قبل الصناعة التى أشرنا إليها قبل ثلاثة أو أربعة صفحات. فبالمقارنة مع المناطق الحضرية الصناعية الحديثة والكبيرة الحجم، كانت المدن التقليدية بالغة الصغر، وذات أسوار، وتوزيع ثابت للأحياء السكنية يحيط بمنطقة ممارسة الطقوس والأسواق المحددة تحديداً واضحاً.

ثانياً، من الخطأ أن نفترض – كما يبدو أن ويرث يفعل – أن وصفاً للحضرية يدعى لنفسه سمة العمومية يمكن أن ينهض على خصائص المدن وحدها فقط. فالمدن تعبر عن – كما تحمل فى طياتها فى الآن معاً – جوانب من المجتمع الأوسع التى تعد هى ذاتها جزءً منه. وترتبط هذه الملاحظة ارتباطاً وثيقاً بالملاحظة الأولى. ففى مجتمعات ما قبل الرأسمالية، كانت توجد جوانب تتوازى فيها الحياة فى المدن مع الحياة فى المناطق الريفية. ففى كليهما كانت التقاليد تمارس تأثيراً قوياً حتى فى أوساط الصفوات الأقرب إلى الكوزموبوليتانية، كما أن أغلب العلاقات كانت ذات طابع شخصى أكثر من كونها لا شخصية كما يصورها ويرث. وفى جوانب أخرى، كان التعارض بين المدينة والريف يبدو أعظم شأنا وأبعد مدى مما هو موجود الآن فى المجتمعات الحديثة. والواقع، كما سوف أوضح بعد قليل، أن هذا التعارض يفقد دلالته فى المجتمعات المعاصرة. فالمدن ليست مجرد وجود "داخل" مجتمعات ما قبل الرأسمالية. ففى إطار علاقتها المعقدة والمتباينة مع الريف، باتت المدن ذات أهمية جوهرية فى تنظيم عموم أمور الحياة فى هذه المجتمعات. فتعبيرات المدينة، والحضارة، والدولة عادة ما تستخدم، ولأسباب لها وجاهتها، كمترادفات فى أدبيات علمى الآثار والأنثروبولوجيا. وينطبق ذات المبدأ النظرى على الحضرية فى المجتمعات الحديثة. بعبارة أخرى، لن يتسنى

تحليل طابع المدينة على النحو الملائم إلا فى علاقتها بالملامح العامة للمجتمعات الحديثة ككل. مرة ثانية، تبدو المدينة هنا كجزء من مؤسسات المجتمع ككل، ومؤثر رئيسى فيها فى الآن معاً. على أن طابع الحياة الحضرية اليوم يختلف كلياً عن ذلك الذى كان يسم المدن القديمة، حيث يعكس الطابع الهائل والعميق للتحولات الاجتماعية التى أحدثها بزوغ نجم الرأسمالية.

ثالثاً، تنطوى صياغة ويرث على بعض العناصر الأكثر مدعاة للشك فى نظرية المجتمع الصناعى، وذلك على الرغم من أنه يسعى - تحديدا- إلى تطوير اتجاه قابل للتطبيق على المدن فى كافة أنماط المجتمعات. فنظرية المجتمع الصناعى، كما أشرت فى فصل سابق من هذا الكتاب، تنطوى فى صورها المختلفة على مفهوم ثنائى للتغير الاجتماعى، يقابل بين **المجتمع التقليدى والمجتمع الصناعى**. وقد مارست هذه الثنائية المفاهيمية، سواء استخدم أصحابها تعبير "المجتمع الصناعى" تحديداً أو لا، تأثيراً واسع النطاق فى العلوم الاجتماعية. وأحد أكثر هذه الأفكار شهرة هى تلك التى صكها المفكر الألمانى فرديناند تونيز عند مطلع القرن العشرين. فقد تحدث تونيز عن انتقال المجتمع بعامة من المجتمع المحلى (Gemeinschaft = Community)، إلى المجتمع أو الرابطة (Gesellschaft = association). والمجتمع المحلى هو المناظر لتعبير المجتمع الصغير أو **المجتمع المتماسك** Integrated Community عند ويرث، وهو ذلك الذى يسوده **التعبير التلقائى عن الذات**. أما المجتمع أو الرابطة فتحل فيه العلاقات اللاشخصية والذرائعية بصورة متزايدة مصاحبة لنمو المجتمعات الحديثة الكبيرة الحجم محل السمات السائدة فى المجتمع المحلى. وقد عول ويرث على أفكار تونيز من بين آخرين، وعلى وجه الخصوص جورج زيمل، فى صياغة تحليلية للحضرية. وعلى الرغم من أن ويرث قد حافظ على قدر من النكهة التطورية، حيث يذهب إلى أن الحضرية تصبح - بصورة متعاظمة - هى الشكل المهيمن فى المجتمعات المعاصرة، إلا أن الثقل الأعظم لتحليله يركز على تحويل بؤرة الاهتمام للنظر فى التعارض بين الريف والحضر. ومع ذلك، فإن هذا يفضى به إلى نوعين من أوجه القصور. فمن

ناحية، وكما أشرنا للتو: تعد معاملة فكرة المجتمع عند تونيز باعتبارها معـادلا للحضرية أمرا غير مقبول. ويرجع ذلك إلى أن نمط التحضر فى المجتمعـات قبل الحديثة يختلف فى معظم جوانبه اختلافا كبيرا عن الحضرية الحديثة. غـير أن مفهوم ويرث للحضرية يمكن أن ينتقد نقدا بناء من خلال المقابلة بينه وبيـن أفكار مشتقة من وجهة النظر البديلة التى تطرحها الماركسية. والواقع أن بعضـا من أهم الإسهامات الحديثة فى تحليل الحضريـة المعـاصرة تدين بـالفضل للماركسية. وتساعد هذه التحليلات، كما سوف أوضح، فى إلقاء الضـوء علـى الأسباب التى تجعل من بعض عناصر الحضرية التى يحددها ويـرث تنطبـق حصرا على العصر الحديث.

وأخيرا، يلاحظ أن اتجاه ويرث - بقدر ما يستوعب فـى إطـاره فكـرة المماثلة الإيكولوجية - يعانى من الحدود المفروضـة علـى نمـوذج النزعـة الطبيعـة فى علم الاجتماع. فالنسق الإيكولوجى لأحياء المدينـة ينظـر إليـها باعتبارها نتاجا - كما يقول بارك صراحة - لسلسة من العمليات الطبيعية التـى تحدث كوقائع موضوعية فى العالم الفيزيقى. ومنظورا إليها بهذه الطريقة، تبـدو هذه العمليات وكأنها ذات طابع غير قابل للتغير، شأنها فى ذلك شأن القوانيـن الطبيعية. فإذا ما أخضعنا الحضرية للتحليل من وجهة النظر التى عرضتها فـى الفصول الأولى من هذا الكتاب، فسوف نجد أنفسنا أمام رؤيـة مختلفـة تمامـا للقضية.

* * *

كيف يمكن لنا أن نصف الفروق النوعية العامة بين المدن القديمة والتحضر الرأسمالي ؟ لقد أكدت أن الإجابة على هذه السؤال يجب أن تربط ما بين التحضر والسمات الأكثر عمومية للمجتمعات، ومن ثم بالتحولات الاجتماعية العامة التي أفرزتها نشأة الرأسمالية وتطورها. ففي مجتمعات ما قبل الرأسمالية، كانت المدينة هي مركز قوة الدولة، كما كانت تشهد قدراً محدوداً من العمليات الإنتاجية والتجارية، وكانت الغالبية العظمى من السكان تعمل في مهن زراعية. وقد انطوى ظهور الرأسمالية، ورسوخها كرأسمالية صناعية، على انتقال عارم للسكان من البيئات الريفية إلى البيئات الحضرية. ولكن هذا كان نتيجة للتغيرات العميقة في طبيعة الحضر التي أفضت بدورها إلى مزيد من الاستثارة لهذه التغيرات.

وأحد المؤشرات على ذلك هو أنه إبان النمو الأولي للرأسمالية الصناعية في بريطانيا في أواخر القرن الثامن عشر، لم تكن معظم مراكز الصناعة المبكرة تقع في المدن الكبرى. وتقدم مدينة مانشستر واحداً من أكثر الأمثلة الصارخة على النمو الحضري. ففي عام ١٧١٧ كانت ما تزال مجرد بلدة صغيرة يبلغ تعدادها حوالي عشرة آلاف نسمة. وبحلول عام ١٨٥١ تحولت المدينة إلى بؤرة للصناعة والتجارة في منطقة لانكشير، وأصبحت تضم في جنباتها حوالي ٣٠٠,٠٠٠ نسمة. وعند بداية القرن العشرين – ومع امتدادها إلى البلدان المحيطة – كان عدد سكان منطقة مانشستر يبلغ مليونين وأربعمائة ألف نسمة. وتوثق مثل هذه الملاحظات واقع أن الدافع المحرك لانتشار التحضر في أخريات القرن الثامن عشر وأثناء القرن التاسع عشر يختلف جذرياً عن العوامل الكامنة وراء الأشكال السابقة من التحضر. ومع ذلك، فإنها لا تكشف عن الطابع المميز للتحضر الجديد.

ولعله من الممكن لنا أن نلقي الضوء بأفضل صورة على سمات التحضر المعاصر وعلاقته بالتطور الرأسمالي بالعودة إلى مفهوم ماركس عن إنتاج

السلع للسوق Commodificatien. ولقد أشرت فيما سبق لهذه الفكرة حال مناقشتى لتفسير كلاوس أوفه Offe للدولة الرأسمالية. وفى رأى ماركس أن فكرة إنتاج السلع للسوق تمثل أساسا لتحليل النظام الرأسمالى: بيع وشراء السلع، بما فى ذلك قوة العمل، بهدف توليد الربح، الذى يعد جوهر المشروع الرأسمالى.

ولذلك لا ينبغى أن تعترينا الدهشة حين نكتشف أن إنتاج السلع للسوق قد اتسع نطاقه ليستوعب البيئة التى يعيش فيها الإنسان. ويمكن لنا أن نفهم التحضر الحديث وأساليب الحياة الاجتماعية المرتبطة به بالنظر إلى الكيفية التى يتم بها *إضفاء الطابع السلعى على الحيز المكانى* فى المجتمعات الرأسمالية. فعلى الرغم من أنه كان هناك قدر كبير من التنوع فى المجتمعات قبل الرأسمالية، إلا أن الأرض فى الريف والمدينة، على حد سواء، لم تكن سلعة قابلة للتداول أو أنها كانت خاضعة لمحاذير فيما يختص بقابليتها للتداول. (تعنى القابلية للتداول هنا إمكانية نقل الملكية من خلال شكل ما من أشكال الدفع أو سداد الثمن من مالك لآخر). إلا أنه ومع بزوغ الرأسمالية، أصبحت الأرض والمبانى موضوعات للتداول الحر كسلع يمكن أن تباع وتشترى فى السوق.

لقد عمل إضفاء الطابع السلعى على الحيز على ربط البيئة الفيزيقية بنظام الإنتاج الرأسمالى ككل. وقد كان لذلك عدد من الآثار:

١- أصبح التحضر الرأسمالى "بيئة مخلقة" قضت على عملية التقسيم السابق إلى ريف ومدينة. لقد كانت مدينة ما قبل الرأسمالية تعيش فى إطار علاقة تابعة، إلا أنها كانت متميزة بوضوح عن الريف. أما فى ظل الرأسمالية فنجد الصناعة تتجاوز الخطوط الفاصلة بين الريف والمدينة. وهكذا، تصبح الزراعة نشاطاً رأسمالياً مميكنا يخضع لتأثير عوامل اجتماعية - اقتصادية مماثلة لتلك السائدة فى القطاعات الإنتاجية الأخرى. ويرتبط بهذه العلمية تضاؤل الفروق - فى أساليب الحياة الاجتماعية - بين الريف والحضر بصورة متزايدة. وبقدر ما يتم النظر إلى الحيز كظاهرة اجتماعية وليس ظاهرة فيزيقية خالصة، فإن الريف والمدينة بحد ذاتهما سوف يختفيان من الوجود. وسيحل محلهما تباين

بين البيئة العمرانية وبيئة الحيز المفتوح[٦].

٢- عاش الناس فى كافة المجتمعات قبل الرأسمالية، فى وضعية قريبة من الطبيعة، وكان الناس فى العديد من الثقافات يعتبرون أنفسهم بمثابة مشاركين فى العالم الطبيعي بأساليب أصبحت غريبة تماماً على الغرب. على أن البيئة العمرانية للمجتمعات الرأسمالية تقيم تفرقة جذرية بين الحياة البشرية والطبيعة. ويتبدى هذا أول ما يتبدى فى مكان العمل الرأسمالى حيث نجد أن مهام العمل والسياق الفيزيقى للمصنع أو المكتب تعزل البشر عن تأثير التربة، أو المناخ، أو دورة الفصول. فضلاً عن ذلك، نلاحظ أن مكان العمل الكائن فى بيئة حضرية تتسم بالطابع السلعى للحيز يدعم هذا التوجه بقوة. وهكذا يقضى أغلبنا اليوم معظم حياته فى ظل سياقات من صنع البشر بكاملها.

٣- ترتبط الظواهر المؤثرة فى توزيع الأحياء السكنية بالملامح العامة للمجتمعات الرأسمالية وتضفى عليها فى ذات الوقت بعداً إضافياً. وقد يبدو هذا التعليق على أنه ذا نزعة واقعية، غير أنه فى الواقع يكتسب قدراً من الأهمية بالنظر إلى علاقته بالمناقشات الحديثة الدائرة حول المدينة المتأثرة بالماركسية. فلقد عبر بعض الكتاب بقوة عن وجهة النظر القائلة بأنه لا يمكن - ولأسباب ذات علاقة بالنقطتين الأوليين اللتين أثرتهما أعلاه - أن يوجد شيء أسمه **علم الاجتماع الحضرى**. فإذا ما كانت البيئة المصنوعة (فى مقابل الطبيعية) هى ملمح لا ينفصم من ملامح المجتمع الرأسمالى، فسيترتب على ذلك أن تحليل هذه البيئة يمكن أن يشتق مباشرة من فهم شكل المجتمع ككل. والواقع أننى أتعاطف مع هذه الرؤية كل التعاطف، حيث يبدو لى أن الظواهر التى ناقشتها فى الفصول السابقة - الإنتاج الرأسمالى، والصراع الطبقى، والدولة - مرتبطة جميعاً بصورة مباشرة بتحول البيئة الحضرية إلى بيئة عمرانية مصنوعة.

ومع تسليمى بهذه الأشياء، إلا أنه ما يزال من الضرورى فيما يبدو أن نصوغ مفاهيم يمكن بواسطتها تحليل التحضر الرأسمالى بطرق تسمح بالكشف عن الأشكال التى تتخذها هذه العلاقات مع المجتمع ككل. وتمثل صياغة ركس Rex لما يطلق عليه نظرية فئات الإسكان محاولة لإنجاز هذا الأمر على وجه

التحديد[٧].

ولقد صيغت أفكار ركس كمحاولة مركزة لتطوير تفسير لتنظيم الأحياء ونمو المدينة يمكن أن يلقى قدراً أكبر من القبول من ذلك التفسير الذى طوره علماء مدرسة شيكاغو. ويؤكد ركس على أن الاتجاه الإيكولوجي ينهض على وجهات نظر مفرطة فى نزوعها الميكانيكى فى فهم العمليات الإيكولوجية التى يفترض فيها أن تحدد خصائص الأحياء السكنية فى المدينة. وهو يحاول أن يستبدل هذه الرؤية بمنظور يعطى قدر أكبر من الاهتمام للمحاولات النشطة لسكان المدينة للتأثير فى السياق الاجتماعى الذى يعيشون فيه. وحيث أن مناقشاته للقضية تنهض على مادة إمبيريقية مشتقة من المجتمع البريطانى، فإنها تقدم نموذجاً يمكن أن يقابل اتجاه مدرسة شيكاغو إلى الاعتماد الفائق على البحوث الأمريكية. فهو يقدم قدراً لا يستهان به من التحليل الحضرى.

ونقطة البداية عند ركس هى نمو المستقرات الصناعية فى بريطانيا إبان القرن التاسع عشر. ويضرب المثل لذلك تنمو مدينة بيرمنجهام فى تلك الفترة. ففى المراحل الأولى لنمو هذه المستقرات، مالت أنماط توزيع المناطق السكنية إلى التأثر مباشرة بمتطلبات واحتياجات أصحاب العمل. فقد أنشئت منازل رجال الصناعة وغيرهم من الأعيان المحليين فى تلك المناطق التى تتمتع بسهولة الوصول إلى الخدمات المركزية، فى ذات الوقت الذى تجنبت فيه المناطق الكئيبة والملوثة بعوادم المصانع. وبينما ظلت الصناعات المنزلية الصغيرة تلعب دوراً هاماً فى الإنتاج - واستمر الوضع كذلك لفترة طويلة من القرن التاسع عشر - فإن أصحاب الأعمال قد تحللوا جزئياً من مسئولية توفير أماكن لسكنى عمالهم. ومع ذلك فقد قاموا ببناء هذه المساكن بصورة متزايدة، فعمد بعضهم إلى إقامة معسكرات للعمال فقط، ولكنهم فى الغالب قاموا ببناء مجموعات من المنازل لسكن أسر العمال حول المصانع أو قرب السكك الحديدية. ولم تكن هناك أية محاولة للحفاظ على عناصر من الحياة الجماعية للقرى الزراعية التقليدية، مع أنه سرعان ما تطورت ثقافة جمعية حول الإحساس بوطأة الحياة الحضرية الجديدة.

وبحلول نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين تحلل هذا التقسيم الطبقى الواضح للمساكن. وقد حدث ذلك بفعل عوامل نمو الصناعة والسكان والمناطق الحضرية. وإن كانت هناك عوامل أخرى أكثر تحديداً لعبت دوراً فاعلاً فى ذلك. فتوفير الإسكان من قبل أصحاب الأعمال أدى إلى جمود رأس المال الذى كان من الممكن استثماره فى أنشطة أخرى أكثر ربحية، كما عمل الالتزام السكنى على الحد من حراك المستخدمين. ثم كان تطور نظام طبقي اكثر تبايناً من العوامل المهمة التى أدت إلى خلق طلب على مساكن أكثر تميزاً عن مساكن العمال القديمة من جانب العمال المهرة وذوى الياقات البيضاء. وهكذا استقلت إمكانية استقطاب العمال عن توفير الإسكان والخدمات البلدية الأخرى، حيث تولت شركات متخصصة ذات أحجام متفاوتة تقديم هذه الخدمات الأخرى. والملاحظ أن هذه المنازل التى تم تمويلها بواسطة نظام الرهن العقارى كانت مملوكة لقاطنيها.

منذ بواكير القرن العشرين، إذن، حدث نمو فى **أسواق الإسكان**، وقد ارتبط هذا النمو برأس المال الصناعى والمالى من ناحية، وبأسواق العمل من ناحية أخرى. وفى ضوء هذا المعنى يمكن لنا أن نسعى إلى فهم الأنماط الإيكولوجية للحراك وعزلة الأحياء السكنية التى لاحظها باحثو مدرسة شيكاغو. وتنجم هذه المظاهر – فى رأى ركس – عن الصراع على أنماط السكن النادرة والمرغوبة، بحيث تفضى إلى تجميع السكان فى "فئات سكنية". ويمكن لنا أن نميز فى المدن الكبرى بين عدد الفئات السكنية. وتشتمل هذه من بين شرائح أخرى، على الملاك الخُلصّ الذين يقيمون فى منازل فى أكثر المناطق المرغوبة، وأولئك الذين يملكون منازلهم بنظام الرهن العقارى ويقيمون بها فى مناطق مرغوبة بدرجة أقل من سابقتها، والأشخاص الذين يقيمون فى مساكن مؤجرة من القطاع الخاص، فضلاً عن الأشخاص الذين يقيمون فى مساكن مؤجرة من الدولة. ولقد انتقل أولئك الذين ينتمون إلى الفئات السكنية الأكثر حظوة فى العديد من المدن الكبرى، من مركز المدينة، إما إلى الضواحى الداخلية المفضلة فى قلب المدينة، أو فى أحيان أخرى إلى خارج المدينة كلية. أما شريحة الملاك المقيمين الأقل

حظاً – والخاضعين لنظام القروض العقارية – فقد سعوا هم أيضاً إلى الانتقال بعيداً عن قلب المدينة، وقد ساعدوا بذلك على خلق الدافع للتوسع المستمر للمدينة باتجاه الضواحى الخارجية. والأغلب أن يعيش أعضاء الطبقة العاملة – باستثناء بعض شرائح العمال المهرة – فى منازل مستأجرة من الحكومة فى مجاورات سكنية عادة ما تكون قريبة من قلب المدينة.

ويمثل الحصول على إسكان حكومى طويل الأجل أحد جوانب نضال الحركة العمالية التى وصفناها فى فصول سابقة. وقد بادرت الأحزاب الاشتراكية أو أحزاب العمال فى معظم البلدان ببناء هذه النوعية من المساكن وصيانتها، على الرغم من أن عملية البناء ذاتها عادة ما يضطلع بها مقاولو القطاع الخاص. ويذهب ركس إلى القول بأن الأهلية للحصول على إسكان حكومى وتأمين رهن عقارى، يمثلان بعدين أساسيين من أبعاد الصراع الطبقى على الإسكان. فمعظم الناس يأملون فى أن يمتلكوا منازلهم، ويسعون إلى الحصول على قروض عقارية ما أمكنهم ذلك. ومع ذلك، فإن أولئك الذين يشغلون وظائف مضمونة وذات أجور جيدة، وبخاصة ذوى الياقات البيضاء، نجدهم أكثر ميلاً إلى استثمار نسبة محترمة من دخولهم للحصول على قرض عقارى، ومؤهلين بقدر أكبر للحصول عليه فى الآن معاً. ومع ذلك فإن الإسكان الحكومى يمثل موضوعاً للصراع، نظراً لأن العرض نادراً ما يكفى لمواجهة الطلب. والواقع أن الجماعات التى استطاعت الحصول إلى إسكان حكومى تميل إلى الدفاع عن نظام التخصيص الذى استطاعوا من خلاله الحصول على فرصة الإقامة فى الإسكان الحكومى، أو هى تسعى إلى توسيع نطاقه.

وعادة ما يكون المستفيدين من الإسكان الحكومى فى إطار الصراع الطبقى الحضرى ليسوا من بين الفئات الأكثر حرماناً. وهم يدخلون فى منافسة مع تلك الفئات المحرومة من القدرة على الحصول على القروض العقارية والإسكان الحكومى فى الآن معاً. ونتيجة لذلك، تضطر هذه الفئات المحرومة إلى الاستئجار من القطاع الخاص، حيث يجدون أنفسهم فى ظروف تجعلهم عرضة للاستغلال بدرجة كبيرة من قبل ملاك معدومى الضمير. فيضطرون لاستئجار

منازل لا تخضع لقوانين تحديد الإيجارات، كما أنهم يفتقرون إلى الحماية التى يتمتع بها القاطنون فى الإسكان الحكومى.

وغالباً ما تنتهى هذه الجماعات إلى سكنى ما يطلق عليه بحاثة مدرسة شيكاغو **المنطقة الانتقالية**، أى تلك المناطق القذرة والفقيرة التى تقع فى العادة على تخوم أحياء الأعمال والترفيه التى تشغل قلب المدينة. وعادة ما يقطن المناطق الانتقالية هذه نسبة عالية من الأفراد الذين يعيشون فى شقق صغيرة شديدة التزاحم أو فى غرف مؤجرة، وعادة ما تكون هذه فى المناطق التى يقصدها المهاجرون الجدد. إلا أن هذه المناطق تمثل بالنسبة للمهاجرين الذين يعانون عادة من التمييز العنصرى ضدهم أكثر من مجرد منطقة انتقالية. ويتبدى هذا بأكبر قدر من الوضوح فى المدن الأمريكية حيث نشأت أحياء فقيرة تتسم بقدر من الاستمرار، غير أننا يمكن أن نصادف ظاهرة مشابهة - وإن بدرجات متفاوتة - فى البلدان الأخرى التى تعيش فيها أقليات عرقية يمكن تمييزها بوضوح عن أغلبية السكان. ولقد ظهرت أحياء السود فى الولايات المتحدة الأمريكية فى أعقاب الهجرة من الجنوب إلى الشمال إبان السنوات السابقة على الحرب العالمية الأولى مباشرة(٨).

وثمة فروق رئيسية بين أنماط حراك البيض والسود فى المناطق الحضرية. فحراك البيض عادة ما ينطوى على قطع مسافات طويلة: من أحد الأحياء السكنية إلى حى آخر منفصل عنه تماماً فى ذات المدينة، أو بين مدن ذات مواقع جغرافية بعيدة عن بعضها البعض. فى حين أن حراك السود عادة ما يحدث فى إطار مسافات أكثر قصراً. وقد حدث هذا حال غزو السود للضواحى البيضاء فى الخمسينيات والستينيات، ويكمن هذا التعارض وراء التدهور المستمر لمناطق قلب المدينة. وحيث أن الأحياء الفقيرة تميل إلى أن تتسم بالثبات، وبخصائص ثقافية تميزها عن الأحياء السكنية الأخرى، فمن الطبيعى أن يفضى ذلك إلى ترسيخ التمايز العرقى والمكانى(٩).

ويطرح ثبات أحياء السكن الفقير، على الرغم من المعدلات العالية للحراك المكانى الفردى فى إطارها، مشكلات هائلة بالنسبة لأولئك الذين يودون هجرها.

ولكن مثل هذه المناطق يمكن أن تصبح بؤرة لحركات الاحتجـــاج الحضــرى الجديدة، التى يمكن لها أن تعيد تخليق علاقات التبادل المحلية التى تظهر علـــى استحياء فى المناطق الحضرية المترفة.

ويبدو لى أن نوع التحليل الذى يمكن أن يتم تطويره بالاستناد إلى مقـولات ركس صحيح فى جوهره. فبوضعه توزيع الأحياء السكنية فى قلب النضال الحى للجماعات المنخرطة فى سوق الإسكان، يؤكد ركس على العوامل ذات الأهميــة العامة فى المجتمعات الرأسمالية. ومع ذلك يتعين تســجيل عــدد آخــر مــن الملاحظات فى هذا الصدد. فعلى الرغم من أننى لا أعتقد أنه من المفيــد علــى وجه الخصوص الحديث عن فئات سكنية كما يفعل ركس، إلا أنه من الصحيــح التأكيد على أن الصراعات الحضرية عادة ما تكون مزمنة، وكثيفة، وبالغة الحدة شأنها شأن الصراعات فى المجال الصناعى، وأن أسواق الإسكان لها ملامحــها الخاصة التى لا يمكن أن تختزل مباشرة إلى مستوى مجال الصناعى.

وعوضاً عن النظر إلى الصراعات الحضرية باعتبارها تتضمـــن فئــات سكنية متمايزة عن بقية النظام الطبقى، فإنه يبدو من الأفضل معالجة مثل هــذه الصراعات باعتبارها عاملاً مساهماً فى صياغة الطابع العــام للبنــاء الطبقــى لمجتمع ما. ويمكننا عندئذ أن نرى الأنماط المختلفة من تنظيم الأحياء الســكنية، وأساليب الحياة، باعتبارها تدعم بعض جوانب التقسيم الطبقى فى ذات الوقـــت الذى تتقاطع فيها مع بعضها البعض. فالتباين فى القدرة على الحصـــول علــى قروض الإسكان، على سبيل المثال، قد يميل إلى تدعيم الانقســام بيــن العمــل اليدوى والعمل العقلى، إلى حد الذى يكون فيه لأولئك الذين يشــغلون وظــائف ذوى الياقات البيضاء نصيباً غالباً من تمويل الرهونات العقارية المتاح. وتميــل أنماط التمييز السكنى إلى تجميع الجماعات التى تتعرض للتفرقة العنصرية فــى مناطق معزولة عن الكتلة الغالبة من أبناء الطبقة العاملة الوطنية، ولكنــها مــن ناحية أخرى، قد تكون مصدراً هاماً للشقاق فى إطار الطبقة العاملة ككل.

وتنهض مناقشة ركس علــى مــادة إمبيريقيــة مســتفادة مــن المجتمــع البريطـــانى، ولذلك ينبغى علينا أن نكون حذرين فى التعميم استناداً إلـــى هــذه

المادة الإمبيريقية، مثلما هى الحال بالنسبة للتعميم بناء علــى نتــائج البحــوث الأمريكية. لقد شهدت مناطق قلب المدينة قدراً أكبر من التدهور فى أغلب المدن الحضرية الكبرى فى الولايات المتحدة مقارنة بما هى عليه الحال فى أوروبــا. ويرجع هذا جزئياً - بلا شك - إلى الدور الأكثر أهمية الذى يلعبــه التخطيـط الحضرى فى أغلب البلدان الأوروبية، وإلى وفرة المعــروض مــن الإســكان الحكومى فى هذه الأخيرة. وإذا ما كانت هذه التباينات سوف تخضــع لفحــص أكثر تعمقاً فى التفاصيل، فلابد لنا أن نولى قدراً أكبر مــن العنايــة والاهتمــام بالأساليب التى تتفاعل بها الدولة وراس المال الصناعى والمالى فى الآن معاً مع أنشطة السكان فى الأنماط المجتمعية المختلفة. وليس من العسير أن نتبين علاقة مناقشة كلاوس أوفه للدولة بمثل هذا العمل. ويرجع ذلك إلى أن الأسباب التــى تفرز عملية إضفاء الطابع السلعى على الحيز فى الأماكن الحضريــة الحديثــة دائماً ما تتــوازن بفعل عمليات تراجع الطابع الســلعى Decommodification. ويعتبر إنشاء الإسكان الحكومى، والتخطيط الحضــرى، وقوانيــن الإيجــارات والاستثمارات، والحفاظ على المنشآت المجتمعية العامة مثل الحدائــق وأمــاكن الترويح من الأمور المهمة فى هذا المقام.

كما أنه من الأمور البالغة الأهمية التساؤل حول مدى ارتبــاط خصــائص التحضر - التى عرضنا لها فى الصفحات السابقة - بالمجتمعات الرأسمالية على وجه خاص، وإلى أى مدى تعتبر هذه السمات عامة بالنســبة لأى نمــط مــن أنمــاط النظام الاجتماعى الحديث الذى بلغ مستوى معيناً من التصنيع. ويعد هذا السؤال بالطبع مجرد جانب واحد من القضية الأكثر عمومية التى طرحناها سالفاً فى هذا الكتاب: ما إذا كانت المجتمعات الصناعية تميل إلى أن تطــور ســمات متماثلة بغض النظر عن أصول مساراتها التنموية.

وقد نشر فى السنوات الأخيرة عدد من الدراسات حول التنظيم الحضــرى فى شرق أوروبا مما يسمح بتناول القضية بدرجة معقولة من العمومية. وتكشف هذه الدراسات عن أن العديد من الملامح الرئيسية التى انطوت عليها العمليــات التى حللها ركس لا وجود لها أو أنها تتخذ فى بلدان شرق أوروبا صورة شـديدة

التعارض لتلك السائدة فى بريطانيا. فأراضى المدن فى أوروبا الشرقية تخضع فى الغالب الأعم لسيطرة الدولة، كما أن أسواق العقارات أكثر محدودية وضيقا من نظيراتها فى الغرب. كما أن بناء الوحدات السكنية يتم بواسطة الشركات التى تعتبر إما جزء من جهاز الدولة، أو تخضع لمراقبة دقيقة من قبلها. ولا يتأثر محل إقامة الشخص بمقدار ما يمكنه أن يدفع كإيجار فى المحل الأول؛ كما أنه ليس هناك حرية مطلقة للحراك من مدينة إلى أخرى أو من منطقة إلى أخرى. ويروى شيلنى Szelinyi قصة عن زميل باحث من المجر مهتم بقضايا الإسكان، كان يتبادل معه شيلنى الملاحظات الميدانية وتقارير الأبحاث. وبعد أن أطلع هذا الزميل على تحليل شيلنى لبحثه وما يترتب عليه من آثار، تساءل فى حيرة: "هل معنى ذلك أنك تذهب إلى القول بأن الناس يجب أن يسكنوا حيث يرغبون؟" لقد أدهشته الفكرة وأحبطته فى الآن معاً، نظراً لأنه إذا ما ترك الناس ليتبعوا أهواءهم بالنسبة إلى نوع المسكن الذى يرغبونه وموقعه، فما الذى سوف يبقى للمخططين الحكوميين ليفعلوه؟(١٠).

وهناك بالطبع قواعد تنظيمية حكومية مركزية ومحلية تضبط الجوانب المختلفة للتنمية الإسكانية، وتحدد نطاق الأحياء السكنية فى المجتمعات الغربية أيضا. وهناك أيضا تخطيط للمدن بدرجة أو بأخرى. ولكن نطاق وطبيعة مثل هذه القواعد التنظيمية والتخطيط تسمح لأسواق الإسكان أن تزدهر فى ظل شروط الحرية النسبية للحراك الفردى. فالقرارات التى تحكمها فى الغرب الأسعار والقدرة على الدفع تخضع فى أوروبا الشرقية لسيطرة الإدارة الحضرية. وقد استطاع شيلنى - استناداً إلى بحوثه فى المجر وبالمقارنة مع مجتمعات أوروبا الشرقية الأخرى - أن يوثق بعض الفروق المتسقة بين مدن شرق وغرب أوروبا. فقد نهضت مخططات إسكان وإعادة أعمار ما بعد الحرب العظمى فى المجر على افتراض أن الإسكان ليس سلعة، بحيث أنه لم يكن هناك ضرورة لأن تكون الإيجارات مرتبطة بنوعية الوحدة السكنية. لقد قضى بأن الإيجار يجب أن يمثل جزء بسيطاً من بنود الإنفاق الأسرى، وأن الأسر - لا الأفراد - يجب أن يكون لها الحق فى السكن بغض النظر عن قدرتها على دفع

إيجار محدد.

ولقد نتج عن ذلك توزيع للأنماط السكنية والأحياء الحضرية، مختلف كلية عن ذلك السائد فى معظم المدن الغربية. فالوحدات السكنية التى بناها مقاولو القطاع الخاص، والتى كانت تباع وتشترى فى السوق - والتى مثلت جزءاً صغيراً من رصيد الإسكان - آلت أغلبيتها إلى أيدى الشرائح الدخلية الأدنى. أما أولئك من ذوى المكانات الأعلى، مثل موظفى الحكومة والمهنيين، فقد مالوا إلى العيش فى شقق تملكها الدولة وتصونها. لقد كانت هذه الشرائح المترفه هى التى تدفع أقل مقابل لسكنها، فى الوقت الذى كانت تحصل فيه على إسكان فاخر. ونشأ هذا الوضع من سياسات الضمان والبدل التى كانت تعمل لصالح المسئولين الرسميين، بالإضافة إلى واقع أن الفئات الدخلية الأعلى مالت بصورة متفاوتة إلى وراثة المساكن المتميزة التى آلت إليها فى سنوات ما قبل الحرب.

لقد تطورت حدود المناطق السكنية فى مجتمعات الغرب الرأسمالية بصفة أساسية بفعل القيمة السوقية للمساكن والأراضى. وأما فى أوروبا الشرقية، فقد تأثر تحديد النطاقات الحضرية بقدر أكبر بكثير بقوة القرارات الإدارية. ولا يعنى هذا عدم وجود تباين واضح بين ما يطلق عليه ركس "الفئات السكنية"، بل يعنى أن آليات التخصيص مختلفة عن تلك السائدة فى أغلب المدن الغربية. فهناك مناطق متدهورة، ولكن هذه المناطق لا تميل إلى التمركز حول مركز المدينة كما هو مألوف الحال فى الغرب. وبخاصة فى الولايات المتحدة. فأغلب أراضى وسط المدينة مملوكة للدولة، وحول مركز المدينة عادة ما يكون هناك مناطق ذات رصيد سكنى متميز، فى حين تقع المنطقة الانتقالية إلى الخارج من هذه الدائرة. وتميل الأحياء السكنية إلى أن تكون أكثر تجانساً بكثير من حيث طابع الملكية ونمط السكن مقارنة بواقع الحال فى المدن الغربية.

وتدعم هذه الاستنتاجات وجهة النظر التى أشرنا إليها فيما سبق، والقائلة بأن التفاوت بين مناطق المدينة وأنماط الإسكان ليس "عملية طبيعية"، ولكنه مرتبط بالجوانب الأكثر رحابة للتنظيم الاجتماعى. وفى ذات الوقت، فليس من المعقول الادعاء بأنه ليس هناك عمليات تؤثر فى تطور الحياة الحضرية فى

كافة المدن الحديثة. معنى هذا أن تحضر أوروبا الشرقية يعد شكلاً مختلفاً عـــن المدينة التقليدية، شأنه فى ذلك شأن تحضر الغرب. ولذلك، فمن المناسب حـــال اختتام هذا الفصل أن نعود مرة أخرى إلى المستوى الأكثر عمومية.

* * *

الحضرية والحياة اليومية

على حين أن توصيف ويرث للحضرية كأسلوب للحياة قد يكون قـاصراً إلى حد بعيد فى دلالته بالنسبة للمدن بصفة عامة، إلا أنه من الممكن القول بأنـه يلقى الضوء بالفعل على جوانب مهمة من التحضر الحديث ككل. وربما أمكننـا أن نعبر عن ذلك بأفضل صورة ممكنة بالقول بأن ظهور المدينة الحديثة إلـى حيز الوجود يدعم نسيجاً للحياة اليومية يختلف تمام الاختلاف عن ذلك الذى كان سائداً فى المجتمعات التقليدية. ففى هذه الأخيرة، كـان تـأثير العـادات قوياً وبـارزاً على الدوام، وحتى فى حياة المدن اليومية كان أغلبية السكان يتطبعون بطابع أخلاقى يتسم بارتباط الحياة اليومية بالأزمات والتحولات فـى الوجـود الشخصى - نتيجة للمرض والوفاة، ودورة حياة الأجيال. فقد كانت هناك أطـر أخلاقية ذات جذور دينية فى العادة، وكانت هذه الأطر تقدم حلولاً نمطية جاهزة لمواجهة تلك الظواهر أو التوافق معها عن طريق الامتثال للممارسات التقليديـة الراسخة.

وقد انطوى تحلل مثل هذه الممارسات على عمليـات معقـدة ومتغـايرة. ولكـن ليس شك من هناك فى أن الخصائص الشكلية للحياة اليومية التى تلقـت دعماً من نمو التحضر الحديث تختلف أشد الاختلاف عن تلك التى كانت سـائدة فى الأنماط السابقة من المجتمعات. ويبدو لى من المفيد فى هذا المقام أن نسـير على هدى خطى هنرى لوفافر فى حديثه عن ظهور شكل متميز للحياة اليوميـة ذى طابع نظامى بالغ الوضوح، ومجرد من المعنى الأخلاقى ومما يطلق عليـه "شاعرية الحياة" Poetry of Life. فأغلب ما نفعله على مدار حياتنا اليومية فـى المجتمعات الحديثة، ذا طابع وظيفى خالص فى جوهره. وينطبق هـذا، علـى سبيل المثال، على الملابس التى نرتديها، والنظام اليومى الذى نتبعه، وأغلـب ملامح المبانى التى نعيش ونعمل فيها. وبالمقابل، وبكلمات لوفافر "كـانت كـل التفاصيل الدقيقة، عند الإنكا والأزتك وفـى اليونـان أو رومـا - الإيمـاءات والكلمات والأدوات والأوانى والعادات إلخ - تحمل فى طياتها طـابع الأناقـة

Style. فلم تكن الأشياء قد افتقرت بعد إلى الخيال ... إذا كانت تلك الحضارات ما تزال تعرف نوعاً من التطابق بين نثر الحياة وشعرها(*). لقد فرض انتشار الرأسمالية "الضجر على العالم" وابتلعت أولوية الطابع الاقتصادى والذارئعية والجوانب التقنية "كل شيء بدءاً من الأدب والفن والأشياء، ومن ثم استبعدت الشاعرية من مجمل الوجود"[١١].

وسوف يكون من الخطأ النظر إلى ذلك كما لو كان يقدم صورة رومانسية غير واقعية للمجتمعات القديمة. إن ما يهدف إليه لوفافر هو القول بأنه قد تم استبدال التقاليد الأخلاقية الراسخة المتكاملة مع الجوانب الأكثر رحابة من الوجود الإنسانى، بنظم روتينية ذات نظرة ضيقة. وتكتسب مجموعتان من العوامل أهمية خاصة فى تفسير نشأة طابع الحياة اليومية المتسم بالخواء أو التفاهة اليومية فى العالم الحديث. وتتعلق إحداهما بالشكل الخاص بإضفاء الطابع السلعى على الحيز فى البيئة العمرانية الحضرية الحديثة، بحيث أصبحت هذه البيئة العمرانية المصنوعة مفرغة من الشكل الجمالى. أما العامل الآخر، فيتمثل فيما أطلق عليه بعض المحللين الاجتماعيين تعبير "مصادرة" أنماط النشاط والخبرات الإنسانية التى كانت تأخذها المجتمعات السابقة فى اعتبارها بالكامل، والتى كانت متأصلة فى نسيج الحياة الاجتماعية بالنسبة للمجتمع المحلى كله.

ونلاحظ على سبيل المثال أن تاريخ سجن المجرمين - كعقاب لهم على ما اقترفوه - يعود إلى قرنين مضيا فقط. وعلى الرغم من أن السجون قد وجدت فى أوروبا فى العصور الوسطى، إلا أنها لم تكن تستخدم فى الأساس إلا للتحفظ على المتهمين أو المدينين قبل الحكم عليهم. أما الجرائم الخطيرة فكان مرتكبوها يعاقبون بالنفى، أو الشنق أو بإلحاق أذى يدنى بهم وليس بالسجن[١٢]. ولم تكن السجون فقط هى التى أنشئت آنذاك، بل ظهر إلى حيز الوجود وعلى نطاق واسع، المصحات العقلية والمستشفيات، وكانت هذه بدورها معزولة عن بعضها البعض. ويشير تعبير "المصادرة" إلى استبعاد تلك الظواهر التى تمثل تهديدا

(*) المقصود بنثر الحياة الجوانب العملية الوظيفية، وبالشعر الجوانب المعنوية القيمية. وهذا استخدام مجازى أدبى وليس اصطلاحيا. (المحرر)

لاستمرارية المجتمع من سياق الحياة اليومية من قبيل: الجريمة، والجنون، والمرض، والموت. فى مثل هذه الظواهر والأفراد الذين يتعرضون لها، كان يتم عزلهم عن تيار الحياة اليومية للأغلبية. وهكذا تتسع وتنمو باضطراد عملية إضفاء الطابع العملى النفعى على الحياة اليومية وتوجيه أنشطتها باتجاه غايات ذرائعية.

وتشير هذه الملاحظات إلى بعض أساليب ارتباط التنظيم العام للمجتمع ككل بالملامح اللصيقة لحياتنا اليومية. ويكمن أحد أهم إسهامات علم الاجتماع فى معاونتنا على فهم طبيعة هذه الروابط والعلاقات. ويرجع ذلك إلى أن ما قد نحسبه من أخص خصوصياتنا الشخصية إنما هو يشكل ويتشكل فى الواقع بواسطة مؤثرات، تبدو الوهلة الأولى بعيدة تماماً عن ذلك. وتضفى دراسة الأسرة والحياة الجنسية مزيداً من التجلية والوضوح على هذا المجال الذى سوف أتناوله فى الفصل القادم.

المراجع

(1) Gideon Sjoberg, The Preindustrail City, Glencoe, The Free Press, 1960.

وعلى الرغم من أن الكتاب قد لقى انتقادات واسعة، فإنه ما يزال يعد عمل كلاسيكيا على مستوى التخصص الدقيق فى علم الاجتماع، كما أنه يحتوىعلى قدر لا بأس به من المادة الثرية.

(2)Robert E. Park, Human Communities, Glencoe, The Free Press, 1952, p. 79

(3)Louis Wirth, "Urbanism as a way of life", American Journal of Sociology, Vol. 44, 1938.

انظر أيضا: A.J. Reiss, Louis Wirth on Cities and Social Life, Chicago,

University of Chicago Press, 1946.

(4) Louis Wirth, Op. Cit:.p: 13.

(5) Sjoberg, G., Op. Cit, p:5

(٦) نوقشت هذه القضية بطريقة جذابة فى مؤلف دافيد هارفى العدالة الاجتماعية والمدينة.

David Harvey, Social Justice and The City, London, Arnold, 1973.

(7) John Rex, and Robert Moore, Race, Community and Conflict, Oxford University Press, 1976. وكذلك بعض مؤلفات ركس الأخرى.

(8) Ameier and E.M.، From Plantation To Gehtto New York, Hill and Wang, 1966.

(9)Gerald Suttles, The Social Order of The Slum, Chicago University of Chicago Press, 1968.

(10) Ivan Szelinyi, Urban Inequalities Under State Socialism, New York, Oxford University Press, 1983, p. 14.

(11) Henri Lefebvre, Everyday Life in The Modern World, London, Lane, p:29.

(12) Michael. Ignatieff, A just Measure of Pain, London, Macmillan, 1978.

الفصل السادس

الأسرة والنوع

حدث خلال عقدى الخمسينيات والستينيات، حينما كانت نظرية المجتمع الصناعى تحتل مكان الصدارة كإطار مرجعى للتحليل الاجتماعى، أن أخذ نمط معين لتفسير تطور الأسرة يحظى بالانتشار فى كتابات علم الاجتماع. ويمكن القول بأن هذا التفسير - فى صورته الأولية المبسطة - قد اتخذ مسار - كانت الأسرة - قبل التصنيع - واقعة تماماً داخل نطاق عريض من العلاقات القرابية (الأسرة الممتدة)، كما كانت تمثل محور الإنتاج الاقتصادى. على أنه عندما بدأ المجتمع يتحول إلى المجتمع الصناعى - الذى لم تعد فيه الأسرة تمثل فى حد ذاتها وحدة الإنتاج، وجدنا تلك الأسرة الممتدة تدخل مرحلة التفكك وينفرط عقدها. وانكمشت العلاقات القرابية وتقلصت إلى أن اتخذت شكل الأسرة النووية، أى الأبوين وأبنائهما المباشرين. لقد أصبحت الأسرة - كما أشار أحد الدارسين - مؤسسة أكثر خصوصية من قبل، بل ربما أصبحت أكثر خصوصية مما كانت عليه فى أى مجتمع سبق أن عرفنا به(١). ومع ذلك فإن معظم الكتاب الذين يطرحون هذه الوجهة من النظر- بما فيهم بارسونز - يدافعون عن استمرار أهمية الأسرة (والزواج) فى المجتمع المعاصر. فالأسرة النووية ما زالت هى المعين الأهم لإنجاب الأطفال وتربيتهم، بل أنها أصبحت - أكثر من أى وقت مضى - مصدر المساندة العاطفية، وتوفير الإشباع لأفرادها.

ولقد تعرضت وجهة النظر هذه لهجوم قوى فى السنوات الأخيرة، إلى حد أن بعض مكوناتها قد فقدت فى الحقيقة مصداقيتها الآن بشكل ملحوظ. وتمثل دراسة الأسرة، أحد مجالات التحليل الاجتماعى، التى شهدت تغيرات بعيدة المدى بسبب سلسلة من التطورات المتزامنة التى استجدت خلال عقدى

السبعينيات والثمانينيات أو نحو ذلك. وهكذا نجد مثلاً أن وجهة النظر التي عرضنا لها آنفا كانت تفتقر في أغلب جوانبها - بشكل ملحوظ - إلى الدراية بالشواهد الخاصة بأشكال العلاقات الأسرية التي كانت قائمة في العصور الماضية. لقد أوضحت دراسات مؤرخي الأسرة أن بعض الفروض التي طرحها المؤلفون المشار إليهم كانت - على أحسن الفروض - مجرد ظنون. أما الرافد الثاني للأفكار التي أثرت كل التأثير على التفسيرات والتحليلات الخاصة بالأسرة فيتمثل في أعمال كتاب الاتجاه النسوي، التي اعتمد بعضها - بقوة - على الفكر الماركسي.

* * *

التغيرات فى بناء الأسرة

من المؤكد أن أسرة المعيشة كانت - بصفة عامة - بمثابة وحدة إنتاجية فى أوروبا الغربية قبل ظهور الرأسمالية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر. ويمكن القول أن الإنتاج كان يتم داخل المنزل أو على الأرض المجاورة له، وكان كل أفراد الأسرة - بما فيهم الأطفال - يساهمون فى العملية الإنتاجية. إن انتشار النظام الرأسمالى، حتى قبل أن تأخذ الصناعة الشكل الواسع النطاق ذا الإنتاج الكبير، قد قوض هذا الوضع عندما انفصل أفراد الأسرة، وتحول اندماجهم فى الأسرة إلى اندماج فى أسواق العمل. وكانت ذروة تلك العملية ما حدث بعد ذلك من انفصال المنزل عن مكان العمل.

ولكن قد ثبت خطأ أفتراض أن هذه التغيرات هى التى قوضت نظام الأسرة الممتدة الذى كان موجوداً من قبل. فقد أوضحت البحوث التاريخية أن بناء الأسرة كان - فى معظم أنحاء أوروبا الغربية - أقرب فى واقع الأمر إلى نمط الأسرة النووية من نمط الأسرة الممتدة، أو أن ذلك كان هو الوضع على الأقل طوال القرون التى سبقت البدايات الأولى لتشكل الرأسمالية، على الرغم من أن العلاقات القرابية داخل هذه الأسرة كانت - فى بعض جوانبها - أكثر أهمية مما هى عليه اليوم. ويرجع كبر حجم الجماعة المنزلية إلى وجود الخدم داخل أسرة المعيشة. كما أصبح من الثابت أن العلاقات بين الرأسمالية وشكل حياة الأسرة كانت تعقيداً بكثير مما كانت تتصوره وجهات النظر السابقة. إذ الشائع أن المشروعات الرأسمالية - فى بداية ظهورها كانت تعمد - على سبيل المثال - إلى تشغيل الأسرة ككل فى مصانعها، أى أنها لم تكن تعتمد عليهم كأفراد - متوافقة فى ذلك مع الاتجاه التقليدى الذى يرى أن على الأطفال - شأنهم شأن الكبار تماماً - أن يشاركوا فى العمل المنتج. وعلى الرغم من أن ذلك أدى إلى استغلال وحشى مؤلم للأطفال - من حيث العمل فى ظل ظروف سيئة سواء فى المناجم أو المصانع - فإن نصف الحقيقة إرجاع ذلك أيضا إلى جشع أصحاب العمل. كما أن توفير الأسرة للأيدى العاملة كان أمراً متوقعاً لدى أسر العمال

الزراعيين، حيث اعتادت الجماعة المنزلية الاشتراك فى الإنتاج. لقد كان العامل المؤثر وراء تحطيم التماسك الاقتصادى للأسرة يرجع - إلى حد كبير - إلى أصحاب العمل أنفسهم، بالإضافة إلى التشريعات الليبرالية الجديدة التى أخذت تحرم استخدام الأطفال فى العمل. أما الأمر الأخير - والمهم فى نفس الوقت - فهو أن أشكال الحياة المنزلية السائدة اليوم قد تأثرت تأثراً كبيراً بالأسرة البورجوازية، التى أصبح نمط حياتها يأخذ طريقة إلى الانتشار السريع بين الشرائح الطبقية الأدنى منها، أكثر من تأثير الرأسمالية بصورة مباشرة على العامل بأجر.

على الرغم مما تعرض له تحليل ستون Stone لتطور حياة الأسرة فى لندن من انتقادات، وحاجته إلى إلى بعض التعديلات، فإن نجح فى أن يطرح تصنيفاً مفيداً للتغيرات فى أشكال حياة الأسرة(٢). يميز ستون بين ثلاثة مراحل فى تطور الأسرة عبر الثلاثمائة عام التى درسها، بدء من القرن السادس عشر وحتى أوائل القرن التاسع عشر. ففى القرن السادس عشر – ولسنوات عديدة قبل ذلك – كان نمط الأسرة السائد، هو ما أسماه ستون "الأسرة القرابية المفتوحة". وعلى الرغم من أن هذا النمط من الأسرة كان يتمحور حول الأسرة النووية، إلا أن الوحدة المنزلية كانت تنتمى إلى المجتمع الأكبر وتندمج فيه، بما فى ذلك الذين ينتمون إلى جماعات قرابية أخرى. لقد كانت علاقات الأسرة – مثلها فى ذلك مثل العلاقات فى المجتمع الكبير – تختلف جذرياً عن تلك العلاقات التى سادت فيما بعد. فالزواج لم يكن فى الأساس يمثل محوراً للارتباط العاطفى أو التبعية العاطفية، على أى مستوى من مستويات البناء الطبقى. ويقول ستون فى ذلك :–

"لقد كانت الحكمة التقليدية تقول أن السعادة لا يمكن أن تتحقق إلا فى العالم الآخر، وليس فى هذا العالم، وأن الجنس ليس متعة، ولكنه خطيئة ضرورية، مبررها الوحيد هو التكاثر للإبقاء على السلالة. كما أن حرية الأفراد فى الاختيار يجب أن تكون فى كل الأوقات والأحوال تابعة وخاضعة لما تمليه عليها مصالح الآخرين، سواء كان الآخرون هم أفراد الوحدة القرابية، أو الأباء، أو

الجيران، أو الكنيسة، أو الدولة. بل أن الحياة نفسها رخيصة، والموت يأتى بسهولة ويحدث حولنا بكثرة فى كل وقت. على الإنسان ألا يتوقع الكثير من الحياة، لأنه من الحماقة أن يعتمد الإنسان عاطفياً بدرجة كبيرة على أى إنسان آخر" (Stone, P:5).

ربما كان المؤلف فى هذا العرض يبالغ بعض الشيء فى عرض وجهة نظره، التى يبرز فيها إلى أى مدى يمكن أن تكون العلاقات الزواجية، والعلاقات ما بين الأباء والأبناء خلوا من الروابط العاطفية والوجدانية القوية؟ وهو رأى ما زال موضع جدل ومناقشة بين المؤرخين. ولكن ليس هناك شك فى أن مفهوم الحب الرومانسى لم يكن له وجود إلا فى إطار العلاقات القرابية، ولكنه لم يرتبط بالزواج والأسرة.

وقد يبدو صحيحاً – بصفة عامة – أنه لا العلاقات بين الزوج والزوجة، ولا بين الأباء والأبناء كانت حميمة أو مؤثرة بصفة خاصة[٣]. فالروابط الزواجية لم تكن تبدأ من خلال اختيار شخصى، وإنما كان ينظر إلى الزواج باعتباره وسيلة من وسائل تأمين الملكية وتوارثها، أو للحصول على هذا النوع أو ذاك من المزايا الاقتصادية أو السياسية. فلقد كان الزواج دائما بالنسبة للفلاحين والحرفيين ضرورة من ضرورات البقاء الاقتصادى. كما كان من الشائع بين الطبقات الدنيا والعليا – على السواء – أن يقوم الآخرون باتخاذ قرار اختيار شريك العلاقة الزواجية، فلم يكن يتخذ ذلك القرار الزوجان بنفسيهما. ولم يكن الجفاف العاطفى – نسبياً – داخل الأسرة، لم يكن يتبدى فى انفصال الأفراد جسدياً عن بعضهم البعض. بل الأكثر من ذلك، أن الناس فى كل الطبقات الاجتماعية كانوا يعيشون فى ظل ظروف تفرض فيها قيود بالغة على الخصوصية الشخصية داخل الأسرة وخارجها. ولم يبدأ تخصيص الحجرات داخل المسكن بالنسبة للغالبية العظمى لهؤلاء الذين يعيشون فى المجتمعات الرأسمالية المعاصرة، لم يبدأ يصبح أمراً شائعاً إلا بدءاً من القرن الثامن عشر وفيما بعد. فقد كانت مساكن الأغنياء تشتمل على العديد من الحجرات، ولكنها تتسم بأنها متداخلة وبدون مداخل (أو صالات توزيع)، كما كان الخدم ينامون فى

نفس الحجرات، أو قريباً جداً من حجرات نوم مخدوميهم. وكان فقراء الفلاحين وأهل الحضر يقيمون فى منازل يتكون الواحد منها من حجرة واحدة أو حجرتين، وحتى بين أفراد المستوى الأعلى من ذلك، كان أفراد الأسرة يشتركون في الغرفة، ولم يكن هناك تخصيص واضح لأغراض استخدامها، على نحو ما حدث بعد ذلك. وحتى قبيل القرن الثامن عشر - وكما يذكر آريز - لم تكن الأسرة قد بدأت تعرف الاستقلال عن المجتمع، وإبعاده عنها لتوفر لنفسها منطقة من الحياة الخاصة كانت تتسع باضطراد (Aries, P: 386). ومع بداية ظهور التصميمات الحديثة للمساكن، والتى بدأت بين أسر الطبقة العليا، ومنها أخذت تنتشر إلى باقى قطاعات المجتمع، فقد وفرت تلك التصميمات صالات توزيع أو مداخل تسمح بتوفير الخصوصية للحجرات الداخلية للمسكن، كما أصبحت غرف المعيشة منفصلة عن غرف النوم.

قبل أن تظهر هذه التحسينات والتجديدات - وطبقاً للتصور الذى طرحه ستون - كان هناك نمط آخر من الحياة المنزلية قد بدأ يتشكل لدى بعض الجماعات الاجتماعية المحددة دون غيرها. وهو ما أطلق عليه - تعبيراً طويلاً - هو: "الأسرة النووية الأبوية المحدودة النطاق"، والتى استمرت من بدايات القرن السادس عشر وحتى أوائل القرن التاسع عشر. وكان هذا النمط من الأسرة - مقصوراً إلى حد كبير - على المستويات الأعلى فى المجتمع، وكان نمطاً من طبيعة انتقالية، يتوسط الشكل الأسرى الأقدم، وظهور الأسرة فى شكلها الحديث المعروف لنا الآن. ويسجل هذا النمط تراجع أشكال الولاء التى كانت تعمل في الماضى على ربط الأسرة النووية بالأقارب الآخريين والجماعات الأخرى القائمة فى المجتمع المحلى، وحلت محلها أشكال الولاء للدولة. كذلك تعززت قوة رب الأسرة الرجل داخلها، بما يعكس قوته العلمانية فى الدولة، وأصبحت الأسرة تمثل - بصورة مضطردة - وحدة نووية منفصلة ذات حدود واضحة.

وأصبح ظهور "الأسرة النووية المغلقة على حد حدودها" هو الأساس فى تنظيم الأسرة الذى ظل مستمراً حتى العقود الأولى من القرن العشرين، والذى

تميز بالعديد من السمات المميزة. وقد لخص ستون هذا الشكل الأسرى بمصطلح "الفردية العاطفية". فقد أصبحت روابط الزواج أكثر فأكثر مسألة اختيار شخصى للأطراف الراغبين فى الزواج، على الرغم من تزامنه مع أشكال متنوعة من التبادل العاطفى بين الطبقات المختلفة. لقد تأثر الاختيار

للزواج باضطراد الرغبة فى إقامة علاقة توفر العاطفة أو الحب، وتحكمها المعايير التى تربط النشاط الجنسى بالزواج بصفة خاصة. لقد أصبحت العلاقات بين الأبوين والأطفال ذات مضمون عاطفى أقوى، حيث أصبح الاهتمام بالتعليم الجيد للأطفال يأتى فى مقدمة اهتمامات الأسرة. ويتعين أن نلاحظ أن الانتشار الواسع لهذا النمط من الأسرة فى المجتمع ككل لم يتحقق بسهولة، ولم يكن انتشاره عملية مضطردة بلا عوائق. فقد حدثت خلال تلك الفترة أشكال من الانتكاس والاضطراب التى شابت عملية التحول هذه.

* * *

تعد الكتابات النسوية الحديثة من أهم المؤثرات على علم الاجتماع العائلى بصفة خاصة، كما كان لها آثار بعيدة المدى على المجالات الأخرى للتحليل الاجتماعى. فلقد انشغل علماء النظرية النسوية - فى المقام الأول - بتحليل أصول نظام سلطة الأب، أى سيطرة الرجال على النساء داخل الأسرة، وكذلك داخل نطاق المؤسسات الاجتماعية الأخرى. فقد أوضحت البحوث الأنثروبولوجية أن كل المجتمعات التى تمت دراستها دراسة دقيقة يمكن الركون إليها، كان نظام السلطة فيها أبويا[٤].

أدت التغيرات فى أشكال الأسرة - التى عرضنا لها فى الجزء السابق - إلى نزعات عكسية أثرت على وضع المرأة ومكانتها. فنلاحظ من ناحية أن الانفصال بين المنزل ومكان العمل، والذى بدأ يصبح أمراً شائعاً فى العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، قد ساعد على تأكيد الرابطة بين المرأة والأعمال المنزلية. ومرة ثانية يبدو هذا كما لو كان هذا الربط نوعاً من الأيديولوجيا التى نشأت أول الأمر فى المجموعات العليا من النسق الطبقى، ثم نفذت فيما بعد إلى الطبقات الأخرى. إن فكرة "أن المرأة مكانها فى المنزل" كانت لها آثار مختلفة على النساء فى شتى مستويات المجتمع. لقد كان بوسع الطبقات الميسورة أن تقتنى الخادمات، والممرضات، وغيرهم من مؤدى الخدمات المنزلية. أما بالنسبة لأسر الطبقات الوسطى، فكان تأثير ذلك عليهم أن أصبح عمل المرأة هو أداء المهام المنزلية، التى تتمثل فى العناية بالمنزل والسهر على تربية الأبناء، حيث لم يكن يعترف بتلك المهام كنوع من "العمل"، على الأقل فيما يتعلق بمساواتها بالعمل مدفوع الأجر فى ميدان الإنتاج. ولكن الأعباء ظلت ثقيلة وقاسية بالنسبة لقطاع من نساء أسر الطبقة العاملة، اللائى كان عليهن أن يقمن بمعظم أعباء العمل المنزلى، بالإضافة إلى ممارستهن العمل فى الإنتاج الصناعى. لقد أصبحت النساء "العاملات" أى اللائى يحصلن على أجر من العمل، أصبحن فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين يفدن

غالباً فى صفون الفلاحين، والطبقات العاملة[٥]. وفى ضوء البيانات المتوفرة من بريطانيا وفرنسا توصل تيلى وسكوت إلى أن معدلات عمالة النساء فى الصناعات التحويلية كانت منخفضة بشكل ظاهر، باستثناء صناعة النسيج. وحتى عام ١٩١١ كانت الغالبية العظمى من النساء - العاملات فى إنجلترا - يعملن فى وظائف أو مهن خدمية وخاصة. فكان أكثر من ٣٣% منهن يحصلن على أجورهن من العمل كخادمات، و١٦% منهن كن يعملن فى حياكة الملابس، أغلبهن يؤدين تلك الحياكة داخل المنازل، وحوالى ٢٠% كن يعملن فى صناعة النسيج. ويمكن القول أن نفس هذه الأنماط من عمالة المرأة كانت معروفة فى فرنسا أيضا إبان تلك الفترة.

تكشف هذه الإحصاءات بوضوح أن فرص عمل المرأة خلال فترة النمو الرأسمالى الصناعى، كانت مركزة فى قطاعات قريبة من الأعمال التقليدية التى كان من المعتاد قيام النساء بها. وفى الواقع، أن العمل فى هذه القطاعات كانت النساء تحتكره تقريبا، فى ظل معدلات أجور متدنية عن تلك التى كان يحصل عليها الرجال الذين يؤدون أعمالاً يدوية. وإن كان يلاحظ أن الغالبية العظمى من النساء العاملات كن شابات وغير متزوجات. ففى بريطانيا عام ١٩١١، كان حوالى ٧٠% من مجموع النساء العاملات غير متزوجات، وأن ١٠% منهن فقط كن متزوجات. ومنذ ذلك التاريخ، تغيرت أنماط عمل المرأة - تغيراً كبيراً - وتبع ذلك اختفاء فعلى لفئة خدم المنازل الذين يعملون طوال اليوم، كما حدث تقلص نسبى فى صناعة النسيج. وقد ارتبط أهم التغيرات وأبعدها دلالة بالظاهرة التى ذكرت فى فصل سابق وهى: النمو النسبى لفئة أصحاب المهن الفنية والإدارية فى البلدان الرأسمالية المتقدمة. وقد تزامن نمو مثل هذه المهن مع تزايد استخدام النساء فى العمل المكتبى (أعمال السكرتارية) والمهن الخدمية. ولكن ذلك لا يمكن أن يفسر باعتباره ينطوى على تحول مهم له دلالته نحو مزيد من المساواة بين الجنسين داخل النظام الإنتاجى الرأسمالى. فقد كانت الغالبية العظمى من النساء تقوم بالاضطلاع بأداء أعمال على درجة عالية من الروتينية من تلك التى تقع فى أسفل سلم السلطة سواء فى المكتب أو فى المصنع. ولم يتح

لهن سوى نصيب ضئيل من الفرص المتاحة للرجال فى العمل المهنى. ويمكن القول أن قدر مهنة الأعمال الكتابية يقدم تفسيراً جيداً لكيفية تطور هذه الظاهرة (أنظر الفقرة الأولى من الفصل الرابع من هذا الكتاب). ففى بريطانيا، وعند منتصف القرن التاسع عشر، كانت نسبة النساء العاملات فى الأعمال الكتابية أقل من ١% من إجمالى العاملين فى تلك المهن. ولكن لكى تصبح "موظفاً كتابياً - كما ذكرت - يجب أن تحظى بمركز مسئول، ويتضمن استخدام المهارات الحسابية وغيرها من المهارات. ثم شهد القرن العشرون البدايات الأولى لميكنة العمل المكتبى، بداية من إدخال الآلة الكاتبة فى أواخر القرن التاسع عشر، وما صاحبها من تحول مهنة الموظف الكتابى إلى سلسلة من العمليات شبه الماهرة. واليوم نجد أن معظم الموظفين الكتابيين هم من النساء، وكذلك هن اللائى يشغلن معظم الوظائف المساعدة فى المصانع.

وطوال الفترة التى تلت الحرب العالمية الثانية، زادت نسبة النساء داخل قوى العمل زيادة كبيرة فى كافة البلدان الغربية. وكانت أكبر نسبة زيادة هى نسبة السيدات المتزوجات العاملات. ولكن بالرغم من فتح مجالات جديدة لعمل المرأة فى مهن كانت مقصورة من قبل على الرجال وحدهم تقريباً، إلا أن ذلك لم يصبح بعد هو السائد فى كل مكان. ويمكن أن يستخلص معالم الاتجاه العام للوضع الآن عن طريق المقارنة بين متوسط ما تحصل عليه المرأة العاملة من أجر بما يحصل عليه الرجل العامل فى سوق العمل، لكى نتبين مدى الظلم الواقع على النساء بالنسبة للرجال. ويقدم جدول (٦-١) توزيعاً لمتوسط أجور كل من النساء والرجال فى الولايات المتحدة لسنوات معينة خلال الفترة من ١٩٦١-١٩٨٢.

جدول (٦-١)

أجور العاملين طول الوقت تبعاً للجنس فى الولايات المتحدة(*)

السنة	متوسط الدخل بالدولار		النسبة المئوية لأجر المرأة مقارناً بأجر الرجل
	نساء	رجال	
١٩٦١	٣،٣٥١	٥,٦٤٤	٥٩,٤
١٩٦٥	٣،٨٢٣	٦،٣٧٥	٦٠,.
١٩٦٩	٤,٩٧٧	٨,٢٢٧	٦٠,٥
١٩٧٢	٥,٩٠٣	١٠,٢٠٢	٥٧,٩
١٩٨٢	١٢,٠٠١	١٠,٢٦٠	٥٩,٢

توضح أرقام الجدول وجود فجوة بين دخول الرجال والنساء إن لم تتفاقم، فإنه لم تنخفض حدتها. ويمكن القول أن هذه الأرقام تعد معبرة عن أوضاع المجتمعات الرأسمالية ككل وممثلة لها. كما نتبين أن المجتمعات التى تفضل سياسية الدولة الرسمية فيها دمج المرأة فى قوى العمل بصورة أكبر مما هو موجود فى الولايات المتحدة - وكالدول الاسكندنافية مثلاً - يبدو أنها ليست أفضل كثيراً فيما يتعلق بالمستوى النسبى لدخول النساء عند مقارنتها بدخول الرجال. ولا شك أن المشاركة فى قوة العمل ليست سوى جانب واحد فقط من جوانب البطريركية (التى تحكمها سلطة الأب الرجل) التى تميل إلى الانتشار فى المجتمعات الرأسمالية المعاصرة. فالنساء - فى كل مكان - مازلن دون مستوى التمثيل فى مراكز القوى فى المجال السياسى، وسائر المجالات الأخرى. وهذا

(*) المصدر: Barbara M. Wertheimer, " Search For a Partnershipe Role" in Jane Roberts Chapman (ed), Economic Independence of Wonen, London, Sage, 1976, P. 188; Statistical Abstract of The United States, 1984.

فضلاً عن أنهن يتعرض "لتمييز مزدوج"، حيث نجد الكثيرات من السيدات العاملات مازلن يعتبرن المسئولات الأساسيات عن الأعمال المنزلية ورعاية الطفل.

لقد سعت الحركات المدافعة عن حقوق المرأة إلى التصدى لتلك المظاهر من عدم المساواة بطرق مختلفة، على الرغم من أن معظم كتاب الاتجاه النسوى يسلمون بأن هذه المساوئ ذات جذور عميقة. يؤكد ذلك هذا الانتشار الواسع لنظام سلطة الأب فى المجتمعات البشرية، كما أن نظام سلطة الأب هذا لم يظهر فى العالم مع ظهور النظام الرأسمالى. ومهما يكن الأمر فإنه من الواضح - كل الوضوح - أن نمو الرأسمالية الذى تزامن مع حدوث بعض التغيرات فى أشكال الأسرة - التى تعرضنا لها من قبل - قد ارتبط بأنماط معينة من السيطرة أو الهيمنة الجنسية. فهناك دلائل واضحة تشير إلى وجود صلة بين التقسيمات تبعاً للنوع من ناحية، والنظام الطبقى من ناحية أخرى. من ذلك تركز النساء العاملات فى المهن ذات الأجور المنخفضة نسبيا، واللائى يعملن فى ظل ظروف عمل متدنية، وفرص محدودة للترقى فى العمل؛ كل ذلك تأثر باتجاهات أصحاب العمل والعمال الرجال، وانقطاع أو توقف عمل المرأة عند الإنجاب. وقد أبدت المرأة دائماً قدراً من الاستسلام والإذعان لتلك الظروف، وتقبلت النساء "إيديولوجية العمل المنزلى" التى تضع الأولوية للزواج والأسرة على العائد الاقتصادى المترتب على المشاركة الكاملة والمتساوية فى نسق العمل الصناعى. إن النقاط المختلف عليها هنا تتسم بأنها معقدة، كما تتباين بشأنها آراء كتاب الاتجاه النسوى إن تحقيق المساواة الكاملة بين الجنسين فى مكان العمل خارج المنزل ليس بالضرورة هو الغاية أو الهدف المنشود فى ذاته فى عالم الاقتصاد الرأسمالى. بل إننا سوف نتبين - وعلى العكس من ذلك أن تغيير العمل الرأسمالى الصناعى وجعله أكثر إنسانية لن يضمن - وحده - التغلب على الاستغلال الجنسى، طالما أن جذور هذا الاستغلال بقيت متأصلة داخل الأسرة.

* * *

يفترض العديد من علماء الاجتماع الذين يكتبون عن الأسرة أن نمو النظـلم الرأسمالى قد ارتبط بانخفاض حاد فى حجم الأسرة. وقد كان هذا نوعـــاً مـــن التعميم الخاطئ، الذى استند إلى أن الأسر الكبيرة الحجم الموجودة فى بلاد العالم الثالث هى المصدر الأساسى للانفجار السكانى الذى يشهده العالم الآن. وانطلاقاً من ذلك رسموا صورة لمنازل تعج بالأطفال فى فترة ما قبل الرأســمالية فــى أوروبا. حقيقة أن الأسر الكبيرة الحجم لم تكن بالأمر النادر، ولكنها لم تكــن - بأية حال - هو الوضع الطبيعى أو الشائع. فقد أوضحت دراسات مؤرخى القرن السابع عشر فى كل من بريطانيا وفرنسا أن سن زواج المرأة كان يتراوح آنذاك ما بين ٢٣و ٢٧ سنة. وعلى هذا فإن الفترة التى تستطيع المرأة خلالها أن تنجب كانت محكومة بسن الزواج، وسن اليأس المبكر، وكذلك احتمالات الوفاة المبكرة لأحد الزوجين، والمعدلات الشديدة الارتفاع لوفيات الرضع، ووفيات الأطفـــال. وكان الشائع - على أية حالة - أن حجم أسر الأغنياء كان أكبر من حجم أســر الفلاحين أو العمال الحرفييـــن، وكان سن الزوجات عند الزواج فى تلك الأســر الموسرة أصغر، ثم أن الأغنياء سرعان ما كانوا يتزوجون مرة أخرى بعد وفـلة الزوجة.

إن كثرة وقوع الموت ووضوحه كانت من بين الظواهر التى تميز - بشكل لافت - حياة الأسرة فى الماضى، والحياة الاجتماعية اليومية بصفة عامة، علــى خلاف الوضع الشائع فى عالم اليوم. فقد كانت معدلات الوفاة تفـــوق أضعــاف أضعاف ما هو موجود اليوم، ولم يكن الموت يرتبط فى الأساس بكبـــار الســن وحدهم. كما كان سكان المدن أكثر تعرضاً للموت بسبب القصور فى الرعايـــة الصحية، وتلوث مصادر المياه، الأمر الذى كان يؤدى على الدوام إلى الإصابــة بالأمراض الوبائية. والحقيقة أن المدن لم تكن تعيد إنتاج نفســها، وإنمــا كــان الفضل فى استمرار بقائها راجعاً إلى الهجرة المنتظمة الوافدة إليها من المنــاطق الريفية. ثم أن العمر المتوقع للحياة كان شديد الانخفاض، كما أشرت فى الفصــل الأول من هذا الكتاب. وقد كان ثلث الأطفال الرضع يموتون فى خــلال الســنة

الأولى من أعمارهم، وذلك لدى فلاحى فرنسا فى القرن السابع عشر. كما أن نصف الأطفال المولودين – فى المتوسط – كانوا يموتون قبل أن يبلغوا سن العاشرة. ولم ينج الشباب من ذلك، فقد كانت معدلات الوفاة بينهم أعلى عند مقارنتها بمعدلات الوفاة بين شباب اليوم. ونتيجة لذلك يمكن القول بأن حجم أسرة أفراد الطبقات الأدنى، لم يكن يزيد – فى أية لحظة – عن طفلين أو ثلاثة، على الرغم من أن عدد الأطفال المواليد كان أكبر من ذلك بكثير. وكان أكثر من نصف عدد السكان دون سن العشرين، ونسبة ضئيلة كل الضآلة هى التى كانت أعمارهم تتجاوز الستين.

إن ما يطلق عليه "التحول الديموجرافى" الذى حدث فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، لم يكن مجرد تحول من الأسر الكبيرة الحجم إلى الأسر الصغيرة الحجم، بقدر ما كان تغييراً فى تكوين الأسرة من حيث عدد الأجيال المتعايشة داخلها. فكان التحول الديموجرافى بمثابة تغير فى الظروف التى تعرضنا لها تواً، تمثل بالأساس فى الانخفاض الحاد فى معدلات الفئات العمرية الأصغر سناً. كما انخفض متوسط سن الزواج، واستمر فى الانخفاض خلال القرن العشرين. فالزيادة السكانية التى حدثت فى القرن التاسع عشر لم تكن نتيجة لتزايد أعداد المواليد بصورة أكبر، وإنما نجمت عن تزايد أعداد الأطفال الذين أتيحت لهم فرصة الاستمرار على قيد الحياة، والحياة عمراً أطول. ولقد أسهمت الظروف التى عرضت لها من قبل، والتى غيرت طبيعة الأسرة، وغيرت الوضع النسبى لكل من الرجال والنساء داخل قوة العمل، أسهمت فى خلق الظروف التى جعلت الأسرة الكبيرة الحجم أمراً معوقاً عند أبناء الطبقة العاملة. ففى ظل الأشكال التقليدية للإنتاج – حيث يشارك الأطفال فى النشاط الاقتصادى – كانت الأسرة الكبيرة الحجم أمراً مرغوباً بشدة، وإن كانت العوامل التى أوضحناها قد عملت على تحديد حجم الأسرة فى الواقع. ولكن عندما تستجد ظروف لا يعمل فيها الأبناء، ولا تحصل النساء على رواتب، فإن الأسرة الكبيرة الحجم تصبح عبئاً اقتصادياً. كذلك أدى تحسن وسائل منع الحمل فى جعل الزيجات قادرة على الاستمرار لفترات أطول، وأن تتمركز مثل هذه الأسر

حول "الفردية العاطفية"، الأكثر ملاءمة للأسر الصغيرة الحجم، وهو - في جوهره - النمط الأساسى الذى ما زال مستمراً حتى يومنا هذا. وكان من الطبيعى أن تكون لهذا الوضع انعكاساً تعيده الأثر على النساء، فأصبح لدى معظم النساء اليوم فترة من العمر تتراوح بين عشرين وثلاثين سنة تتوفر لديهن بعد الفراغ من تربية أطفالهن واستقلالهم عن الأسرة.

إن الجدل الدائر بين علماء الاجتماع والصحف السيارة حول الوضع الراهن للزواج والأسرة ومكانة كل منهما، خاصة فيما يتعلق بتفكك الزيجات وأمور السلوك الجنسى، كثيراً ما كان يفتقر إلى البعد التاريخى الملائم. لقد كان انهيار الزيجات أمرا شائعاً ومنتشراً فى أوروبا على امتداد القرون السابقة، ولو أن ذلك كان يتم نتيجة للوفاة أكثر مما كان يحدث بسبب الطلاق. ولهذا يذهب بعض المعلقين إلى القول بأن نسبة الأطفال الذين يضارون من انهيار الزواج كانت مرتفعة فى الماضى، كما هى مرتفعة اليوم أيضا. ففى بعض البلاد، وفى بعض الفترات - على امتداد التاريخ الأوروبى المعاصر إلى حد ما - كانت ممارسة الجنس قبل الزواج أمراً عادياً بالنسبة لكل من الرجل والمرأة، ولم تكن تمثل عائقاً أمام الزواج فيما بعد. كذلك كانت معدلات الأولاد غير الشرعيين عالية، بل أنها كانت أعلى مما هى عليه اليوم. حقيقة أن الاتجاهات المعاصرة فى عالم الزواج والأسرة، والسلوك الجنسى تتواجد - بالطبع - فى سياق مختلف تماماً - وهو ما حاولت أن أقيم عليه الدليل على امتداد هذا الكتاب. ولكنه من المهم إلى أقصى حد أن نفهم أن تلك الاتجاهات - ليست من بعض النواحى - بالأمر الجديد أو الفريد كما قد تبدو للوهلة الأولى.

والملاحظ فى معظم البلاد الغربية أن معدلات الطلاق ارتفعت بشدة خلال العقدين أو الثلاثة عقود الأخيرة من القرن العشرين (على نحو ما يوضح الجدول رقم ٦-٢ فى بعض البلاد الغربية). وفى الفترة من ١٩٥٠ حتى ١٩٧٥. فقد ارتفعت معدلات الطلاق بنسبة ٤٠% فى فرنسا، وذلك فى الطرف الأدنى من الميزان، وبنسبة ٤٠٠% فى بريطانيا، فى أقصى حد عند قمة الميزان. ولا شك أنه يتعين تناول كل تلك الإحصائيات بقدر من التحفظ. فتلك الأرقام لا تتضمن -

على سبيل المثال - أعداد الذين يعيشون معـــــادون زواج، أو أعداد المتزوجين الذين انفصلوا دون الطلاق رسمى. ومع ذلك، فإنه سوف يكون من الصعـب أن ينكر أحد أن هذه الأرقام تدل على حدوث تغيرات مهمة فى الأسرة والزواج فى المجتمع الغربى. وسوف يكون هناك من يذهب إلى القول بأن تلك الأرقام تعـبر عن التفكك الذى يوشك أن يصيب الأسرة النووية، وهو ظاهرة ثبت من خـــلال أشكالها المتتابعة أنها متصلة ومستمرة منذ أمد بعيد. أما أصحاب الرأى الآخر - من الفريق المحافظ - فسوف ينظرون إلى تلك الظـــاهرة بجـزع، باعتبارهـا مؤشراً على انحطاط المجتمع المسئول من الناحية الأخلاقية. بينما سنجد فريقـاً ثالثاً يرحب - من وجهة نظر معاكسة تماماً - بتلك الأرقام باعتبارهـا مؤشـراً على إمكانية نمو أشكال اجتماعية أخرى، لأن أفراد هذا الفريق ينظـرون إلـى الأسرة باعتبارها مؤسسة قمعية بالدرجة الأولى.

(جدول ٦-٢)

عدد حالات الزواج والطلاق (بالألف) والنسبة المئوية لحالات الطلاق

فى كل مائة زيجة (فى الفترة من ١٩٥٠ حتى ١٩٨٠)(*)

فرنسا	١٩٥٠	١٩٦٠	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠
عدد حالات الزواج بالألف	٣٣١	٣٢٠	٣٩٤	٣٨٧	٣٣٤
عدد حالات الطلاق بالالف	٣٥	٣٠	٤٠	٦٧	٩١
حالات الطلاق لكـل مائـة زيجة	١١	٩	١٠	١٧	٢٧
المملكة المتحدة					
عدد حالات الزواج بالالف	٤٠٨	٣٩٤	٤٧١	٤٢٩	٤١٨
عدد حالات الطلاق بالألف	٣٠	٢٣	٦٢	١٢٩	١٦٠
حالات الطلاق لكـل مائـة زيجة	٧	٦	١٣	٣٠	٣٨
الولايات المتحدة					
عدد حالات الزواج بالألف	١,٦٧٥	١,٥٢٣	٢,١٥٩	٢,١٢٧	٢,٣٩٠
عدد حالات الطلاق بالألف	٣٨٧	٣٩٣	٧٠٨	١,٠٢٦	١,١٨٩
حالات الطلاق لكـل مائـة زيجة	٢٣	٢٦	٣٣	٤٨	٥٠

(*) المصـــدر: Michael Anderson, "Quantitative Indicators of Family Change " in Anderson, Sociology of The Family, Harmondsworth, Penguin, 1980, United Nations Statistical Yearbook, 1984.

يبدو من الأرجح أنه سوف يتخلق باستمرار مدى عريض من الأشكال التجريبية للعلاقات الاجتماعية التى تختلف عن نمط العلاقات الأسرية المستقرة التى ألفناها من قبل. وهناك تفسير أكثر إقناعاً من ذلك الذى يقول بقرب حدوث تفكك فى الأسرة، وأعنى به التفسير الذى يقول بأن التطورات المعاصرة إنما تمثل انتصاراً "للفردية العاطفية" بوصفها المبدأ الأساسى الموجه للحياة الأسرية.

إن الأمر لا يحتاج إلى نفاذ بصيرة كبيرة لإدراك أن ارتفاع معدلات الطلاق قد لا يشير إلى تبرم حاد بالعلاقة الزوجية، أو حتى بالأسرة، بل يشير إلى إصوار متزايد على جعل تلك العلاقات الزوجية والأسرية اكثر إشباعاً وإرضاء. وإذا كانت معدلات الطلاق قد ارتفعت إلى مستويات لم يسبق لنا أن سمعنا بها من قبل، فإنها كانت مصحوبة بمعدلات عالية جداً من الزواج مرة أخرى. فالغالبية العظمى من المطلقين والمطلقات يتزوجون من جديد. وأعتقد أنه ليس هناك ما يبرر النظر إلى تلك الظاهرة – كما فعل أولئك الذين أشرت إليهم فى بداية الفصل – باعتبارها تدل على أن الأسرة هى مصدر الإشباع العاطفى الذى لا يمكن أن يستغنى عنه الغالبية العظمى من الناس الذين يعيشون فى المجتمعات المعاصرة. فمن المؤكد أن الواقع أكثر تعقيداً من ذلك بكثير. ذلك أن الحياة الأسرية تقع على تقاطع سبل متعددة للتغير الاجتماعى تؤثر فيها من ناحية، وتمثل هى نفسها إنعاكساً من ناحية أخرى. من هذا يصبح من المهم أن نربط مناقشة أمور الأسرة بالقضايا والاهتمامات التى أثيرت فى الفصول السابقة من هذا الكتاب. ففى الظروف التى كانت فيها غالبية السكان تعمل فى ظل ظروف عمل كئيبة وظالمة، وفى ظل الظروف التى أدى فيها تحول العلاقات الإنسانية إلى سلعة يمكن عرضها فى السوق تخلقت سلسلة من الأعمال الروتينية التافهة فى الحياة اليومية؛ فى ظل كل ذلك كله، قد تبدو العلاقات الشخصية داخل المجال الأسرى – بالفعل – هى الملجأ والملاذ من "عالم قاس لا قلب له". ولكن فى ظل غياب تحولات جذرية تماماً على مستوى المجتمع الأكبر، فمن المحتمل أن تظل الأسرة عرضة للتوترات التى تتأرجح بين الحرية والظلم من ناحية، والأمل واليأس من ناحية أخرى.

إن ظهور "الفردية العاطفية" قد ارتبط أوثق الارتباط بتلك الصلة بين السلوك الجنسى والإشباع الشخصى داخل وخارج الروابط الرسمية للزواج. يذهب بعض الكتاب الراديكاليين إلى أن جذور النظام الرأسمالى واستمراره، قد ارتبطت نفسياً – ارتباطاً قوياً – بكبت السلوك الجنسى. فالنظام الصارم الذى يتطلبه العمل الصناعى – من وجهة نظرهم لا يمكن تحقيقه إلا من خلال التقليص العام للرغبات الشخصية، الذى تجسد فى الأعراف والسلوكيات الفيكتورية التى تسيدت فى ذروة رأسمالية القرن التاسع عشر. وطبقاً لهذه الوجهة من النظر، التى تبناها أو تبنى شيئاً قريباً منها المشاركون فى الحركات الطلابية التى ثارت فى أواخر الستينيات وشاعت بينهم، فإن حرية الممارسة الجنسية هى المفتاح لتحقيق التحرر التام من الطبيعة الروتينية للعمل والحياة اليومية فى ظل النظام الرأسمالى. وتدلنا المعلومات التى عرضت لها فى هذا الفصل على أنه يجب أن ننظر بعين الشك إلى هذا النوع من المواقف. "فالفردية العاطفية" تبدو وسمة متجذرة بقوة فى النظام الرأسمالى المعاصر أكثر من مغامرات وصور التعبير المقيدة عن السلوك الجنسى التى التزمت المصطنع فى العصر الفيكتورى. لقد تعرض فوكو لذلك على نحو ممتاز[٦]، حيث يذهب إلى أن ما نسعى إلى فهمه ليس أصول نشأة الكبت الجنسى، وإنما نحاول أن نفهم لماذا نشغل أنفسنا اليوم كثيراً بالسلوك الجنسى، بحيث أصبحنا نجعل منه محور النضال من أجل الإشباع الذاتى. إن الأمر المطلوب هو التحرر من الجنس، وليس التحرر من خلال ممارسة الجنس.

* * *

تدلنا الشواهد على أن غالبية الناس عندما يتزوجون للمرة الأولى - حتى في البلاد ذات معدلات الطلاق المرتفعة - يعتقدون أنهم سوف يدخلون في إلتزام يمتد طوال الحياة. ولكن الوقائع تشير إلى غير ذلك. فنسبة كبيرة من عقود الزواج التي تبرم اليوم لا تستمر سوى لفترة قصيرة فقط. إذ أن كثيراً من هؤلاء الذين يعتقدون أنهم سوف يظلون متزوجين طوال حياتهم، يكتشفون أنهم يعيشون بمفردهم في سنوات عمرهم المبكرة، بصورة أكبر من الوضع المترتب على وفاة أحد الزوجين. ولكن إزاء إتجاه المطلقين والمطلقات إلى الزواج من جديد، فسوف نجد إذا تأملنا الوضع أن عدداً كبيراً من أولئك الذين يعيشون بمفردهم أو يرأسون أسر ذات عائل واحد يكونون في مرحلة انتقالية بين زيجتين.

يوضح الجدول رقم ٦-٣ التحولات التي حدثت عبر عقدى الستينيات والسبعينيات في الولايات المتحدة في توزيع الأفراد الذين يعيشون بمفردهم. فلقد زادت أعداد الناس الذين أصبحوا يعيشون بمفردهم سواء نظرنا إليهم كأعداد مطلقة، أو بالنسبة للسكان الآخرين، وأن هذه الزيادة تفوق ما كان عليه الوضع في أوائل الستينيات. ففي عام ١٩٦٠ كانت النسبة الأعلى من الأفراد الذين يعيشون بمفردهم هو من الفئات العمرية كبيرة السن، أما في الثمانينات فقد أصبح هذا النمط أقل وضوحاً. إذا حدث ارتفاع حاد في نسبة الأفراد الذين يعيشون بمفردهم في الفئة العمرية بين ٢٤-٤٤ عاماً.

(جدول رقم ٦-٣)

الأشخاص الذين يعيشون بمفردهم في الولايات المتحدة(*)

الجنس والسن	عدد الأشخاص بالألف			النسبة المئوية		
	١٩٦٠	١٩٧٥	١٩٨٢	١٩٦٠	١٩٧٥	١٩٨٢
الذكور والإناث	٧,٠٦٤	١٣,٩٣٩	١٩،٣٥٤	١٠٠	١٠٠	١٠٠
١٤-٢٤ عاما	٢٣٤	١,١١١	١,٥١١	٣،٣	٨,٠	٧,٨
٢٥-٤٤ عاما	١,٢١٢	٢,٧٤٤	٥,٥٦٠	١٧,٢	١٩,٧	٢٨,٧
٤٥-٦٤ عاما	٢,٧٢٠	٤,٠٧٦	٤,٦١١	٣٨,٥	٢٩,٢	٢٣,٨
٦٥ سنة فأكثر	٢,٨٩٨	٦,٠٠٨	٧,٦٧٣	٤١,٠	٤٣,١	٣٩,٦
الذكور	٢,٦٢٨	٤,٩١٨	٧,٤٨٢	٣٧,٢	٣٥,٣	٣٨,٧
١٤-٢٤ عاما	١٢٤	٦١٠	٨٤١	١,٨	٤,٤	٤,٣
٢٥-٤٤ عاما	٦٨٦	١,٦٨٩	٣,٣٦٥	٩,٧	١٢,١	١٧,٤
٤٥-٦٤ عاما	٩٦٥	١.٣٢٩	١,٧٨٤	١٣,٧	٩,٥	٩,٢
٦٥ سنة فأكثر	٨٥٣	١,٢٩٠	١,٤٩٢	١٢،١	٩,٣	٧,٧
الإناث	٤,٤٣٦	٩,٠٢١	١١,٨٧٢	٦٢,٨	٦٤,٧	٦١,٣
١٤-٢٤ عاما	١١٠	٥٠١	٦٧٠	١,٦	٣,٦	٣,٥
٢٥-٤٤ عاما	٥٢٦	١,٠٥٥	٢,١٩٦	٧.٤	٧,٦	١١,٣
٤٥-٦٤ عاما	١,٧٥٥	٢,٧٤٧	٢,٨٢٦	٢٤,٨	١٩,٧	١٤,٦
٦٥ سنة فأكثر	٢,٠٤٥	٤,٧١٨	٦,١٨٠	٢٨,٩	٣٣,٨	٣١,٩

ويلاحظ أن نسبة الذين يعيشون بمفردهم إلى المتزوجين قد زادت بصـ
ازية إلى حد ما، وهو نفس ما لوحظ على نسبة الأطفال الذين يعيشون
ـر ذات العائل الواحد عند مقارنتها بمن يعيشون فى أسرة مع كلا الأبو
ضمن تعداد سكان الولايات المتحدة الآن فئة جديدة تشمل: "غير المـــتز
ن يعيشون معا تحت سقف واحد". ونظراً لأن مثل هذا البيان أمر جديد
،، فليس من السهل عقد مقارنات مع الفترات السابقة. ولكن المؤكد بالنسـ

(المصدر: tical Abstract of The United States, 1984

للوضع بين الفئات الصحرية الأصغر، أن نسبة غير المتزوجين الذين يعيشون معا بصورة منتظمة قد ارتفعت بشكل ملحوظ، على الرغم من أن عدد هؤلاء ضئيل إذا ما قورن بهذا الجيش الجرار من المتزوجين.

وعلى الرغم من وجود أعداد غير قليلة من الأفراد الذين يعيشون بمفردهم فى أسر ذات عائل واحد، فضلاً عن الأشكال الأخرى من الوحدات المعيشية، فإنه من المؤكد على أية حال أن غالبية البشر يعيشون فى أسر تقليدية معظم سنوات عمرهم. ونقصد بهذا أنهم أعضاء فى وحدات أسرية تتضمن زوجين من جنسين مختلفين، يعيشان معاً مع أطفالهم فى بيت واحد ومعيشة واحدة.

ولو أن ذلك لا يعنى بالنسبة لعدد كبير من الناس أن الظروف الأسرية باتت عرضه لنمطين أساسين من التغير فى أشكال حياة الأسرة تختلف عما كان مألوفاً لدى آبائهم. **النوع الأول** أنهم قد يتعرضون خلال حياتهم - سواء كأطفال، أو هم أنفسهم فيما بعد كأباء - يتعرضون للابتعاد عن الشكل التقليدى فى مناسبات عديدة ولفترات متباينة. ويعنى ذلك أنهم قد يعيشون خلال فترة طفولتهم ومراهقتهم أساساً فى كنف أسرة تجمعهم جميعاً، تتكون من آبائهم وأخوتهم. وربما نصادف أوضاعاً أقل شيوعاً، حيث قد يولدن داخل أسرة يكون واحد من الأبوين فيما هو الأب البيولوجى فقط، أو وضعاً آخر يكون فيه الزوجان أو أحدهما - اللذان يعيشان معادون زواج - هو الأب البيولوجى، أو يكونون أبناء فى أسرة لا يكون أى من الزوجين فيها هو الأب أو الأم البيولوجى (حالة التبنى)، أو يعيشون فى أسرة ذات عائل واحد.

النوع الثانى فى التغير هو تزايد أهمية الأسرة البديلة فى خبرة كل من الأطفال والبالغين. لقد كانت الأسر البديلة ظاهرة شائعة قبل "التحول الديموجرافي" الذى ذكرته أنفا، وذلك كنتيجة لمعدلات الوفاة المرتفعة. ولكنا نجد اليوم أعداداً كبيرة من الأطفال الذين يتربون لأسر يكون أحد الأبوين بها أب بديل، ولكن فى ظل اتصال منتظم ومستمر مع الأب الطبيعى المطلق أو المنفصل. ولاشك أن بعضاً من أصعب - وكذلك أهم - جوانب العلاقات الأسرية الحديثة يتعلق بهذه الظروف ويرتبط بها. ومن المحتمل أن يصبح أطفال

اليوم - بدورهم - هم أنفسهم آباء بيولوجيين، أو آباء بديلين فى مراحل متعاقبة من حياتهم. واليوم لم تعد الولايات المتحدة بعيدة عن الحالة أو الوضع التى سوف يكون فيها الحياة فى إطار أسرة بديلة هى الشكل السائد من الحياة الأسرية.

وهكذا نرى أن الأسرة كانت بؤرة لعديد من التغيرات الاجتماعية العميقة التى ألمت بها فى نفس الوقت، ولكنها تغيرات كانت متشبعة بقيم مستمدة من أنماط سابقة من التنظيم الأسرى. إن مصطلح "الأب البديل" - شأنه شأن مصطلحى الزواج المحطم، أو الأسرة المفككة اللذان يرتبطان به - فى حاجة إلى تخليصها من الدلالات السلبية التى ارتبطت بها من قبل. ولكننا ندرك - فى الوقت نفسه - أن الأبوة البديلة أميل إلى أن تبلور بشكل جاد المشكلات والتوترات التى تعانى منها حياة الأسرة الحديثة.

المراجع

(1) Talcott Parsons, The American Family ",in T. Parsons and R.Fbales, Family, Socialisation and Interaction Process, London, Routledge and Kegan Paul, 1956, p:10.

(2) Lawrence Stone, The Family, Sey and Marriage In England 1500-1800, London, Weidenfeld and Nicolson, 1977.

(٣)أنظر الدراسة الرائدة للتغيرات طويلة المدى وعلاقات الأب بالطفل فى:

Philippe Aries, Centuries of Childhood, Harmondsworth, Penguin, 1973.

(٤) لمزيد من المناقشة المتصلة بالموضوع والتى أثرت فى مسار العلم انظر:-

Nancy Chodorow, The Reproduction of Mothering, Berkeley, University of Califorina Press, 1973.

ويمكن للباحث عن الشواهد الأنثروبولوجية المرتبطة بهذا الموضوع والتى تتضمن مناقشة مفصلة لمجتمعات العالم الثالث، أنظر:

Barbara Rogers, The Domestication of Women, London, Kogan Page, 198.

(5) Louise A. Tilly and Joan W. Scott, Women, Work and Family, New York, Holt, Rinehart and Winston,, 1978.

(6) Michel Foucault, The History of Sexulity, Vol., London, Allen Lane, 1978.

الفصل السابع

الرأسمالية والنظام العالمى

لا ينبغى أن يبدو مستغربا، فى ضوء الأفكار التـــى عرضــت لـــها فـــى الصفحات السابقة، أن أنتقل مباشرة من دفء الحياة الأسرية لتناول التطـورات ذات الطبيعة الكونية. ولعله ليس هناك شئ يسم عصرنا، بقدر ما يمـيزه هـذا الارتباط بين سلوكنا اليومى المرتبط بزمان ومكان بعينها، والوقائع التى تحـدث فى الأصقاع البعيدة. ومن العسير علينا، ونحن نعيش فى عالم يعرف الاتصالات الفورية عبر التليفون والراديو والتليفزيون، والارتحال السريع بواسطة السيارات والقطارات والطائرات، أن نفهم الإيقاع البطىء للاتصال والانتقال الــذى ساد القرون الماضية. ويشترك اختراق حواجز الزمان والمكان مـــع العديـد مـن الظواهر التى يتم تحليلها فى هذا الكتاب، فى كونه يرجع إلى منتصـف القـرن الثامن عشر فقط. ففى أوروبا فى الفترات المبكرة من القرن الثامن عشر، كانت وسائل النقل- المرادف الوحيد آنذاك لأساليب الاتصال- تتسم ببطء مماثل فـى وقعه لذلك الذى كان سائدا فى الفترات التاريخية السابقة من تاريخ العالم، حتـى فى تلك الإمبراطورية التى طورت نظما للطرق. فلقد استغرق نـابليون تقريبـا ذات الفترة الزمنية التى استغرقها قياصرة الرومان للانتقال مـن رومـا إلـى باريس. ثم شهدنا انفصال وسائل النقل عن وسائل الاتصال عند نجاح مورس(*) لأول مرة فى استخدام التلغراف بين بلتيمور وواشنطن عام ١٨٤٤. ولقد أرسل مورس رسالة فحواها "ماذا كتب الله ؟"، فأطلق منذ ذلك الحين العقـال لعصـر جديد لنقل المعلومات.

(*) صامويل فينلى بريز مـورس Morse (١٧٩١-١٨٧٢) مختـرع أمريكـى، اختـرع التلغراف عام ١٨٣٦، ثم استنبط نظام مورس Morse Code بعد ذلك بعام واحد. (المحرر)

وقبل هذا الحدث كان الاتصال عبر المكان يعتمد على الحـــراك المكـــانى للبشر الذى كان بالغ البطء بالمعايير الحديثة. من هنا قدر أن حوالى ثلاثة أرباع سكان الولايات المتحدة قد عرفوا باغتيال جون فيتز جيرالد كيندى فـــى خـــلال نصف ساعة من وقع الواقعة. أما قبل حوالى قرن ونصف القرن، عندما مـــات جورج واشنطن فى مدينة الإسكندرية بولاية فرجينيا، فقد نشر النبأ للمرة الأولى فى مدينة نيويورك بعد مرور سبعة أيام[١]. كذلك حدث بطبيعة الحـــال أن ازداد كم الحراك المكانى بدرجة رهيبة منذ ذلك الحين. وقد طور الجغرافيون مصطلح "**التدخل الزمانى- المكـــانى**" TIME- SPACE CONVERGENCE "كوســيلة مبسطة لتحليل هذه الظاهرة. ويمكن احتساب معدل التداخل بين مدينتيـــن عـــبر متصل الزمان- المكان، على سبيل المثال، من خلال حساب متوسط الزمن الذى كانت تستغرقه رحلة العربة التى تجرها الخيول بين أدنبره ولندن عـــام ١٨٧٠، بالوقت الذى تستغرقه الرحلة ذاتها بالطائرة عام ١٩٨٠، واستناداً إلى مثل هـــذه الحسبة، يمكن القول بأن المدينتين قد تداخلتا أو تقاربتا بمعامل قـــدره ٢٠٠٠% (ألفين بالمائة). وسيكون معامل التداخل الزمانى- المكانى بين مدينتـــى لنـــدن وطوكيو- على سبيل المثال- أكبر بكثير.

وتكتسب هذه الظواهر أهمية متساوية من حيث الشكل والمحتوى: واقع أننا نعيش فى عالم يعتمد أغلبية سكانه على بعضهم البعض بصورة لم يكـــن مـــن الممكن تخيلها فى الأزمنة الغابرة. فهناك اليوم **نظـــامى عـــالمى**، وهـــذا هـــو الموضوع الذى يبحث فيه هذا الفصل.

* * *

نظرية التحديث ونقادها

ذكرت فى الفصل الثانى أن نظرية المجتمع الصناعى قد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بوجهة نظر معينة حول العلاقة بين المجتمعات الصناعية **المتقدمة** وبقية العالم، وهى وجهة نظر خاصة حول ديناميات النظام العالمى المعاصر. وعادة ما يشار إلى هذا التوجه باسم **نظرية التحديث** Modernization Theory. وترتبط نظرية التحديث عادة بنظرية المجتمع الصناعى بطريقة مباشرة، لأن مؤيديها يفترضون- أو هم بالأحرى يدعون - أن التحليل الذى طوره دارندورف Dherendorf وآخرون صحيح فى جوهره. بعبارة أخرى، فإنهم يدعون أن التصنيع فى جوهره قوة تحررية وتقدمية، ومن ثمة، فإن الدول الغربية تقدم نموذجا يحتذى للدول **المتخلفة**. ويترتب على هذا الموقف نتيجتان. أولاً، أن مجتمعات العالم التقليدية ليست مجرد دول متخلفة، بل إنها غير نامية: إذ أنها تنتظر حدوث تأثير التحولات المصاحبة للتصنيع. ثانياً، أن هذه المجتمعات يجب أن تسير لذلك فى مسارات مشابهة لتلك التى سبقتها عليها البلاد الصناعية، ومن ثم تعيد إنتاج منجزات المجتمع الصناعى.

وما تزال نظرية التحديث ذات تأثير فى الدوائر الأكاديمية على الرغم من أنها قد فقدت ما كانت تتمتع به فيما سبق من تأييد واسع النطاق، حيث خضعت لانتقادات جوهرية هامة. غير أنه من المهم أن ندرك أنه منذ الستينيات إلى يومنا هذا، أصبحت هذه النظرية عنصر إسهام له قيمته فى نظرية النظام العالمى ذاتها. ويرجع هذا إلى أن الادعاءات التى تهيمن عليها، هى تلك التى تتبناها- بصفة عامة- الحكومات الغربية فى تعاملاتها مع دول العالم الثالث، كما تتبنى الادعاءات ذاتها الهيئات العاملة فى مجال التنمية التابعة للأمم المتحدة، والبنك الدولى وغيرها من المنظمات. فتلك الخصائص التى تعتبر أصلية بالنسبة للمجتمعات الصناعية الغنية، تعد بمثابة مؤشرات للتنمية، وتستخدم كدليل هاد للسياسات الاقتصادية والسياسية التى تنتهج فى التعامل مع الدول غير المصنعة[٢]. ومع ذلك، فقد ترتب على هذا الموقف نتائج أفضت إلى

خلق صعوبات تستثير اتجاهات تدعو للسخط، وإلى عدم الاستقرار بصورة متزايدة على صعيد الاقتصاد العالمى، وهو ما سوف أتناوله بالمناقشة لاحقا. ويرجع ذلك إلى أن نظرية التحديث تنهض على مقدمات خاطئة، كما أنها قد لعبت دورا إيديولوجيا مبررا لهيمنة الرأسمالية الغربية على بقية العالم.

ولقد أشرت فى الفصول السابقة إلى أوجه القصور الأساسية التى تعانى منها نظرية المجتمع الصناعى، وهو الأمر الذى أدى إلى التقليل بشكل حاسم من شأن نظرية التحديث. ولكن من المهم بذات القدر - فكرة نظرية التحديث- القائلة بأن الرأسمالية الصناعية قد تطورت بمعزل عن بقية العالم: وقد خضع هذا الإدعاء لنقد عنيف ومقنع من جانب الكتاب الذين تأثروا بوجهات النظر الماركسية. ولقد كان هناك - ومازال هناك - خلافات متعددة بين الكتاب الماركسيين أنفسهم فيما يتعلق بكيفية تشكل النظام العالمى وملامحه المعاصرة، بيد أنهم يتفقون على نقاط محددة.

وأحد هذه النقاط تلك التى تذهب إلى أن الآلية الكامنة وراء التاريخ الحديث هى تلك التى نعتها ماركس بتعبير "التوسع غير المحدود" الذى يميز الإنتاج الرأسمالى. وثمة نقطة ثانية- لم يطورها ماركس نفسه- مؤداها أن المجتمعات المتخلفة قد خضعت لعلاقات استغلالية منتظمة ومنظمة من قبل المجتمعات الرأسمالية ولصالحها منذ المراحل المبكرة للتطور الرأسمالى.

وقد عبر والرشتين عن هذه الأطروحة من خلال صياغته للتعارض الأساسى بين النظام العالمى الحديث (الذى يعود تاريخ نشأته إلى القرنين السادس والسابع عشر) والمراحل السابقة من التاريخ العالمى. وهو يذهب إلى القول بأنه فى المراحل السابقة كان أكثر أنماط النظم الاجتماعية شمولاً هو الإمبراطوريات الزراعية (كما هو الحال فى الصين التقليدية، والتى عمرت حضارتها نحو ألفين من السنين). مثل هذه الإمبراطوريات، أيا ما كانت درجة نجاحها، لم تحقق مطلقاً هيمنة على أكثر من جزء محدود من العالم. ولقد تم الحفاظ على استمرارية الرابطة الأساسية بين مراكز مثل هذه الإمبراطوريات حيث مقر الجهاز الإدارى الحكومى من ناحية وتخومها الهامشية من ناحية

أخرى، من خلال القوة السياسية- العسكرية. ولكن ومنذ القرن السادس عشر، تشكل اقتصاد رأسمالى عالمى وتصاعدت وتيرة تشكله هذه خلال القرنين التاسع عشر والعشرين على وجه الخصوص. وفى ظل الاقتصاد الرأسمالى العالمى، الذى أصبح بحلول القرن التاسع عشر وبحق نظاماً كونياً، أصبحت الروابط الأساسية التى تجمع أوصال الأقاليم المكانية الشاسعة ذات طبيعة اقتصادية. أما القوة السياسية- العسكرية فقد تركزت فى أيدى الدول القومية التى تمتع كل منها بهيمنة قانونية فوق مساحة محدودة من الأراضى. بكلمات والرشتين، "تنهض الرأسمالية كنمط اقتصادى على واقع أن العوامل الاقتصادية تعملِ فى إطار مكانى أكثر رحابة من ذلك الذى يمكن لأى مجتمع سياسى أن يخضعه لسيطرته الكاملة"[٣].

وطبقاً لهذا التصور، يمكن القول أنه على حين أن القوى الدافعة للتوسع الرأسمالى تتمركز فى الغرب- والذى لحق به بعد ذلك دول متقدمة اقتصادياً، وبصفة خاصة اليابان- فإن مصطلح التخلف لا يشير إلى المجتمعات التى لم تمسسها الرأسمالية. فالتوسع الرأسمالى هو الذى أفضى إلى نشوء التخلف. وبينما لعب الكتاب الماركسيون، مثل فرانك Frank- (انظر عرضاً لوجهة نظره فى موضع لاحق من هذا الفصل) - الدور الأعظم فى صياغة هذا التوجه، فقد أصبح هذا التوجه اليوم مقبولاً من جانب غيرهم من ذوى التوجهات المخالفة. ونادراً ما نجد اليوم مؤيدين لنظرية التحديث بالصورة الفجة التى كانت سائدة منذ أكثر من ثلاثة عقود من الزمان، أو على الأقل فإن هناك قدرا كبيرا من الاتفاق حول الخصائص الأساسية للنظام العالمى المعاصر.

ويتفق معظم المحللين على أن النظام الاقتصادى الرأسمالى العالمى قد شهد ثلاث مراحل أساسية خلال تطوره. وقد استمرت المرحلة الأولى منذ بداية القرن السادس عشر تقريباً وحتى نهاية القرن التاسع عشر، وهيمنت عليها **الرأسمالية التجارية** Merchant Capitalism. ويشير التاريخ الأول إلى التوقيت الذى حققت فيه أوروبا قدرا من الأمان ضد الهجمات الخارجية، وشرعت فى الدخول فى عمليات تجارية على نطاق عالمى. فعلى مدار مئات السنين ومنذ

انهيار إمبراطوريتها، الإمبراطورية الرومانية، خضعت أوروبا بدرجة أو بأخرى، وبصفة دائمة، للتهديد من جانب قوى خارجية. ففى عام ١٢٤١، على سبيل المثال، وقعت أوروبا تحت رحمة المغول، بعد أن حققوا نصرا حاسما فى إحدى المعارك الاستراتيجية، غير أن الوفاة المفاجئة للسلطان "أوجوداى"، فضلا عن اهتمامهم بقدر أكبر بفرض سيطرتهم على الشرق أكثر من الغرب، كانت فى الواقع السبب فى وقف اكتساحهم لأوروبا. بيد أن استقلال أوروبا- التى كانت دويلاتها تتناحر بصفة دائمة فيما بينها- تعرض للتهديد مرة أخرى من جانب الإمبراطورية العثمانية. لقد كان وقف تقدم الأتراك على مشارف فيينا عام ١٦٨٢ واقعة حاسمة فى التاريخ العالمى. فمنذ ذلك الحين، أتاح التطور الاقتصادى- ومن ثم العسكرى- للدول الأوروبية تحقيق قدر من الأمان فى مواجهة التهديدات الخارجية، وقد امتدت تلك الفترة حتى العقود الأولى من القرن العشرين، مع بزوغ نجم **القوى العظمى**، الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى. لقد كان الأمن الداخلى لأوروبا بمثابة رأس الجسر الذى سمح لها بتوسيع نطاق تجارتها فيما وراء البحار.

وخلال هذه الحقبة الطويلة للرأسمالية التجارية فتح التجار الأوروبيون - المدعومون كلما دعت الضرورة بالقوة العسكرية - السواحل الأفريقية وآسيا والأمريكتين. وأسسوا مراكز ساحلية فى كل هذه الأقاليم، وخلقوا تياراً للهجرة من أوروبا إلى الأمريكتين، مما أدى إلى تحولات أساسية شاملة فى هاتين القارتين. أما فى أفريقيا وآسيا فقد نظمت الأنشطة التجارية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر عن طريق منح امتيازات احتكارية لبعض الشركات التجارية، مثل شركة الهند الشرقية على سبيل المثال. وكانت هذه الشركات منظمات تجارية خالصة فى ظاهرها فقط، إذ كانت أنشطتها مدعومة مباشرة بالتهديد باستخدام القوة أو بالاستخدام الفعلى للقوة. وبناء عليه فقد كانت هذه الشركات قادرة على استخلاص شروط للتبادل تشبه إلى حد كبير عمليات النهب المعاقب عليها بواسطة الدولة التى تحميها. ولقد نتج عن ذلك تحويل هائل للثروات إلى أوروبا من بقية أنحاء العالم، وكانت هذه الثروة تنتزع جزئيا

بواسطة الدولة، فى حين أن أجزاء منها كانت تستخدم كرأسمال لتمويل الاستثمارات فى الصناعات الأوروبية.

وهكذا فإن أسبانيا استنزفت كميات هائلة من الفضة من المكسيك وبيرو، واعتصرت البرتغال الذهب من البرازيل. وقد مارست إنجلترا عمليات القرصنة ضد كل من الأسبان والبرتغاليين، وفيما بعد فى الهند وغيرها من بقاع العالم بحيث أصبحت قادرة على أن تفرض شروطا للتبادل التجارى تضمن تدفقا هائلا للثروات من الأقاليم المستعمرة إليها. ولقد اعتمد هذا الشكل الأخير من الاستخدام، بالطبع، أيضا، على التغيرات الداخلية التى طرأت على أوروبا ذاتها، والتى اختلفت من بلد إلى آخر. فعلى حين أفضى تدفق المواد الخام والذهب والفضة إلى المساعدة على قيام ورسوخ الصناعة فى إنجلترا، أدى ذلك فى كل من أسبانيا والبرتغال إلى تدهور الإنتاج الاقتصادى داخليا.

ولقد تمت تنمية التخلف التى حدثت خلال مرحلة الرأسمالية التجارية على ثلاث مستويات مترابطة، ومتباينة زمانيا ومكانيا: التراجع الثقافى والاقتصادى والسياسى لتلك المجتمعات التى كانت تدور فى فلك التجارة مع الغرب. غير أن أيا من أشكال الاتصال المدمرة هذه لا يمثل سمه مميزة للرأسمالية الغربية بالذات. ولا حتى للعصر الحديث. فعلى امتداد التاريخ الإنسانى، وبخاصة منذ فجر الحضارة، والتى ارتبطت فى كافة أرجاء الأرض تقريبا بالاستخدام المتصاعد للقوة العسكرية، يمكن أن نرى بوضوح السجل المقبض للتحليل، أو الاستيعاب، أو الإبادة الجماعية لمجتمعات ما بواسطة مجتمعات أخرى. غير أن ما يميز القوة الغربية فى العصر الحديث هو استفحال واستمرارية هذه العمليات. حيث نلاحظ استمرار تدمير التمايز الثقافى لمجتمعات أخرى فى بعض المناطق من خلال الفرض المباشر لأنماط الحياة الغربية، كما انطوت تلك السياسة على ممارسات الإبادة الفيزيقية الواسعة النطاق. ويقدر أن حوالى خمسة عشر مليونا من الأفارقة قد تم نقلهم إلى الأمريكتين ليباعوا كأرقاء، بيد أن نسبة كبيرة منهم قد ماتوا أثناء نقلهم فى الطريق، ومن ثم فإن الأعداد الفعلية التى اختطفت من مواطنها لابد وأن تكون أكبر من ذلك العدد بكثير. كما أن

الأمراض وسوء التغذية الناتج عن الاتصال بالأوروبيين أديا إلى مزيد من تضخم العدد الإجمالى لمن تمت إبادتهم من أبناء تلك القارة. وفى أمريكا الشمالية تمت بنهاية القرن التاسع عشر إبادة السكان الأصليين تماما؛ ويقدر أن السكان المحليين فى أمريكا الجنوبية قد انخفض عددهم بحوالى ٤٠% خلال الفترة بين بداية القرن السادس عشر ومنتصف القرن التاسع عشر. ولقد جرى توثيق دقيق للتدهور الاقتصادى الذى طرأ على المجتمعات التى خضعت لهيمنة الاقتصاد الرأسمالى العالمى. فقد تزعزعت الأشكال التقليدية للإنتاج من خلال الطلب الأوروبى على المحصولات النقدية، كما انهارت الأنماط التقليدية التجارة. وصاحب هذه التغيرات الاقتصادية والثقافية تحلل سياسى، أو أنه كان نتاجا للتدخل المباشر فى آليات الإدارة القائمة.

ولقد كان فرانك هو أول من صاغ فكرة **تنمية التخلف**(٤)، وإن كان توصيفه لها قد خضع للعديد من الانتقادات. ففرانك يعتبر **التخلف** نابعا من التأثيرات التى مارستها الرأسمالية التجارية للحيلولة دون التطور الاقتصادى الداخلى من خلال هيمنتها على المجتمعات التى أصبحت فيما بعد توصف بأنها متخلفة. وعلى حين يقبل آخرون القول بأن التخلف ظاهرة قد تخلقت بفعل عوامل معينة، فإنهم يؤكدون بقدر أكبر على الأشكال المختلفة للسيطرة السياسة، وعلى قصر الإنتاج الصناعى على الغرب وحده. ومن المهم أيضا أن نؤكد على أن مرحلة الرأسمالية التجارية لم تكن مرحلة نهب خالص للأجزاء الأخرى من العالم. فشأنها شأن الحضارات السابقة عليها، مزجت الرأسمالية الغربية انحطاطها، بمنافع حقيقية. فأحيانا ما أصبح أعداء الأمس أصدقاء اليوم ونشأ بينهم تعايش سلمى، كما تحطمت القوى الاستغلالية لملاك الأرض المحليين. ويصدق شئ من هذا القبيل على المرحلة الثانية: مرحلة الاستعمار. فلقد قامت الحقبة الاستعمارية- التى أسدل عليها الستار منذ عقد الستينيات من هذا القرن – بشكل واضح بمواجهة أحد العناصر الأساسية المصاحبة لاتصال الأوروبيين بالشعوب الأخرى: انتقال الأمراض إلى هذه الشعوب التى لم يكن لديها من الوسائل ما يعينها على مقاومتها.

لقد كان التوسع الاستعماري الأوروبي اعتبارا من القرن السادس عشر وحتى قرب نهاية القرن التاسع عشر، بمثابة السبب الكامن وراء الموجات المتتابعة من الأوبئة ذات الآثار الكارثية على المناطق التي تعرضت لها. فمن الأمور شبه المؤكدة أن أمراضا مثل الجدري والحصبة والتيفود كانت غير معروفة تقريبا في أمريكا الوسطى والجنوبية قبل وصول الجنود والتجار الأسبان إليهما. ثم أخذت تلك الأمراض تكتسح السكان المحليين، الذين لم يكونوا يتمتعون بمناعة قوية منها، أو لا يتمتعون بمناعة طبيعية ضدها على الإطلاق. ولقد لقيت العديد من الجماعات القبلية في أمريكا الشمالية ذات المصير نتيجة للاتصال بالإنجليز والفرنسيين. ولكن تجارة العبيد كانت بالفعل هي أكثر مصادر انتقال الأمراض القاتلة تأثيرا. فقد عملت هذه التجارة على نقل مثل هذه الأمراض ما بين أفريقيا الغربية والأمريكتين وبالعكس، ومن ثم عرضت السكان المفتقرين إلى وسائل الحماية من هذه الأمراض لآثار وخيمة.

إلا أنه وبحلول القرن العشرين، أفضت أنظمة الرعاية الصحية التي تستند على الطب الحديث - وبخاصة من خلال التطعيمات وتحسين الظروف الصحية - إلى انخفاض معدلات الوفيات في البلدان المستعمرة إلى مستويات مقاربة لتلك التي عرفتها أوروبا في فترات سابقة. كما تمت السيطرة التامة أو القضاء المبرم على بعض الأمراض التي كانت تعتبر في الماضي أمراضا قاتلة مثل الجدري، والسل، والدفتيريا، وغيرها. ولقد كان أحد النتائج الرئيسية الهامة التي ترتبت على ذلك، في ظل غياب العوامل التي ساعدت على انخفاض معدلات المواليد في أوروبا، هي حدوث ذلك النمو الرهيب لسكان العالم.

ولقد قبلت الحكومات الغربية تحمل تبعات "المسئولية" المترتبة على الاستعمار عادة على مضض في بادئ الأمر. ذلك أن عمليات التحلل الثقافي والاقتصادي والسياسي التي وصفناها آنفا قد أفضت إلى احتياج مناطق شاسعة من العالم للإدارة السياسية المباشرة بواسطة القوى الغربية، إذا ما كان لهذه المناطق أن تظل ذات جدوى اقتصادية. لقد ولد الاستعمار نظاما "مزدوجا" في المجتمعات المستعمرة، وهو شكل اجتماعي ما يزال قائما حتى اليوم في ظل

مرحلة ما بعد الاستعمار. وهنا تختلف مرة أخرى التفسيرات المتعلقة بهذه الازدواجية، بيد أن هناك إجماعا حول طبيعتها العامة. *وتوجد هذه الازدواجية على مستوى الأبعاد الثلاثة التي ذكرتها فيما سبق: الثقافي والسياسي والاقتصادي. وفي كل من هذه المستويات، تشير الازدواجية إلى وجود مجموعتين من النظم المستقلة عن بعضها البعض والمرتبطة ببعضها في إطار المجتمع المستعمر. فقد تتخذ الازدواجية الاقتصادية أشكالا متعددة، ولكنها تعني أساسا أن قطاعا صناعيا متطورا يتعايش جنبا إلى جنب مع النشاطات الاقتصادية الأكثر تقليدية في قطاعات أو أقاليم أخرى من البلد.* ويرتبط هذا عادة ببعض أشكال عدم المساواة البالغة في الثروة والدخل بين القطاعين. الأمر الذي أدي- في العديد من البلدان- إلى هجرات واسعة من المناطق الريفية المحرومة إلى المدن التي لا تمتلك في جعبتها الموارد الاقتصادية أو الإدارية التي تمكنها من مواجهة تيار المهاجرين إليها.

فالنمو الحضري لا يتماشى مع التصنيع، كما حدث في أوروبا، إذ تميل مدن العالم الثالث إلى أن يكون بها مراكز حضرية حديثة ذات طابع غربي، ودرجة من التطور التجاري والصناعي، محاطة في أطرافها بمدن الأكواخ التي يعيش معظم سكانها على حد الكفاف فيحصلون على رزق يوم بيوم. وعادة ما ترتبط الازدواجية الثقافية والسياسية ارتباطا وثيقا بالازدواجية الاقتصادية. وتشير الازدواجية الثقافية إلى استمرارية وجود أنماط الحياة التقليدية جنبا إلى جنب المراكز التي اتخذت الطابع الغربي، أما الازدواجية السياسية فتشير إلى وجود جهاز سياسي للحكومة يعمل به موظفون ذوو توجهات غربية، في حين يحتل الموظفون الاستعماريون قمة السلم الإداري. وقد كان من نتيجة حصول الدول المستعمرة على استقلالها عادة خلق مجتمع "ذي رأس متضخم"، حيث طور هذا المجتمع نظما حكومية تتربع على قمة مجتمع يؤرقه الحرمان الاقتصادي الناتج عن الاستعمار[٥].

وليس هناك شك في أن الحقبة الاستعمارية قد أدت إلى استمرارية وتسارع تنمية التخلف. فقد انطوى الاستغلال الاستعماري، من بين أشياء

أخرى، على أنماط منظمة لعدم التوازن الاقتصادى بين الأمم الغربية وأقاليمها المستعمرة. فقد أنشأت القوى الغربية مباشرة نظم إنتاج وتسويق للمواد الخام فى المستعمرات لكى تعزز عملية النمو الصناعى فى الغرب، حيث كان يتم عادة تخصيص أغلب الأراضى القابلة للزراعة لزراعة محصول أو محصولين نقديين مربحين. وبناء عليه وجد السكان المحليون أنفسهم وليس فى حوزتهم سوى القليل من الأراضى المنتجة التى تمكنهم من إشباع احتياجاتهم ودعم وجودهم. فضلا عن ذلك، فإن أى فوائد كان يمكن أن تجنيها البلدان المستعمرة من خلال المحاصيل النقدية- التى كان أغلبها ينتزع من جانب القوى الاستعمارية- قد حرمت منها هذه البلدان بسبب تذبذب أسعار هذه المحاصيل فى السوق العالمى. ففى فترات ارتفاع أسعار بيع المطاط، والكاكاو، والبن، والسكر، وغيرها من المحاصيل النقدية، تتدفق الأرباح إلى خارج البلدان المستعمرة. أما حين تهبط الأسعار فإن هذه البلدان لا يتوفر تحت يدها سوى القليل من الموارد التى يمكن أن تلجأ إليها لعبور الأزمة وذلك بسبب افتقارها إلى التنوع الإنتاجى.

أما المرحلة الراهنة من تطور الاقتصاد العالمى، فيطلق عليها تعبير ما **بعد الاستعمار** Post Colonialism، حيث حصلت كافة البلدان الأساسية التى خضعت للحكم الاستعمارى المباشر على استقلالها، وأصبحت **دولا جديدة**. غير أن هذه البلدان ما زالت تعانى من أعباء الاستغلال التى نتجت عن الظروف التى وصفناها أعلاه. إن الدرجة الكبيرة للتفاوت الاقتصادى بين الدول المتقدمة، وما يطلق عليه اليوم الدول **الأقل تقدما**- وليس **المتخلفة**- يمكن أن تحدد بالتفصيل الدقيق على مستوى العالم من خلال مقارنة الشمال الغنى بالجنوب الفقير نسبيا. فمعظم البلدان الصناعية تقع إلى شمال خط الاستواء، على حين تقع الدول الأقل تقدما فى المنطقة الاستوائية أو إلى جنوبها. وهكذا، فإن قارات أفريقيا وأمريكا اللاتينية وجنوب الهند – والتى يغلب عليها الفقر- تقع جميعها فى المناطق الجنوبية من الكتلة اليابسة الرئيسية للعالم. فى حين تقع الولايات المتحدة وأوروبا واليابان باتجاه الشمال بقدر أكبر.

* * *

تحدثت حتى الآن عن العالمين **الأول والثالث**، دون أن أتطرق للحديث عن **العالم الثانى**- أى عن الدول الاشتراكية (السابقة) مثل الاتحاد السوفيتى، وأوروبا الشرقية، والصين، وكوبا، وغيرها من البلدان. وتتقاطع هذه الفئة من البلدان- بلدان العالم الثانى- مع تقسيم العالم إلى شمال- جنوب. فالدول الاشتراكية- سابقا- التى كانت مرتبطة صراحة بالماركسية، قد أنجزت جزئيا عملية إخراج نفسها خارج نطاق الاقتصاد الرأسمالى العالمى. بعبارة أخرى فإن هذه البلدان بتأسيسها لاقتصاد مخطط ينهض على قهر دور رأس المال الخاص أو الحد الصارم منه، فإنها استبعدت نفسها إلى حد ما من نطاق العلاقات الاستغلالية القائمة بين الغرب والعالم الثالث. ونحن نؤكد على عبارة **إلى حد ما** لأن الاتحاد السوفيتى ودول الكتلة الشرقية- السابقة- كانت ترتبط فى الواقع مع الغرب بعلاقات اقتصادية وثيقة، ولذلك فإن هذه الدول لم تكن محصنة تحصينا كاملا بأى صورة من الصور من العوامل المؤثرة فى التطور الاقتصادى فى الغرب. فالركود لاقتصادى فى **المراكز** الرأسمالية كانت له آثار مباشرة على البلدان الاشتراكية.

ومن اليسير أن نرسم صورة عامة للوضع الاقتصادى النسبى للقطاعات الرئيسية الثلاث للنظام العالمى. فالمراكز **الرأسمالية** تغطى حوالى ربع مساحة الأرض، ويقطنها خمس سكان العالم، ولكنها تنتج ثلاثة أخماس الإنتاج العالمى. ويمثل إجمالى إنتاج الدول الاشتراكية السابقة ما يقل قليلا عن نصف ما تنتجه دول الغرب الرأسمالى المتقدم واليابان. ومع ذلك، فإن هذا يصل إلى ما يزيد على مثلى جملة إنتاج دول العالم الثالث[٦]. وتوضح هذه البيانات بجلاء التعارض القائم بين العالمين الأول والثالث. فالعالم الأول يحتل أقل من نصف مساحة العالم الثالث، ولديه ما يقل كثيرا عن نصف سكان الأخير- العالم الثالث- ولكن إنتاجية العالم الأول تعادل خمسة أمثال إنتاجية العالم الثالث.

ويوضح الجدول رقم ٧-١ بعض مؤشرات عدم المساواة على الصعيد العالمى، وهى تقتصر فى ذلك على إجمالى الناتج المحلى فى القطاعات غير الاشتراكية للاقتصاد العالمى.

جدول (٧-١)

التباينات فى مستويات الإنتاج العالمى عام ١٩٧٥

(نسب مئوية لإجمالى العالم)

	الناتج المحلى الإجمالى	الزراعة	الإنتاج الصناعى	النقل والاتصالات
دول اقتصادات السوق الحر المتقدمة	٨١,٥	٥١,٢	٨١,٠٠	٨٤,٣
دول اقتصاديات السوق الحر النامية	١٨,٥	٤٨,٨	١٩,٠٠	١٥,٧
إفريقيا (عدا جنوب إفريقيا)	٣,٠٠	١٠,٧	٢,٥	٢,٥
الولايات المتحدة وكندا	٣٣,٩	١٥,٩	٣٠,٦	٣٤,٦

المصدر: الكتاب الإحصائى السنوى للأمم المتحدة، ١٩٨١.

وقد تم التعبير عن الناتج المحلى الإجمالى أى مجمل الإنتاج الاقتصادى، ومكوناته الفرعية المختلفة، الإنتاج الزراعى، والصناعى، والنقل والاتصال كنسبة من جملة الإنتاج العالمى. ويشير مصطلح *اقتصادات السوق المتقدمة إلى ما أطلقت عليه المركز الرأسمالى أو دول العالم الأول*، فى حين يشير تعبير *اقتصادات السوق النامية إلى دول العالم الثالث*. ويوضح الجدول دون مواربة

إلى أى مدى تهيمن دول العالم الأول على الإنتاج العالمى، حيث تنتج هذه البلدان ٨١,٥% من جملة الناتج المحلي الإجمالى، فى حين يمثل إسهام دول العالم الثالث ١٨,٥% فقط.

وتساهم قارة أفريقيا- بعد استبعاد جنوب أفريقيا- بما نسبته ٣% فقط من جملة الناتج المحلى الإجمالى. وبالمقابل فإن النصيب النسبى لإسهام الولايات المتحدة وكندا من إجمالى الناتج المحلى يصل إلى مقدار الثلث. وتظهر القطاعات الفرعية المكونة للناتج المحلى الإجمالى تعارضات حادة مماثلة. فعلى الرغم من الصغر النسبى للقطاعات الزراعية لبلدان العالم الأول مقارنة بقطاعات الإنتاج الأخرى، فإن دول العالم الأول تنتج- مع ذلك - ما يربو على نصف جملة الإنتاج الزراعى وما ينيف على ٨٠% من الإنتاج الصناعى، والنقل، والاتصالات.

ولقد تواكبت مرحلة ما بعد الاستعمار (انحسار السيطرة الاستعمارية) التى ظهرت إلى حيز الوجود فى أعقاب الحرب العالمية الثانية مع تطور بالغ الأهمية فى طبيعة الرأسمالية الدولية: وأقصد به الدور المتعاظم الأهمية الذى تلعبه الشركات العابرة للقوميات. ولقد أشرت- فيما سبق- فى معرض مناقشتى لتوجهات الاقتصاديات الرأسمالية إلى التركز المتزايد للحياة الاقتصادية فى أيدى المؤسسات الكبرى. حيث نهض النمو الداخلى لهذه المؤسسات بصفة عامة على توسيع نطاق أنشطتها وتدخلاتها على الصعيد العالمى. فمع أفول نجم الحكم الاستعمارى المباشر من جانب الدول الغربية، أصبحت الشركات العابرة للقوميات صاحبة التأثير الأكبر فى الاقتصاد العالمى، وبخاصة فيما يتعلق بالتزاماتها فى دول العالم الثالث. وبمعنى ما، فإن هذا بالطبع ليس ظاهرة جديدة تماما: فشركات التجارة الاحتكارية التى وسمت المرحلة المبكرة لتطور النظام الاقتصادى الرأسمالى العالمى كانت بمثابة نذير لها. ولكننا نلاحظ اليوم أن نمو الرأسمالية العابرة للقوميات خلال فترة ما بعد الحرب قد أخذ يتسم بسمات مميزة كل التميز. فتلك الشركات العابرة للقوميات تنخرط فى مجالات واسعة للنشاط الاقتصادى عبر العالم أكبر بكثير من تلك التى عرفتها أسلافها. كما أن عائداتها

أصبحت تضارع أو أنها قد تجاوزت أحيانا الناتج المحلى الإجمالى لبعض الدول الصناعية. ويقل الناتج المحلى الإجمالى لإحدى عشرة دولة من بين الدول الأعضاء فى منظمة الوحدة الاقتصادية الأوروبية عن حجم مبيعات شركة إكسون Exxon العالمية.

ويمكن *تعريف الشركة العابرة للقوميات بأنها تجمع لشركات ذات مقار فى بلدان مختلفة، تتوحد فيما بينها من خلال الملكية المشتركة، ومن ثم فإن لها استراتيجية عامة متسقة*. ولكل شركة عابرة للقوميات شركة أم تتخذ لها مقرا فى بلد محدد. ومن الجلى أن الولايات المتحدة تهيمن على هذا المجال، يليها بريطانيا، وألمانيا الغربية[٧] (*). ونظرا لأن الشركات العابرة للقوميات مؤسسات عالمية، فإنه يمكنها أن تمرر مواردها عبر قنوات تتيح لها أن تتجنب بعض الموانع التى قد تسعى الدول إلى فرضها عليها.

فعلى سبيل المثال، عمدت بعض شركات صناعة السيارات العملاقة إلى خلق نوع من التكامل بين عمليات إنتاجها على المستوى الدولى، بحيث مكنها هذا من الاستفادة من التباينات فى تكلفة قوة العمل والمواد الأولية عبر العالم. وهكذا أصبحت السيارة فورد إسكورت سيارة عالمية ذات معايير موحدة لإنتاجها فى كافة أنحاء العالم، بحيث أصبح من الممكن تغيير نظم الإنتاج بقدر من اليسر دونما اعتبار للحدود القومية. ومع ذلك فإن البلد الذى يوجد به المقر الرئيسى للشركة الأم لا يعد مسألة من ترهات الأمور، ذلك أن أهم القرارات التى تحدد سياسة الشركة تصنع فى هذا البلد، كما أن تدفق الأرباح ينتهى إليها. وهكذا فإن التوزيع الدولى لمواقع الشركات الأم بين الدول المختلفة يؤثر بشدة فى نمط تراكم رأس المال على الصعيد العالمى.

ولقد دار حوار واسع النطاق حول الآثار العامة المترتبة على تدخلات الشركات العابرة للقوميات فى العالم الثالث، شأنه فى ذلك شأن الحوار حول الدلالات المرتبطة بقضية ما إذا كانت الفوارق بين الدول الغنية والدول الفقيرة

(*) كان ما يزال هناك ألمانيتان وقت كتابة الكتاب، أما الآن فلا توجد إلا ألمانيا واحدة منذ عام ١٩٩٠ (المترجم).

تتسع أم تضيق. ولقد اعتبر البعض أنشطة هذه الشركات بمثابة خطوة أبعد على طريق استغلال الدول الأقل تطورا لصالح المراكز الرأسمالية. ولا تعوزنا الأمثلة التى توضح الظروف التى تبنت فيها الشركات العابرة للقوميات سياسات ضارة بالدول الأكثر فقرا. وهكذا نجد، على سبيل المثال، أن الشركات الغربية بادرت بعمل حملات ترويج رئيسية فى بعض هذه البلدان خلال العشرين عاما الماضية بهدف العمل على تحول الأمهات لاستخدام الألبان المجففة ومنتجات أطعمة الأطفال الأخرى. ثم اتضح فيما بعد أن تبنى أساليب الرضاعة الصناعية بدلا من الرضاعة الطبيعية، كان سببا مباشرا للارتفاع الكبير فى معدلات وفيات الأطفال الرضع. فلبن ثدى الأم لا يحتوى فقط على معدلات أقل من البكتيريا من تلك الموجودة فى الألبان المصنعة، ولكنه يؤدى أيضا إلى اكتساب الرضع لخصائص قصيرة الأجل مضادة للتلوث الجرثومى، فضلا عن أنه يكسب الرضع مناعة دفاعية طويلة الأجل مضادة لعدد من الأمراض.

بيد أن الصورة تبدو أكثر تعقيداً مما توحى به هذه الأمثلة. فالشركات العابرة للقوميات تستثمر رؤوس أموال ضخمة فى الدول التى تعمل فيها الشركات التابعة لها، وتميل بصفة متزايدة إلى إقامة مصانع لها فى هذه البلدان، مستفيدة فى ذلك من القرب من مصادر الموارد الأولية والعمالة الرخيصة. وقد كان أحد النتائج المترتبة على ذلك هو ما أطلق عليه **التفكك Disarticulation**، وهو أحد العوامل التى تسهم فى إفراز الازدواجية. *ويحدث التفكك- كما يقول سمير أمين- حيثما يتكون الاقتصاد من مجموعة من القطاعات، أو من الشركات، المتراصة جنبا إلى جنب دون أن تحقق درجة عالية من التكامل فيما بينها، بيد أن كلا منها تتكامل بشدة - بصورة مستقلة- مع وحدات تقبع مراكزها فى المراكز الرأسمالية العالمي*[٨].

وهكذا تظهر دراسة لأكبر الشركات الصناعية فى المكسيك أن الشركات المملوكة ملكية أجنبية تمثل أكثر من ٤٥% من جملة عدد الشركات. كما أفرز بحث فى البرازيل نتائج شديدة الشبه بتلك. كذلك اتضح أن هذه الشركات الأجنبية الكبيرة تمتلك - أو هى تسيطر أيضا - على شبكة واسعة من الشركات

الأصغر حجما. ومع ذلك، نلاحظ في ذات الوقت، أن استقرار الوحدات الإنتاجية في دول العالم الثالث يتيح على الأقل إمكانية تطوير قاعدة اقتصادية في هذه الدول يمكن أن تكون بمثابة الأساس لمزيد من الرخاء المادي. ويعتمد هذا بقدر كبير على الوضعية الخاصة بالدولة "المضيفة": بمعنى إلى أي مدى يمكن لهذه الدولة أن تسيطر على تدفق رؤوس الأموال منها وإليها، وإلى أي مدى يوجد بها قطاع اقتصادي متنوع بعيدا عن ذلك القطاع الذي يهيمن عليه رأس المال الدولي.

والسيناريو الأكثر احتمالا للحدوث في العقود القادمة هو أن أغلبية دول العالم الثالث سوف تظل تشهد ظروف فقر نسبي، في حين أن القوة الاقتصادية للغرب سوف تتآكل بشكل أساسي. فمن خلال تأسيسها "لكارتل" اقتصادي (هو منظمة الأوبك)(*)، تمكنت الدول المنتجة للبترول من البروز كمركز قوة رئيسي خارج نطاق المركز الرأسمالي الأساسي. غير أن هذه ليست استراتيجية يمكن أن تتكرر بذات القدر من النجاح بالنسبة للمعادن الأخرى، ذلك أن المواد البترولية تتسم بالتركز في مناطق بعينها، كما أنها أكثر أهمية لاقتصاديات الغرب من أي من المواد الخام الأخرى. والأمر الأكثر أهمية هو إنشاء مواقع للإنتاج الصناعي خارج نطاق المراكز الرأسمالية تكون لديها القدرة على التنافس بفاعلية مع المنتجات الغربية. ويبدو هذا وكأنه يؤسس ما يمكن أن يكون توجها مستمرا نحو **تراجع التصنيع** Deindustrialization في الغرب، حيث تعاني الصناعة من التدهور أو تتزعزع أسسها كليا. ويرجع هذا جزئيا إلى أنشطة الشركات العابرة للقوميات، وإلى تزايد الاستثمارات الداخلية في بلدان مثل البرازيل وفنزويلا وأمريكا اللاتينية وكوريا الجنوبية وهونج كونج وتايوان التي أضحت قادرة على تحدي الدول الرأسمالية المركزية في مجالات أنشطتها. وقد يكون لهذا الاتجاه نحو إعادة توطين الصناعات من المراكز إلى الأطراف- إذا ما كتب له أن يستمر- آثار بعيدة على الغرب. *فالكساد التضخمي Stagflation- أي معدل النمو المنخفض المصحوب بارتفاع معدل التضخم*- قد يصبح أحد

(*) والرمز المستخدم للدلالة عليها هو OPEC أي منظمة الدول المصدرة للبترول. (المترجم)

الظواهر الدائمة فى الغرب، وسيكون ذلك مصحوبا بمعدلات للبطالة كانت تعتبر فيما سبق خاصية مميزة للعالم الثالث.

* * *

الدولة القومية، والقومية، والقوة العسكرية

لابد لنا عند معالجة موضع الدولة القومية، والقومية، والقوة العسكرية أن نتجاوز التعارض القائم بين نظرية المجتمع الصناعى والنظريات الماركسية. ذلك أن كلا من هذين التراثين الفكريين لم يطور تفسيرات ملائمة لهذه الظواهر. ويبدو هذا فى ظاهره وضع غريب حقا. ذلك أن حقبة القرون الثلاثة الماضية التى شهدت نشوء النظام الرأسمالى العالمى، هى ذاتها التى واكبت نشوء الدولة القومية باعتبارها الوحدة الأكثر شيوعا للتنظيم السياسى فى كافة أنحاء العالم. ولقد ارتبط توسع الرأسمالية، منذ القرن السادس عشر، ارتباطا وثيقا بالقوة العسكرية، وبخاصة القوة البحرية للغرب. كما أصبحت القومية التى ارتبطت بحركات تتراوح ما بين الفاشية والأجنحة الثورية اليسارية، واحدة من أهم القوى المؤثرة فى العالم المعاصر. وبلغت الحروب واستخدام العنف مستويات غير مسبوقة من التصعيد خلال القرن العشرين الذى شهد حربيين عالميتين، بالإضافة إلى الإبادة الجماعية لملايين البشر فى الحروب الأخرى. غير أن هذه المآسى لم تجذب اهتمام علم الاجتماع، وذلك بغض النظر عن التباين فى التوجهات الفكرية للباحثين بصدد الموضوعات الأخرى.

كيف كان من الممكن لمثل هذا الموقف أن ينشأ؟ ربما يكون أحد الأسباب هو الاستقلال الأكاديمى لكل من "علم الاجتماع" و"العلوم السياسة" الذى أشرنا إليه فى الفصل الرابع، وذلك لأن تحليل الدولة يعتبر أحد المجالات المقصورة على العلوم السياسية. على أن الحقيقة هى أن تحليل الدولة كما تم إنجازه فى إطار العلوم السياسية يعانى من أوجه قصور بالغة، من حيث تركيزه- أولاً وقبل كل شئ- على التأسيس الداخلى للديموقراطية، أو على الدور الاقتصادى للدولة. وتعد الأدبيات المتعلقة بتنمية التخلف التى ناقشتها فى الفقرة السابقة، ذات أهمية مركزية لمحاولة فهم تكون النظام العالمى الحديث. غير أنها مكتوبة فى الأغلب من وجهة نظر اقتصادية خالصة، وكأن مصدر التأثير العام الوحيد على النظام العالمى هو فقد إنتاج وتبادل السلع. ويتطلب تفسير الكيفية التى تأتى

بها لمثل هذه التفسيرات أن تهيمن على الأدبيات ضرورة الرجوع إلى التراث الفكرى الذى ورثه علم الاجتماع من فترة أواخر القرن الثامن عشر ومن القرن التاسع عشر. فلقد تأثرت كل من نظرية المجتمع الصناعى والماركسية بشدة بالفكرة القائلة بأن تطور الصناعة الحديثة قد استعاض عن النظام العسكرى الإقطاعى، بعلاقات التبادل الاقتصادى السلمية. فالأشكال الرئيسية للصراع أشكال اقتصادية، وفى كل الحالات سوف يتم تجاوزها وفقا للنظرية الأولى من خلال نضج عملية التحول الصناعى، وطبقا للنظرية الثانية من خلال الثورة الاشتراكية. ولا يعتبر أى من هذين التراثين الفكريين الدولة الحديثة ذات علاقة عضوية بتوليد العنف العسكرى، أو بالسيطرة الإدارية على حدودها الإقليمية. فالدولة باختصار - التى لا ينظر إليها كدولة قومية - توجد فى حالة عداء محتمل أو فعلى مع دول قومية أخرى. ولقد فشل ماركس - على وجه الخصوص- فى أن يتنبأ بالتأثير الهائل الذى مارسته المثل العليا القومية خلال الفترة المعاصرة. ومن المفارقات الطريفة أن المشاعر القومية قد لعبت دورا هاما فى تغذية بعض ثورات القرن العشرين البارزة التى أتت بحكومات ماركسية إلى سدة الحكم.

ويجب علينا لكى نفهم نشوء الدولة القومية الحديثة أن نربط ما بين أصول الرأسمالية والظروف الاجتماعية التى كانت قائمة فى أوروبا فى فترة ما بعد العصور الوسطى. فقد كانت أوروبا فى القرن السادس عشر تتكون من مجموعة من الدويلات، وهو شكل من أشكال الدولة ينطوى على تغيير التحالفات والارتباطات والصراعات. وبغض النظر عما إذا كان هذا يمثل شرطا ضروريا لنشوء الرأسمالية أم لا، فإن وجود نظام الدولة وفر غطاء لتوسعها. ولكن تلك الدويلات لم تكن قد أصبحت بعد دولا قومية. *ويمكن أن نعرف الدولة القومية على أنها تلك التى تنطوى على نظم لتدابير الحكم السياسى، حيث ينجح حكام المجتمع فى احتكار السيطرة على أدوات العنف (الجيش والشرطة). وتمثل هذه السيطرة الرادع الأساسى الذى يدعم إدارتهم لمنطقة ذات معالم حدودية محددة بدقة.* وبهذا المعنى، فإن الدول الأوروبية فى القرن السادس عشر، لم تكن دولا

قومية. ذلك أنها فى معظم الأحوال كانت ذات حدود متميعة نسبيا – أى ذات تخوم وليس حدود – كما أنها كانت تفتقر إلى جهاز دولة مركزى، لم يظهر إلى حيز الوجود إلا تدريجيا فيما بعد. ولقد لعبت التطورات التى طرأت على وسائل الانتقال والاتصال، التى أشرت إليها فى بداية هذا الفصل، دورا جوهريا فى هذه العملية، كما ارتبطت بأشكال التطور الحضرى التى وصفتها فى فصل سابق. وقد مكن هذا من تحقيق درجة من التنسيق فى الإدارة الحكومية لم يكن من الممكن تحقيقها فيما سبق. ونلاحظ فى ذات الوقت، أن نمو الإنتاج الصناعى، عندما اقترن بفن الحرب، جعل من الممكن تطوير القوة العسكرية إلى حدود لم يكن من الممكن تصورها. وهكذا فإن نظام الدولة الأوروبى المبكر، كان بمثابة الأساس التى استندت إليه الدولة القومية فى تدعيم وجودها فيما بعد. وقد صاغت الحروب والدبلوماسية هذه التغيرات. فقد عرفت أوروبا، فى القرن السادس عشر، حوالى خمسمائة دولة وإمارة مستقلة أو نحو ذلك، وبحلول القرن العشرين، كان هذا العدد تقلص إلى خمس وعشرين دولة(٩).

ولقد ارتبطت نشأة الدولة الحديثة ارتباطا لصيقا بظهور المشاعر القومية. *ويمكن تعريف القومية على أنها مشاعر الارتباط المشترك ببعض الرموز التى تحدد هوية أعضاء جماعة سكانية ما باعتبارهم ينتمون إلى ذات المجتمع الأعم.* ولقد كان تطور النزعة القومية فى أوروبا متوافقا- تقريبا- مع تشكل الدولة القومية. وهى لذلك تعد بحق ظاهرة حديثة، محددة بصورة اكثر حدة من تلك المشاعر المشتتة بالانتماء المجتمعى، التى كانت قائمة فى المراحل المبكرة من تطور نظام الدولة الأوروبى. ومن الواضح أن تأجج المشاعر القومية فى أوروبا قد ارتبط بتحلل العلاقات المميزة للمجتمعات المحلية، والانتماءات، واللهجات وما إلى ذلك من خلال عمليات التركيز والاندماج التى انطوى عليها نشوء الدولة القومية. ومع ذلك، فيجب أن يكون واضحا أيضا أن الدولة القومية – والقومية لا ينبغى التفكير فيهما باعتبارهما وجهان لعملة واحدة. فدول ما بعد الاستعمار فى إفريقيا المعاصرة، على سبيل المثال، هى بالتأكيد دول قومية، ولكن بعضها يعانى من انقسامات إقليمية أقوى من مشاعر الانتماء إلى المجتمع

القومى.

وإذا كان الاقتصاد الرأسمالى العالمى يمثل ملمحا مميزا للنظام العالمى الحديث، فإن الأمر كذلك أيضا بالنسبة للدولة القومية. وقد شرح والرشتين ذلك الأمر تفصيلا، غير أننا نجد أنه لا يسعى فى اقتفاء الدلالات المترتبة على هذه الملاحظة إلى آخر المطاف. *لقد صاحب الانتشار العالمى لظاهرة الدولة القومية تراكم متزايد فى وسائل شن الحروب فى أيدى الدولة القومية.* وينطبق تعبير سمير أمين **التراكم على الصعيد العالمى** على تطور التسلح بذات القدر الذى ينطبق به على نمو الثروة المادية، وهو الأمر الذى بلغ مداه فى المرحلة الراهنة بانتشار الأسلحة النووية، وهى مرحلة تجعلنا جميعا نناضل تحت حد السكين من أجل البقاء.

المراجع

(1)Allan R.Pred, Urban Growth and the Circulation of Information, Cambridge, Mass. Harvard Univ. Press. 1973.

(٢) انظر فى ذلك ما يسمى بتقرير فيلى براندت،

Willy Brandt et. al., North- South: a Program For Survival, London, Pan Books. 1980.

(3) Emmanuel Wallersein, The Modern World System. New York, Academic Press. 1974: 348.

(4) Andre Gunder Frank, Capitalism and Underdevelopment in Latin America, Harmondsworth, Penguin, 1971.

(5) Peter Worsley, The Three Worlds. Culture and World Development, London, Weidenfeld, 1984.

(6) Ranjit Sau, Unequal Exchange, Imperialism and Underdevelopment, Calcutta, Oxford Univ. Press. 1978.

(7)Robert Giplin, U.S. Power and The Multinational Corporation, London Macmillan, 1976.

(8) Samir Amin, Accumulation on a Warld Scale, New York, Monthly Reriew Pres, 1971, p. 289.

(9) Charles Tilly, The Formation of National States in Europe. Princeton, Princeton University Press. 1975.

الفصل الختامى

علم الاجتماع كنظرية نقدية

حاولت فى هذا الكتاب أن أقدم للقارئ تصورا لعلم الاجتماع يبتعد عن أنماط التفكير التى هيمنت على الموضوع ردحا طويلا من الزمن. فأولئك الذين أرادوا لعلم الاجتماع أن يسعى فى أثر نموذج العلوم الطبيعية، أملا فى اكتشاف قوانين عامة للسلوك الاجتماعى، مالوا إلى عزل علم الاجتماع عن التاريخ. وفى رفضنا لهذا الرأى، يجب علينا أن نذهب إلى ما هو أبعد من مجرد التأكيد على أن علم الاجتماع والتاريخ- أو بقدر أكبر من الدقة العلوم الاجتماعية والتاريخ- علوم غير قابلة للفصم، بالرغم مما قد يستثيره هذا الادعاء من استفزاز للبعض. ويجب علينا أن نفهم كيف يصنع التاريخ من خلال المشاركة الفعالة ونضالات البشر، فى ذات الوقت الذى يصوغ التاريخ فيه أولئك البشر أنفسهم، ويفرز نتائج لم يسعوا إليها أو لم يكن بوسعهم التنبوء بها. وليس هناك شئ أكثر أهمية من ذلك بالنسبة للخلفية النظرية لعلم الاجتماع، فى عصر يتأرجح ما بين الفرص الاستثنائية من ناحية، والكوارث الكونية من ناحية أخرى.

فضلا عن ذلك، فإن هجر وجهة النظر المحافظة يعنى أيضا رفض الفكرة القائلة بأن علم الاجتماع يمكن أن يقتصر على الوصف والتفسير. فعلم الاجتماع، والعلوم الاجتماعية الأخرى بصفة عامة، هو بالضرورة جزء لا يتجزأ من الموضوع الذى يسعى إلى فهمه، وهذا أمر لا يمكن تجنبه. إن الفكر السوسيولوجى- بوصفه نشاطا نقديا – يجب أن يتبلور حول الأبعاد الثلاثة للخيال السوسيولوجى التى سبق أن عرضت لها. ومن خلال فهمنا الجزئى للأشكال الاجتماعية التى توارت فى الماضى، ولتلك الأنماط من الحياة الاجتماعية المختلفة جذريا عن الأنماط الحديثة الناتجة عن عمليات التغير

الاجتماعى الراهنة(*)، يمكن لنا أن نساعد فى إنجاز مهام علم الاجتماع كنظرية نقدية. *فعلم الاجتماع كنظرية نقدية لا يقبل العالم الاجتماعى بوصفه شيئا مسلما به، بل إنه يطرح سؤال مؤداه: ما هى أنماط التغير الاجتماعى الممكنة والمرغوب فيها، وكيف يمكن لنا أن نجاهد من أجل تحقيقها؟.*

ويدعى البعض أن الماركسية تطرح حلولا جاهزة لهذه القضايا، ولذلك فهم يسعون إلى إحلال الماركسية محل علم الاجتماع. وهذه ليست وجهة نظرى لسببين: أولهما أنه ليس هناك ثنائية بين علم الاجتماع والماركسية، وهو ما تفترضه مسبقا وجهة النظر هذه. فالفكر السوسيولوجى ينبغى أن يكون قادرا على استيعاب مساهمات نابعة من التراث الماركسى دون أن يذوب فيها. أما السبب الثانى فهو يقدم التبرير المنطقى لوجهة النظر المذكورة فى السبب الأول، ألا وهو أنه ثمة هنات وأوجه قصور فى الفكر الماركسى لا تمكنه من أن يقدم الأساس العام للتحليل السوسيولوجى.

والواقع أن كتابات ماركس تعد ذات أهمية بالغة بالنسبة لعلم الاجتماع من منظورات حاولت أن أشير إليها من خلال مناقشتى للتناقضات بين الفكر الماركسى ونظرية المجتمع الصناعى. لقد أعطى نمو المشروع الرأسمالى القوة الدافعة للتطور اللاحق للإنتاج الصناعى فى الغرب. وما تزال المجتمعات الغربية مجتمعات رأسمالية فى جوهرها، على الرغم من التغيرات الكثيرة التى طرأت عليها منذ كتب عنها ماركس. ولقد كان الصراع الطبقى وما يزال ذا صلة مباشرة بهذه التغيرات، سواء فيما يتعلق بالعلاقات الصناعية أو بطبيعة الدولة. ويفضى الطابع الدينامى للإنتاج الرأسمالى إلى نشوء معدلات للتجديد التكنولوجى ذات وقع أسرع بكثير من أى شئ عرفناه فى ظل أى من نظم الإنتاج السابقة.

ولم يكن ماركس مبالغا عندما كتب يقول "إن الاستثمار الرأسمالى قد حقق

(*) يشير المؤلف بتلك الفئة إلى المجتمعات الانتقالية (النامية) التى لم تفقد أشكالها الاجتماعية الماضية تماما، ولم تكتسب بعد كافة الأشكال "الحديثة" الناجمة عن التغير الاجتماعى. (المترجم).

إنجازات مدهشة تتجاوز بكثير الأهرامات المصرية، ومجارى المياه الرومانيــة، والكاتدرائيات القوطية. فقد حقق الاستثمار الرأسمالى فتوحا جديدة تتراجع أمامها كل الكشوف السابقة للأمم. إن التثوير المتواصل للإنتاج، والتقويض الدائم لكافة الظروف الاجتماعية، وعدم اليقين الدائــم والتوتــر هــو مــا يمــيز العصــر البورجوازى عن العصور السابقة عليه". فضلا عن ذلك نلاحــظ - كمــا أكــد ماركس مرارا وتكرارا - أن هذه الدينامية تنشر الآليات الاقتصادية الرأســمالية عبر العالم؛ فالصناعة الرأسمالية "لم تعد تعتمد على الموارد الأولية المحلية فقط، بل على موارد أولية مجلوبة من أقصى بقاع الأرض، ثم أن هذه الصناعـــة لا تستهلك منتجاتها فقط، بل فى كافة أرجاء الأرض قاطبة"(١).

ويمكن القول أن الفكر الماركسى قد تطور على نحو ثرى ومتنوع خـــلال الفترة التى انقضت منذ نشر ماركس آراءه. فضلا عن أن الماركسية قد أصبحت - فى صورة منها أو أخرى - الإيديولوجية الرسمية لأنظمـــة سياســية ظلــت تهيمن على قطاعات كبيرة ومهمة من العالم. إلا أننا نلاحظ أنه فى ذات الوقــت الذى شهدت فيه الماركسية نجاحها السياسى، أخـــذت تتجلــى للعيــان أوجــه قصورهـــا النظرية والتطبيقية بصورة أخـــذت تــزداد وضوحــا. فــالثورات الاشتراكية كما يعرف الكافة، وقعت فى أقطار كانت تعيش على هامش النظـــام الرأسمالى، وليس فى القلب الصناعى المتقدم للغرب. وما تـــزال دلالـــة هـــذه الحقيقة بالنسبة لتقويم المشروع الاشتراكى ككل موضوعا لحوار عنيف وحـــاد. والسبب فى ذلك أنه من العسير أن ننكر أن الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية الأخرى (السابقة)، على الرغم من أنها تتباين فيما بينها بدرجة كبيرة، تبـــدو - فى أفضل الأحوال - بعيدة عن نموذج النظام الاجتماعى الإنسانى الحر الـــذى يعد بمثابة النموذج المثالى للاشتراكية. ولقد لعبت الظروف التى تطـــور فيـــها الاتحاد السوفيتى كمجتمع يمر بمرحلة تصنيع فائق السرعة فى بيئة معادية مـــن القوى الرأسمالية، لعبت بلا شك دورا فى تشكل بعض الملامح التسلطية التـــى كان يتسم بها الاتحاد السوفيتى. كذلك لعب تأثير الاتحاد السوفيتى على الـــدول الاشتراكية التى تكونت لاحقا دورا فى إعادة إنتاج عناصر تسلطية مشابهة فـــى

تلك الدول. وشهدت الثمانينيات ظهور عدد كبير من الكتابات التي تنتقد المجتمعات التي اتبعت النموذج السوفيتي من وجهة نظر الماركسية أو متأثرة بالماركسية. وقد كتبت معظم هذه الكتابات - وليس كلها - بأقلام ماركسيين يعيشون في الغرب. غير أن المشكلة الأساسية ما تزال هي: إلى أي حد يمكن رد بعض الخصائص الشمولية للمجتمعات الاشتراكية إلى جوانب القصور في أفكار ماركس ذاتها. وإذا ما كانت هذه هي الحالة، وهو ما أراه أنا شخصيا، فإن النظرية السياسية المعاصرة تصبح في حاجة إلى إعادة هيكلة واسعة النطاق، أبعد بكثير مما يستطيعه أولئك الذين يخشون الابتعاد عن ثوابت المذهب الماركسي.

وينتمي معظم نقاد ماركس إلى توجهات محافظة أو ليبرالية، غير أنني أظن أنه من الضروري بالنسبة للنظرية الاجتماعية النقدية - التي تستلهم أعمال مثل هؤلاء النقاد - أن تطور في ذات الوقت نقدا لماركس من منظور يساري. فبالإضافة إلى القضية الأساسية المتعلقة بأصول السيطرة السياسية الشمولية، *فإنه يبدو لي أن هناك أربع مجموعات أخرى من الأسئلة الإضافية- ذات العلاقة بالتحرر الإنساني- التي لم يتم تحليلها بصورة ملائمة في كتابات ماركس، وفي كتابات معظم الماركسيين اللاحقين*، والتي لم تمكنني المساحة المحددة لهذا الكتاب من معالجتها.

أولاً: مسألة العلاقة بين البشر والطبيعة، والموارد التي تتيحها الطبيعة للحفاظ على الحياة البشرية. وعلى حين أن ماركس قدم في مواضع متفرقة ملاحظات مثيرة وموحية حول الطبيعة، فإن التوجه الأساسي في عمله ينحو إلى التعامل مع الطبيعة بوصفها وسيطا للتقدم الاجتماعي الإنساني. فالإنجازات الاجتماعية، بعبارة أخرى، تساوي في نظرة تطور الصناعة، أو ما يطلق عليه ماركس "**قوى الإنتاج**". ولقد اعتقد ماركس أن نمط الإنتاج الرأسمالي نمط تقدمي، على الرغم من التشوهات التي قد يفضي إليها، وعلى وجه التحديد، بسبب قدرته على هدم أنظمة أو أشكال اجتماعية أكثر ركودا من الناحية الاقتصادية.

على أن إخضاع أنماط أخرى من أنماط الارتباط بالطبيعة لغرض السعى فى أثر الرخاء المادى قد يعنى تدمير طرائق للحياة كان يمكن للغرب أن يتعلم منها الكثير. ذلك أنه يمكن القول بأن الطبيعة بالنسبة لمعظم الثقافات الأخرى السابقة على ظهور الرأسمالية الغربية، هى أكثر بكثير من مجرد الوسيط البسيط للتقدم المادى. فالبشر لا يعيشون بمعزل عن الطبيعة، حتى بالنسبة لأولئك الذين يعيشون فى بيئات حضرية. فالريف بالنسبة لنا، نحن سكان المدن، هو ذلك المكان الذى لم تخربه الصناعة، أو لم يصبح موحد الشكل تحت تأثير الزراعة الرأسمالية، هذا الريف هو بمثابة موضوع للتأمل، أو مكان نهرب إليه فى عطلة نهاية الأسبوع. إلا أننا نجد ظلوا فى معظم الثقافات، وعلى مدار مجمل التاريخ البشرى تقريبا، يعيشون "فى قلب" الطبيعة، وهم يشعرون بأنفسهم كجزء منها، مازجين ما بين خبراتهم الجمالية والدينية. وفى أحيان نادرة ندرك قبسا من عمق هذه الخبرة بطريقة استثنائية ومجزأة. ويشير ت.س.إليوت Eliot إلى شئ من هذا القبيل فى قصيدته "نورتون المحترق" "Burnt Norton"، عندما يكتب عن المزاج الاكتئابى المراوغ الناتج عن "اللحظة التى قضيناها فى حديقة الورود، اللحظة التى قضيناها تحت التعريشة محتمين من زخات المطر، واللحظة التى قضيناها فى الكنسية المقفرة المحترقة التى يغشاها دخان كثيف...".

هل يمكن لنا أن ندعى أن مثل هذه العناصر والملامح هى كل ما يمكن، أو يجب، أن يبقى من الماضى فى العالم المعاصرة ؟ إذا ما كان الرد بالإيجاب، فإننا نلغى بذلك آلاف السنين من التاريخ البشرى ومن أنماط الحياة للعديد من المجتمعات الإنسانية، باعتبارها مجرد أشياء عتيقة مثيرة للفضول. وحتى ولو افترضنا أننا قد تبنينا وجهة النظر هذه فعلا، والتى تبدو اليوم- من منظور معاكس محب للاستطلاع- تبدو بالتأكيد بربرية. فلقد بات واضحا فى القرن العشرين أن هناك حدودا إيكولوجية لاستغلال الطبيعة من جانب النشاط الإنسانى. فالتأكيد المعاصر على التطوير الاقتصادى، الذى تشترك فيه كل من المجتمعات الرأسمالية والاشتراكية على حد سواء، يدفع بالعالم نحو كارثة إيكولوجية. *وعلى حين أن إعادة توزيع الثروة الإنتاجية فى اتجاه دول العالم*

الثالث يعد أمرا ملحا، فإن الأمر ذا الأهمية القصوى هو أن نرفض المفهوم القائل بأن السبيل إلى حل المشكلات الاقتصادية التى تواجه العالم اليوم يكمن فى تحقيق المزيد من التطور التكنولوجى فقط. من هنا فإن أحد صور الراديكالية التى نحتاج إليها لتتمم الاهتمامات التقليدية للماركسية هى الراديكالية الإيكولوجية، التى تسعى إلى مقاومةالاتجاه الذرائعى الخالص نحو الطبيعة.

ثانياً: مشكلة القهر السلالى أو العرقى. من المؤكد أن كتابات ماركس والماركسيين- فيما بعد- قد ألقت الضوء على بعض جوانب هذه الظواهر بمقدار الدور الذى لعبته فى نمو الرأسمالية. فمنذ الفترات المبكرة لتجارة العبيد، أجبرت شعوب العالم الثالث على نحو ما، أو غرر بها بالوعد بمستويات معيشة أعلى، على الحراك المكانى إلى البلدان الرأسمالية المتروبوليتانية (المركزية). ويمثل الاستخدام الواسع النطاق للعمال المهاجرين من الدول الأكثر فقرا فى مجتمعات أوروبا الغربية الموسرة آخر التطورات فى هذا الصدد. ومن أمثلة ذلك استجلاب العمال الأتراك إلى ألمانيا الغربية فى خمسينيات وستينيات القرن العشرين. ويتركز هؤلاء العمال- فى حالة عدم عودتهم إلى وطنهم والاستقرار فى بلد المهجر- فى مهن ذات أجور منخفضة، وفرص متدنية للارتقاء الوظيفى، فضلا عن الافتقار إلى الأمن الوظيفى.

ولا يمكن فهم القهر السلالى فى المجتمعات الرأسمالية المتقدمة إلا فى إطار تاريخ الاستعمار الغربى والاتجاهات الكامنة وراءه. وتنطوى مثل هذه الاتجاهات على خصائص ثابتة، كما يشهد بذلك مصير السود والأقليات الأخرى "غير البيضاء" فى الولايات المتحدة الأمريكية. وهناك فروق واضحة ومتسقة بين خبرة مثل هذه الجماعات وخبرة المهاجرين البيض الذين وصلوا إلى أمريكا فى موجات عارمة من أوروبا فى القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. ولقد كان العدد الأكبر من أولئك المهاجرين أنفسهم هاربين من ظروف القهر فى بلدانهم الأصلية، ووجدوا أنفسهم يعيشون فى ظل فقر مدقع فى البلدان التى وصوا إليها. ولكن أثبتت الولايات المتحدة بالنسبة لأغلبية- وبالتأكيد ليس كل – أبناء الجيل الثانى، أنها بوتقة صهر melting pot، حيث تم تمثلهم

فى المجتمع المضيف. أما الأقليات "غير البيضاء"، من ناحيـــة أخـــرى، فمـــن الواضح أنه لم يتم دمجها بذات القدر الذى تم بـــه ذلـــك بالنسـبة للمـــهاجرين الأوروبيين. فظروف العمل السيئة، والعزل فى الأحيـــاء الحضريـــة الفقـــيرة أصبحت تمثل ملامح ملازمة لظروف حياتهم(٢).

بيد أن القهر السلالى لم يكن قاصرا على الرأسمالية وحدها. ويترتب علـــى ذلك أن التحول عن الرأسمالية لن يفضى فى حد ذاته إلى وضع نهايـــة للقـــهر السلالى. فالمجتمعات الاشتراكية التى كانت قائمة فى أوائل الستينيات لم تكـــن بالتأكيد خلوا من التمييز العرقى. ولا ينبغى أن يدهشنا هذا، ذلك أنه أيا ما كانت الرؤية الماركسية المطبقة، فالواقع أن الفكر الماركسى يفتقر إلى معالجة للتمـيـيز العرقى باعتباره مصدرا مستقلا من مصادر الاستغلال، أى مصدرا مستقلا عـــن آليات الهيمنة الطبقية. وعلى الرغم من أن القهر السلالى قـــد أصبـــح لصيـــق الصـــلة بالانقسامات الطبقية فى الرأسمالية المعاصرة، فمن الخطأ أن نختزل أيا منهما إلى الآخر. *ولذا ينبغى أن يكون أحد أهداف النظرية الاجتماعية النقدية هو تطوير تحليل للتفرقة العنصرية وأشكال الاستغلال السلالى التى يمكن لـــها أن توسع من الاهتمامات التقليدية للفكر الماركسى بالهيمنة الطبقية.*

ثالثاً: قضية القهر النوعى (قهر الرجل للمرأة). تتشابه القضايا المطروحـــة هنا مع تلك التى تثيرها المسائل المتعلقة بالانقسامات السلالية. ولقد قدم الكتـــاب الماركسيون إسهاما بارزا فى دراسة قهر النساء وعلاقته بظـــهور الرأســـمالية. ولقد ناقشت بعض هذه الإسهامات فى موضع سابق من هذا الكتاب. فقد عمـــل التطور الرأسمالى من خلال فصله ما بين البيت ومكان العمل - بالاشتراك مـــع ملامح معينة للحياة الأسرية- على ترويج نموذج للولع بالحياة العائلية، كـــانت له آثار بالغة على وضعية المرأة فى المجتمع. ومثلمـــا هـــى الحـــال بالنســـبة للأقليـــات العرقية، وبدرجة أكبر فى حالة النساء اللواتى ينتمين أيضا إلى مثـــل هذه الأقليات، فإن العمل المأجور للنساء يميل إلى التركز فـــى المجـــالات ذات ظـــروف العمل السيئة. *وفى ضوء كل ما ذكرناه، فإن الفكر الماركسى ما لم تتم إعادة صياغته بشكل جذرى فلن يكون بمكنته التوافق بصورة ملائمة مع أصول*

الاستغلال النوعى وطبيعته.

وكتابات ماركس ذاته فى هذا الموضوع قليلة. غير أن صديقه وصنوه المقرب فريدريك إنجلز حاول أن يطور تحليلا نظريا لعلمية إخضاع المرأة فى مؤلفه "**أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة**" المنشور فى عام ١٨٨٤. ولا يمكننا أن نحدد إلى أى مدى اتفق ماركس مع وجهات نظر إنجلز، غير أنه لا يوجد ما يسوغ الاعتقاد بأن ماركس كان يستنكر على إنجلز الخطوط العامة لوجهة نظره الواردة فى ذلك الكتاب. فقد ذهب إنجلز – سعيا فى أثر أعمال بعض علماء الأنثروبولوجيا فى القرن التاسع عشر – إلى القول بأن الأشكال المبكرة للمجتمع البشرى كانت خاضعة لنظام سلطة الأم– أى لهيمنة المرأة، وأن هيمنة الرجل ونظام الأسرة الأبوية، هما نتاج عملية التطور التاريخى. كما أن تطور نظام السلطة الأبوية يرتبط بظهور الطبقات والدولة. وترجع جذور نظام السلطة الأبوية إلى حاجة الرجال إلى حماية المصالح الجديدة التى اكتسبوها، على الرغم من أنه يجب علينا أن نلاحظ أن إنجلز لا يشرح بوضوح كيف حدث هذا. وهكذا تذهب نظرية إنجلز، إلى أن الهيمنة الذكرية يمكن أن تفهم مباشرة فى ضوء مفهوم الطبقة. وحيث أن الهيمنة الذكرية نتاج للهيمنة الطبقية، فإنها سوف تختفى مع التحول من الرأسمالية إلى الاشتراكية والانتقال إلى المجتمع اللاطبقى، كما ادعى إنجلز.

ولم يستطع الكثير من تحليل إنجلز أن يحتفظ بمصداقيته فى ضوء المكتشفات الجديدة للعلوم الاجتماعية على امتداد الفترة منذ أيامه وحتى الآن. فقد أشارت الشواهد الأنثروبولوجية إلى أن المجتمعات البشرية لم تعرف خلال مراحل تطورها وجود نظام سلطة الأم. وكما ذكرت فى الفصل السادس من هذا الكتاب، فإن كافة الثقافات المعروفة هى ثقافات أبوية فى جوانب محددة منها، بما فى ذلك ثقافات المجتمعات الاشتراكية التى كانت قائمة حتى عهد قريب، على الرغم من وجود اختلافات ملحوظة بين النظم الاجتماعية المختلفة. *فنظام السلطة الأبوية لا يمكن أن يفسر باعتباره تعبيرا عن الهيمنة الطبقية، ومثله مثل القهر السلالى، فإنه بحاجة إلى تفسير فى حد ذاته مستقلا عن الهيمنة الطبقية،*

كما أنه ليس من المحتمل لبرامج التغير الاجتماعى المهتمة بتحرير المـــرأة أن تحقق نتائج ملموسة على الرغم من أنها تقر بذلك. فالحركة النسوية قد تكـــون بالفعل ذات دلالات أكثر راديكالية بالنسبة للحياة الاجتماعية من الماركسية.

رابعاً: مشكلة قوة الدولة بما فى ذلك ارتباطها بالترويج العنف. تفضـــى الأولوية التى تضفيها النظرية الماركسية على الهيمنة الطبقية فى هذا المقـــام – كما حاولت أن أوضح فى فصول سابقة من هذا الكتاب – إلى فشل مزدوج فـــى هذا الإطار. فحيث أن الدولة فى كل من المجتمعات قبل الرأسمالية والمجتمعـات الرأسمالية تفسر باعتبارها مجرد وسيلة تدعم حكم الطبقة المسيطرة، فليس هناك إمكانية للنظر إليها باعتبارها مصدرا مستقلا للقوة. وتفتقر الماركســية جزئيـا نتيجة لهذا الموقف إلى تفسير للدولة القومية الحديثة، وللنظام العالمى الدولى فى علاقة كل منهما بالقوة العسكرية.

إن الآثار المترتبة على هذه النقاط آثار بالغة التعقيد، بيد أنه مـــن العســير على المرء أن يقلل من دلالتها. وفيما يختص بالإسهام فى فهم النظام الداخلـــى للدولة الحديثة، فإن هذه النقاط تشير – بشكل مباشر – إلى الحاجة إلى نظرية فى تفسير النظم الشمولية. فقد توقع ماركس تحلل الدولة فى المجتمع الاشـــتراكى، غير أنه – ولأسباب حاولت أوضحها فى الفصل السابق – تبين أن الدولة ظاهرة أكثر صلابة وهولا مما هو متصور فى الفكر الماركسى. وليس ثمة حاجة إلـــى تفكير سوسيولوجى محنك لكى ندرك ذلك، فعلى العكس من اختفاء الدولة فـــى المجتمعات الاشتراكية، اتسع نطاق القوة التى تمارسها الدولة على الأفراد فـــى تلك المجتمعات على نحو يفوق الوضع فى الديموقراطيات الليبرالية الرأسـمالية: **إنها مجتمعات الدولة الاشتراكية**. ومن المؤكد أن الظـــروف الخاصـــة التـــى أحاطت بنشأة الاتحاد السوفيتى، وتأثيرها فيما بعد على الحركة الاشتراكية، تعـد مهمة فى تفسير كيف آلت الأمور إلى ما آلت إليه. ولكن ســيكون مـــن قصـــر النظر بحق أن نفترض أن هذا هو كل ما يهم فى الأمر.

فعلى الرغم من أهمية هذه القضايا السياسية **الداخلية**، فإنها تـــتراجع فـــى أهميتها عند مقارنتها مع تلك المتعلقة بالدولة القومية والعنف. لقـــد كـــان أحـــد

العناصر الأساسية فى نقد ماركس للرأسمالية موجها ضد ما أطلق عليه **فوضى** الإنتاج الرأسمالى. فالقوة الدافعة للاستثمار الرأسمالى هى السعى فى أثر الربح من خلال بيع السلع فى السوق. وتربط آليات السوق ما بين المنتجين والمستهلكين، غير أنه ليس ثمة مؤسسة تربط ما بين الإنتاج والاحتياجات الإنسانية. وما تزال هذه هى الحال فى العلاقة الاقتصادية الحديثة، عدا أن بعض هذه العناصر **الفوضوية** كامنة فى الاقتصاد العالمى وليس فى داخل اقتصادات دول بعينها. ومع ذلك فهناك الآن *فوضى أخرى تهدد* جوهر وجود *كل شخص على هذا الكوكب: وأقصد بذلك العلاقات بين الدول القومية*. إن نظام الدول القومية العالمى، والذى ينطوى الآن على امتلاك أسلحة ذات إمكانية تدميرية غير مسبوقة، يفتقر إلى وجود أى آلية عامة للتنسيق. فأولئك الذين يدعون أن عصر الدولة القومية قد انتهى، بسبب ظهور التجمعات الدولية مثل الجماعة الاقتصادية الأوروبية EEC، أو بسبب وجود مؤسسات مثل: الأمم المتحدة، أو البنك الدولى، أو صندوق النقد الدولى وما إليها ليس حديثهم هذا سوى هراء خالص. فالقوتان العظميان اللتان بإمكانهما تدمير العالم ليستا إلا دولتين قوميتين، كما هى الحال بالنسبة للقوى النووية الأخرى التى يتزايد عددها عاما بعد عام. ولم تساعد الاشتراكية – على الأقل فى الأشكال التى اتخذتها حتى الآن – على إفراز رابطة من الدول (كومنولث) المتعايشة فى سلام. فالاتحاد السوفيتى السابق كان منخرطا فى قلب الصراع الذى يهدد مستقبل العالم، وكما تظهر العلاقات المريرة بين الاتحاد السوفيتى والصين أو بين فيتنام وجيرانها الاشتراكيين، فإن الدولة الاشتراكية المعاصرة ظلت دولة قومية تتسم بحمية حدودية، وميل إلى استخدام القوة العسكرية عندما يتصور زعماؤها أن مصالح دولهم تتعرض للتهديد.

إنه يتعين على النظرية الاجتماعية النقدية أن تسعى إلى تحقيق قدر أكبر من الفهم الملائم لنظام الدول القومية العالمى يفوق ذلك الذى حققه أولئك الذين يعملون فى إطار التقاليد الماركسية الجامدة. ويجب أن يكون هدفها التطبيقى هو دعم الحركات الاجتماعية التى تسعى إلى احتواء، ثم العمل فى نهاية المطاف،

على القضاء التام على الاعتماد الراهن على الردع كأسلوب وحيد للتواؤم مع الفوضى فى نظام الدول القومية العالمى. وفى هذه المرحلة من تاريخ العالم، فإننا نبدو بحق بعيدين كل البعد عن السيناريو الذى رسمه ماركس عند منتصف القرن التاسع عشر. فلقد كان ماركس مقتنعا بالتطور التقدمى للنوع الإنسانى الذى لخصه فى عبارته الشهيرة: "إن البشر لا يضعون لأنفسهم من الأهداف إلا ما يمكنهم فقط أن يتوصلوا لحلول لها". ومن المؤكد أنه ليس بإمكاننا أن نواصل الاعتقاد فى مثل هذا اليقين. غير أننا لسنا بحاجة إلى أن نركن إلى القنوط. ذلك أن الناس يصنعون تاريخهم، وما زال بإمكاننا أن نحتفظ بالأمل فى أن فهم هذا التاريخ سوف يسمح لنا أن نغيره، أو على الأقل سوف يسمح لنا أن نتأكد من أنه مازال يعيش بيننا.

المراجع

(1) Karl Marx and Friedrich Engels, "Manifesto of The Communist Party", in Selected Works in One Volume, London, Lawrence and Wishart, 1968, pp. 38 - 39.

(2) Robert Blauner, Racial Oppression America. New York, Harper and Row. 1972.

قائمة مشروحة بأهم مصطلحات
علم الاجتماع من وضع المؤلف

الأب الغائب Absent Father

الأب الذى لا تكون له علاقة وثيقة بأبنائه، أو لا علاقة له بهم على الإطلاق، بسبب الطلاق أو غيره من الأسباب.

الاتجاه البيئى

Ecological Approach

منظور فى الدراسات الحضرية يؤكد على التوزيع "الطبيعى" لأحياء المدينة فى مناطق ذات سمات وخصائص متناقضة.

اتجاه نظرى

Theoretical Approach

منظور حول الحياة الاجتماعية مشتق من تراث نظرى محدد. ويشتمل التراث الرئيسى للنظرية فى علم الاجتماع على: الوظيفية، والبنائية، والتفاعلية الرمزية، والماركسية. وتقدم الاتجاهات النظرية المنظورات العامة التى يعمل من خلالها علماء الاجتماع، ومن ثم يؤثرون فى مجالات بحوثهم، فضلاً عن الأساليب التى يتم بها تحديد المشكلات ومعالجتها.

الاتحاد الأوروبى European Union

رابطة تضم عددا من الدول الأوروبية الغربية، التى أقامت هذا الاتحاد لتطوير ودعم مصالحها المشتركة فى المجالات الاقتصادية، والسياسية، والثقافية. ويبلغ عدد دول الاتحاد الأوروبى اليوم خمس عشرة دولة، ولكن هناك عدد آخر من الدول الراغبة فى الانضمام إلى هذا الاتحاد.

اتخاذ كبش فداء Scapegoating

توجيه اللوم إلى فرد أو جماعة على أشياء خاطئة ليست من صنع أيديهم.

اتصال

Communication

عملية نقل المعلومات من شخص أو جماعة إلى شخص أو جماعة أخرى. ويمثل الاتصال الأساس الضرورى لكافة التفاعلات الاجتماعية. وفى سياق تفاعلات الوجه للوجه (المباشرة) يحدث الاتصال من خلال استخدام اللغة، بالإضافة إلى

الإيماءات الجسدية التي يفسر بها الأفراد ويفهمون ما يقوله ويفعله الآخرون. ومع تطور الكتابة ووسائل الاتصال الإلكتروني مثل الراديو والتلفزيون، وأنظمة الاتصال عبر أجهزة الكومبيوتر، أصبح الاتصال مجالاً منفصلاً إلى حد ما عن سياق علاقات الوجه للوجه المباشرة.

الاتصال غير اللفظي
Non - Verbal Communication

اتصال بين الأفراد يعتمد على التعبيرات الظاهرية للوجه أو الإيماءات الجسدية، دون استعمال اللغة.

الإثنوميثودولوجيا (منهجية الجماعة)
Ethnomethodology

الدراسة التي توضح كيف يفهم الناس ما يقوله الآخرون ويفعلونه أثناء عمليات التفاعل الاجتماعي اليومية. كذلك تهتم الإثنوميثودولوجيا "بالمنهجيات الجماعية أو الشعبية" التي يستخدمها البشر في عمليات التبادل والاتصال ذات الدلالة – التي تتم بينهم وبين بعضهم.

إثنية **Ethnicity**

القيم والمعايير الثقافية التي تميز أعضاء جماعة ما عن أعضاء جماعة أخرى. وتتسم الجماعة الإثنية بوعي أفرادها باشتراكهم في هوية ثقافية واحدة تفصلهم عن الجماعات الأخرى المحيطة بهم. وتقترن الفروق الإثنية في كافة المجتمعات تقريباً بالتباين في توزيع القوة والثروة المادية.وحيثما تكون الفروق الإثنية فروقا عرقية في الآن نفسه، فإن مثل هذه الانقسامات تصبح أكثر حدة.

إجماع **Consensus**

الاتفاق حول القيم الاجتماعية الأساسية بين أعضاء الجماعة أو المجتمع المحلي أو المجتمع. ويؤكد بعض المفكرين الاجتماعيين بشدة على أهمية الإجماع كأساس للاستقرار الاجتماعي. ويعتقد هؤلاء الكتاب أن كافة المجتمعات التي يكتب لها البقاء معلى امتداد فترة طويلة من الزمن تنطوي على "نسق قيمي مشترك" من المعتقدات التي تتفق عليها أغلبية السكان.

الاختلال الوظيفي Dysfunction

المؤثرات الاجتماعية التي تعمل على تفكيك أو إيقاع الفوضى في البناء الاجتماعي القائم.

الآخر المعمم (العام) Generalized Other

مفهوم أساسي في نظرية جورج هربرت ميد، بمقتضاه يتبنى الفرد القيم العامة لجماعة معينة أو مجتمع معين أثناء عملية التنشئة الاجتماعية.

إدراك Cognition

عمليات التفكير الإنساني التي تشمل : القدرة على الفهم، والاستنتاج من المقدمات أو الوقائع، والتذكر.

الإدمان Addiction

العملية التي بمقتضاها يصبح الفرد معتمدا على مادة (مخدرة) معينة أو على نمط معين من أنماط السلوك، وذلك على نحو يكون من الصعب تغييره. ومن أنواع المدمنين: مدمن الخمر، ولكن أيضا "مدمن العمل" Workaholic.(*)

إدمان الإعانات Welfare Dependency

موقف يقوم فيه الذين يعتمدون على خدمات الرفاهية، مثل هؤلاء الذين يحصلون على إعانة بطالة، بالتعامل مع الموقف "كأسلوب حياة"، بدلا من محاولة تأمين عمل مدفوع الأجر.

الأديان الأخلاقية Ethical Religions

يقصد بها الأديان التي تعتمد على الدعوة الأخلاقية "لمعلم أعظم" (مثل بوذا أو كونفوشيوس)، وليس على الإيمان بقوى أو بقوة عليا.

الآراء الفطرية، أو البادهة، أو المبنية على حسن التقدير Commonsense Beliefs

آراء واعتقادات عن العالمين الاجتماعي أو الطبيعي تحظى بقدر كبير من الانتشار بين عموم الناس في المجتمع (أي غير المتخصصين).

الإزاحة Displacement

تحويل الأفكار أو العواطف

(*) يشير المؤلف بطريقة ساخرة إلى ذلك النمط من الأشخاص الذين يتفانون في العمل ويغرقون فيه إلى الحد الذي يصبح فيه انغماسهم هذا نوعا من "الإدمان" أكثر منه حرصا على العمل. والتعبير مجازي، وللأسف لا يوجد في مجتمعاتنا كثير من "مدمني العمل" هؤلاء الذين يقصدهم جيدنز. (المراجع)

من مصدرها الحقيقى إلى موضوع آخر.

الإساءة الجنسية للأطفال
Sexual Abuse of Children
استغلال الكبار للأطفال استغلالا جنسيا.

الاستبيانات ذات الأسئلة المفتوحة
Open-ended Questionnaires
الاستبيانات - كما تستخدم فى البحوث المسحية - والتى تسمح للأفراد أن يدلوا بإجاباتهم فى صورة قصيرة أو مطولة كما يريدون.

الاستبيانات المقننة
Standardized Questionnairs
الاستبيانات، كما تستخدم فى المسوح الاجتماعية، التى تتضمن فئات محددة، بحيث لا يكون أمام المبحوثين إلا الاختيار من بين عدد محدد من البدائل فى إجاباتهم على كل سؤال.

الاستعمار Colonialism
العمليات التى استطاعت بها بعض الدول الغربية بسط سيطرتها فى بعض مناطق العالم البعيدة عن بلادهم.

الاستهلاك الجمعى
Collective Consumption
مفهوم استخدمه مانويل كاستيز للإشارة إلى عمليات الاستهلاك الحضرى، مثل شراء وبيع الممتلكات.

الأسر البديلة Step - Families
الأسر التى يكون فيها لأحد طرفى العلاقة الزوجية أو كليهما أطفال من زواج سابق، سواء يعيشون معه داخل الأسرة، أو على مقربة منه.

أسر الشواذ (جنسيا)
Gay - Parent Families
هى تلك الأسر التى يتربى الأطفال فيها على يد أزواج من المثليين جنسيا، سواء من اللوطيين أو من السحاقيات.

أسرة Family
مجموعة من الأفراد الذين يرتبطون ببعضهم البعض بروابط الدم، أو بالزواج أو التبنى، والذين يمثلون وحدة اقتصادية يعتبر الأعضاء البالغون فيها مسئولين عن تربية

الأطفال. وتشتمل كل المجتمعات المعروفة على شكل ما من أشكال التنظيم الأسرى، على الرغم من أن طبيعة العلاقات الأسرية تختلف اختلافا بيناً. وعلى حين أن الشكل السائد للأسرة فى المجتمع الحديث هو الأسرة النووية، فما تزال هناك أشكال عدة قائمة من العلاقات الأسرية الممتدة.

الأسرة ذات الوالد الواحد
Lone - Parent Household

أسرة يضطلع فيها أحد الوالدين فقط - ذكراً أم أنثى - بأعباء تربية الأطفال.

الأسرة الممتدة
Extended Family

جماعة عائلية تتكون من أكثر من جيلين من الأقارب الذين يعيشون إما فى نفس وحدة المعيشة، أو على مقربة وثيقة من بعضهم.

الأسرة النووية Nuclear Family

نوع من الأسر يتكون من الأم والأب (أو أحدهما) والأطفال الذين فى كفالتهما (أو كفالته).

الإسقاط Projection

عزو المشاعر التى يحسها المرء بالفعل إلى الآخرين.

الاشتراكية Socialism

نظام من الأفكار السياسية يركز على الطابع التعاونى للإنتاج الصناعى الحديث، ويؤكد الحاجة لتحقيق الروابط الاجتماعية القائمة على المساواة.

الأصولية Fundamentalism

الإيمان بالعودة إلى المعانى الحرفية للنصوص المقدسة.

الإضراب Strike

وقف مؤقت للعمل تقوم به جماعة من العاملين من أجل التعبير عن مظاهر حرمان أو فرض مطالب معينة.

إعادة الإنتاج الاجتماعى
Social Reproduction

العمليات التى يتم من خلالها المحافظة على الخصائص الاجتماعية للبناء الاجتماعى على امتداد العصور.

إعادة الإنتاج الثقافى
Cultural Reproduction

عملية انتقال القيم الثقافية والمعايير من جيل إلى آخر. ويشير مصطلح إعادة الإنتاج الثقافى إلى الآليات التى يتم بواسطتها الحفاظ على الاستمرارية الثقافية عبر الزمن، وتعتبر العمليات التعليمية فى المجتمعات الحديثة، من بين الآليات الرئيسية لإعادة الإنتاج الثقافى. وهى لا تعمل فقط من خلال ما يتم دراسته فى التعليم الرسمى، حيث تلعب الأجندة التعليمية الخفية دوراً أكثر أهمية بكثير فى عملية إعادة الإنتاج الثقافى من خلال جوانب السلوك التى يتعلمها الأفراد بطرق غير رسمية أثناء الدراسة.

الاعتماد المتبادل اقتصاديا
Economic Interdependence

يعنى هذا المفهوم - فى ظل نظام تقسيم العمل - حالة اعتماد الأفراد على آخرين فى إنتاج كثير من - أو غالبية - السلع التى يحتاجونها فى إقامة واستمرار حياتهم.

الاغتراب Alienation

الشعور بأن قدراتنا - كبشر - قد سلبت منا بفعل كيانات أو نظم أخرى. وكان كارل ماركس قد استخدم المصطلح فى الأصل للإشارة إلى عملية إسقاط القدرات والخصائص البشرية على الآلهة. ولكنه تحول فيما بعد إلى استخدام المصطلح ليعنى به فقدان العمال للسيطرة على طبيعة مهام العمل التى يؤدونها، وكذلك فقدان السيطرة على منتجات عملهم.

الاغتصاب Rape

استخدام القسر أو التهديد به لدفع شخص إلى الدخول فى علاقة جنسية مع شخص آخر.

الاقتصاد The Economy

نظام الإنتاج والتبادل الذى يوفر الاحتياجات المادية للأفراد الذين يعيشون فى مجتمع ما. وتعد النظم الاقتصادية ذات أهمية بالغة فى كافة الأنظمة الاجتماعية. ويؤثر ما يحدث فى الاقتصاد عادة فى العديد من جوانب الحياة الاجتماعية. وتختلف النظم الاقتصادية الحديثة بدرجة كبيرة عن النظم التقليدية، نظراً لأن غالبية السكان فى الأولى ما عادوا يعملون فى الإنتاج الزراعى.

الاقتصاد غير الرسمى
The Informal Economy
المعاملات الاقتصادية التى تتم خارج نطاق نظام العمل الرسمى المدفوع الأجر.

الإقليمية **Regionalization**
تقسيم الحياة الاجتماعية إلى مواقع أو مناطق إقليمية.

امتثال **Conformity**
سلوك يلتزم بالمعايير السائدة فى الجماعة أو المجتمع. ولا يمتثل الناس دائماً للمعايير الاجتماعية لأنهم يقبلون بالقيم الكامنة وراءها. فهم قد يتصرفون بما يتوافق والطرائق المقبولة نظراً لأنه قد يكون من المفيد أن يسلكوا على هذا النحو، أو بسبب العقوبات التى قد تنجم عن خرق القواعد.

الأنبياء **Prophets**
قادة دينيون ممن يعبئون أتباعهم من خلال تأويل النصوص المقدسة.

الإنتاج المرن
Flexible Production
نظام الإنتاج الصناعى الذى يمكن فيه تغيير العمليات الإنتاجية بسهولة فى أى وقت. ويعتقد الكثيرون أن نظام الإنتاج المرن هو الذى سيرث نظم الإنتاج الأكثر صرامة واستقراراً، والتى كانت سائدة فى ظل نظم التايليورية و الفوردية.

الانتخاب الطبيعى
Natural Selection
فكرة ارتبطت بمؤسس علم البيولوجيا التطورى الحديث: تشارلز دارون. فالأنواع الحيوانية لا يستطيع أن تبقى على قيد الحياة وتستمر إلا طبقاً لقدرتها على التكييف مع بيئتها. أما تلك التى تكون أقل تكيفاً فإنها تنقرض، وتحل محلها الأنواع الأكثر قدرة على التكييف.

الإنترنت **Internet**
شبكة اتصالات دولية تربط بين الحاسبات الإلكترونية.

الأنثروبولوجيا
Anthropology
أحد العلوم الاجتماعية، الذى يرتبط بعلم الاجتماع ارتباطا وثيقا، ويهتم بدراسة الثقافات التقليدية وتطور

النوع البشرى.

انحراف Deviance

أنماط الفعل التى لا تمتثل للمعايير والقيم التى يعتنقها أغلبية أعضاء الجماعة أو المجتمع. ويختلف ما يعتبر انحرافاً بذات القدر الذى تتباين به المعايير والقيم التى تميز الثقافات والثقافات الفرعية المختلفة عن بعضها البعض. فالعديد من اشكال السلوك التى ينظر إليها بقدر كبير من التقدير فى سياق ما، أو من قبل جماعة ما، قد تعد سلبية فى نظر أبناء جماعة أخرى.

الانحراف الثانوى
Secondary Deviance

فكرة ارتبطت بعالم الجريمة الأمريكية إدوين ليمرت. ويشير الانحراف الأولى إلى فعل يتضاد - من حيث المبدأ وبشكل أساسى - مع معيار أو قانون، كسرقة سلعة من أحد المتاجر. ويحدث الانحراف الثانوى عندما يُدفع الشخص الذى يقوم بالفعل بلقب معين، كأن يطلق على الشخص الذى يسرق الأشياء من المحلات "لص المحلات".

الأنساق ذات مستوى الثقة المنخفض
Low - Trust Systems

موقع تنظيمى أو موقع عمل لا يمنح فيه الأفراد سوى مسئولية طفيفة لأداء الأعمال أو الرقابة عليها.

أنشطة الحشد Crowd Activity

الأفعال التى يأتيها الأفراد الذين تجمع بينهم رابطة الاشتراك فى حشد واحد.

الانغلاق الاجتماعى Group Closure

الوسائل والأساليب التى تعمل بها الجماعة على تعيين حدود واضحة لها، ومن ثم تفصل نفسها عن الجماعات الأخرى.

الأنوثة Femininity

أشكال السلوك المميزة والمتوقع أن تأتيها النساء فى أى ثقافة.

الأنيميزم، المذهب الحيوى Animism

الاعتقاد بأن الأحداث التى تقع فى هذا العالم إنما تحدث بفعل أنشطة الأرواح.

الإهمـــال المدنـــــــى Civil Inattention

العملية التى نرى فيها الأفـراد الموجودين فى نفـس المكـان أو ذات البيئة المادية، ويكون من المفترض أن يجرى بينهم نوع من التفاعل. ولكنــا نرى كلا منهم يعبر للآخرين أنــه واع بوجودهم، ولكن دون أن يمثــل لــهم مصدر تهويد أو ود زائد.

أوتوميشن، الآلية Automation

العمليات الإنتاجية التــى يتـم الإشراف عليها والتحكم فيها بواسـطة الآلات، مـع تخفيـض الإشــراف البشــرى إلى أدنى حد ممكن.

الأوضاع الطبقية المتناقضة Contradictory Class Locations

بعض الأوضاع فــى البنــاء الطبقى القائم، خاصة تلك التى تشـمل الوظائف الإدارية الروتينية ووظــائف المستويات الإشرافية الدنيــا، والتــى تجمع بين الخصائص الطبقية لبعــض الأوضاع الأعلى منها وتلــك الأدنـــى منها فى سلم التدرج الطبقى.

الأوليجاركية (حكم الأقلية) Oligarchy

حكم قلة من الأفراد فى تنظيـم أو مجتمع.

الإيدز AIDS

مرض يصيب نظام المناعـــة الذاتية فى جسم الإنسان.

الإيديولوجيا Ideology

مجموعـــة مـــن الأفكـــار والمعتقدات المشتركة التى تعمل علــى تبرير مصالح الجماعــات المهيمنــة. وتوجــد الإيديولوجيــات فــى كافـــة المجتمعات التى توجد بها نظم راسـخة ومنظمة لعدم المساواة بين الجماعـات. ويرتبط مفهوم الإيديولوجيــا ارتباطــا وثيقا بمفهوم القــوة، ذلــك أن النظــم الإيديولوجيــة تعمــل علــى إضفـــاء المشروعية على تبــاين القــوة التـــى تحوزها الجماعات الاجتماعية.

الإيكولوجيا البيئية Environmental Ecology

الاهتمام بالحفاظ على ســلامة

البيئة الطبيعية (المادية) فى مواجهة الآثار الناجمة عن الصناعة والتكنولوجيا الحديثة.

الإيكولوجيا الحضرية
Urban Ecology

منحى فى دراسة الحياة الحضرية يقوم على مماثلة بين الحياة الحضرية وبين عمليات تكيف النباتات والكائنات الحية مع البيئة الفيزيقية. وطبقا لنظريات الإيكولوجيا، فإن مناطق الجيرة والأحياء داخل المدينة تتشكل كنتيجة للعمليات الطبيعية للتكيف من جانب السكان الحضريين فى أثناء تنافسهم حول الموارد.

بحوث وثائقية
Documentary Research

البحوث التى تعتمد على شواهد مستمدة من دراسة الوثائق، كتلك المحفوظة فى الأرشيفات، أو الإحصائيات الرسمية.

برنامج العمل الجديد (حزب العمال البريطانى) New Labour

الإصلاحات التى قدمها تونى بلير عندما تولى زعامة حزب العمال البريطانى، والتى اتجه من خلالها إلى توجيه مسيرة الحزب إلى اتجاهات جديدة.

بطالة Unemployment

موقف يرغب فيه الفرد فى الحصول على وظيفة مدفوعة الأجر، ولكنه يعجز عن ذلك. وتعد البطالة فكرة أكثر تعقيداً بكثير مما تبدو للوهلة الأولى. فالشخص الذى لا يعمل ليس بالضرورة متعطلا عن العمل، بمعنى أنه ليس لديه ما يفعله. فربات البيوت، على سبيل المثال، لا يتلقين أى أجر لقاء عملهن، ولكنهم يؤدين فى العادة أعمالا غاية فى المشقة.

البغاء Prostitution

تقديم الخدمات الجنسية بمقابل.

البناء الاجتماعى Social Structure

أنماط التفاعل بين الأفراد أو الجماعات. فالحياة الاجتماعية لا تمضى بطريقة عشوائية بل الواقع أن معظم أنشطتنا محددة بنائياً: فهى منظمة بطريقة مضبوطة ومتكررة. وعلى الرغم من أن المقارنة قد تكون

مضللة، فمن الأيسر أن نفكر فى البناء الاجتماعى للمجتمع كما لو أنه بمثابة العوارض الصلبة التى ينهض عليها البناء وترتبط أجزاءه ببعضها البعض.

البناء الطبقى Class Structure

يتعلق هذا المفهوم بتوزيع الطبقات فى المجتمع. وينهض مفهوم البناء الطبقي بصفة أساسية على عدم المساواة الاقتصادية، وعلي أن أشكال عدم المساواة لا تتوزع أبداً بصورة عشوائية. وتشتمل معظم المجتمعات على عدد محدود من الطبقات. فالمجتمعات الحديثة، على سبيل المثال، تضم فى جنباتها بعض الطبقات الرئيسية مثل الطبقة العليا، والطبقة الوسطى، والطبقة العاملة، والطبقة الدنيا.

البنيوية Structuralism

منحى نظرى، اشتق أساساً من دراسة اللغة، يهتم بتحديد الأبنية فى الأنساق الثقافية أو الاجتماعية.

البوتقة، وعاء الصهر Melting Pot

الفكرة التى مؤداها أن الاختلافات العرقية (الإثنية) يمكن أن تتداخل بحيث تؤلف أنماطاً جديدة للسلوك ترتبط بمصادر ثقافية متنوعة.

البيئة المصنوعة (من صنع البشر) The Created Environment

جوانب وعناصر العالم المادى (الطبيعى) القائمة على استخدام التكنولوجيا من صنع الإنسان. فهذه البيئة المصنوعة تدل على المنشآت التى صنعها البشر لخدمة وإشباع احتياجاتهم، وتشمل على سبيل المثال: الطرق، والسكك الحديدية، والمصانع، والشركات، والمبانى السكنية، وغيرها من المنشآت.

البيروقراطية Bureaucracy

تنظيم ذو طابع تدرجي، يتخذ شكل السلطة الهرمية. وقدَ انتشر استخدام هذا التعبير بفضل ماكس فيبر. وفى رأى فيبر أن البيروقراطية هى أكثر أنماط التنظيمات البشرية الكبيرة الحجم كفاءة. ويذهب فيبر إلى القول بأنه كلما كبرت التنظيمات فى الحجم، فإنها تميل بالضرورة إلى تصبح بصورة متزايدة أكثر بيروقراطية.

البيولوجيا الاجتماعية
Sociobiology

منحى يحاول أن يفسر سلوك كل من الإنسان والحيوان فى ضوء المبادئ البيولوجية.

التاتشرية **Thatcherism**

المذاهب الفكرية المرتبطة برئيسة وزراء بريطانيا السابقة مارجريت تاتشر. وتؤكد هذه المذاهب على أهمية المشروع الاقتصادى جنباً إلى جنب وجود حكومة قومية قوية.

تاريخ الحياة **Life History**

الدراسات المتصلة بمجمل حياة الأفراد، وهى غالباً ما تعتمد على الإخبار الذاتى (من قبل المبحوثين)، والوثائق مثل الخطابات.

التايلورية **Taylorism**

نسق من الأفكار، يشار إليه أيضا بمفهوم " الإدارة العلمية "، طوره فردريك تايلور، ينصب على تنظيم العمليات الصناعية البسيطة والمنسقة.

تجارة السلاح **Arms Trade**

الاتجار فى الأسلحة بقصد جنى الأرباح، سواء فى ذلك أن تمارسه الحكومات أو المؤسسات الخاصة، أو الأفراد.

تجربة
Experiment

طريقة فى البحث يمكن بفضلها تحليل المتغيرات بطريقة منضبطة وعلمية، سواء تم ذلك التجريب فى موقف مصطنع (غير طبيعى) يخلقه الباحث خلقا، أو فى ظل ظروف طبيعية.

التجنيد العام
Universal Conscription

نظام من الخدمة الوطنية يقدم بمقتضاه الأفراد عند سن معينة (وفى الغالب كل الذكور عند سن معينة) بأداء فترة من التدريب العسكرى.

التحرش الجنسى
Sexual Harassment

محاولة فرد تحقيق تقدم فى العلاقات الجنسية لا يرغب فيه الطرف الآخر، وفى هذه المحاولة يصر الطرف الأول حتى وإن اتضح له مقاومة الطرف الآخر لذلك.

التحضر Urbanization

نمو البلدان والمدن.

التحكم فى الانطباع

Impression Management

فكرة مرتبطة بعالم الاجتماع الأمريكى إرفنج جوفمان ومؤداها أن الناس "يتحكمون" فى الانطباعات التى يكونها الآخرون عنهم، وذلك عن طريق اختيار ما يخفوه وما يكشفوا عنه عندما يلتقون بأناس آخرين فى موقف اجتماعى معين.

التحليل المقارن

Comparative Analysis

التحليل الذى يقوم على المقارنة بين مجتمعات أو ثقافات مختلفة.

التحليل النفسى Psychoanalysis

تقنية من تقنيات العلاج النفسى اخترعها سيجموند فرويد. وتستخدم كلمة التحليل النفسى أيضا للإشارة إلى النسق الثقافى لنظرية التحليل النفسى التى صاغها فرويد.

التحول الاجتماعى

Social Transformation

عمليات التغير فى المجتمعات أو الأنساق الاجتماعية.

تحول علمانى Secularization

عملية تدهور أو تراجع تأثير الدين. وعلى الرغم من أن المجتمعات الحديثة قد أصبحت علمانية بصورة متزايدة، إلا أن تتبع مدى التحول العلمانى يعد من الأمور المعقدة. ويمكن أن يشير مصطلح التحول العلمانى إلى مستويات الانخراط فى المنظمات الدينية (مثل معدلات التردد على دور العبادة)، والتأثيرات الاجتماعية والمادية التى تمارسها التنظيمات الدينية، ودرجة تمسك الناس بالمعتقدات الدينية.

تدرج اجتماعى

Social Stratification

وجود أشكال من عدم المساواة البنائية بين الجماعات فى المجتمع، من حيث قدرتها على النفاذ إلى المغانم المادية أو الرمزية. وعلى حين تنطوى كافة المجتمعات على شكل من أشكال التدرج، فإن الفروق الشاسعة فى الثروة والقوة لا تنشأ إلا فى ظل النظم التى تتكون فى إطار الدولة. وتعد التقسيمات الطبقية هى أكثر أشكال

التدرج تميزاً فى المجتمعات الحديثة.

تدفق المعلومات (إلكترونيا)
Information Superhighway
رؤية للمستقبل تتصور أن بيوت غالبية الناس وأماكن عملهم سوف تتصل عن طريق مجموعة متنوعة من أشكال الاتصال الإلكترونى، وتكون موصولة جميعها فى توصيلة (أى كيبل) واحدة.

التدوير الحضرى
Urban Recycling
عملية تجديد مناطق الجيرة التى أصابها التردى، وذلك عن طريق تشجيع تجديد المبانى القديمة أو بناء مبان جديدة.

تربية تعليم Education
عملية نقل المعرفة من جيل إلى آخر بواسطة أساليب التعليم المباشر. وعلى الرغم من وجود العمليات التعليمية فى كافة المجتمعات، إلا أن التعليم الجماهيرى لم يتخذ الشكل المدرسى، أى التعليم فى إطار بيئة تربوية متخصصة يقضى فيها الأفراد عدة سنوات من حياتهم، إلا فى العصر الحديث.

الترشيد (النمو العقلانى)
Rationalization
مفهوم استخدمه ماكس فيبر ليشير إلى العملية التى من خلالها تصبح أساليب الحساب الدقيق والتنظيم - بما فى ذلك القواعد والإجراءات المجردة - هى الحاكمة للعالم الاجتماعى.

التساؤلات النظرية
Theoretical Questions
أسئلة يطرحها عالم الاجتماع عندما يحاول أن يفسر عدداً معيناً من الحوادث المشاهدة فى الواقع. وتعتبر عملية طرح التساؤلات النظرية عملية حاسمة تمكننا من وضع التعميمات بشأن طبيعة الحياة الاجتماعية.

التصنيع Industrialization
نشوء الأشكال الحديثة للصناعة المتمثلة فى المصانع، والآلات وعمليات الإنتاج الكبير. ولقد كانت عملية التصنيع واحدة من مجموعة العمليات الأساسية التى أثرت فى العالم الاجتماعى على مدار

القرنين الماضيين. فتلك المجتمعات التى عرفت التصنيع لها خصائص مختلفة تماماً عن تلك التى تسم الدول الأقل تقدماً. فعلى سبيل المثال، أدى تطور التصنيع إلى أنه لم يعد سوى جزء صغير جدا من السكان هو الذى ظل يعمل فى الزراعة، وهو ما يمثل اختلافاً جوهريا عن الدول قبل الصناعية.

التصنيع العسكرى
Industrialization of War

تطبيق أساليب الإنتاج الصناعي على صناعة العتاد الحربى، مصحوباً بتنظيم القوات المحاربة فى صورة "آلة عسكرية". ويعد التصنيع العسكرى جانباً أساسياً من جوانب تطور المجتمعات الحديثة بذات القدر الذى تعتبر به الصناعات التى تطورت لأغراض سلمية. ويرتبط التصنيع العسكرى ارتباطاً وثيقاً بظهور الحرب الشاملة فى القرن العشرين، وهى نمط الحرب الذى ينخرط فيه مئات الآلاف أو ملايين الجنود، بالإضافة إلى التعبئة الكاملة للاقتصاد للاحتياجات المرتبطة بالحرب.

التصور المادى للتاريخ Materialist Conception of History

وجهة النظر التى طورها ماركس، والتى فى ضوئها تلعب العوامل المادية أو الاقتصادية الدور الرئيسى فى تحديد التغير التاريخى.

تطور Evolution

تطور الكائنات الحية البيولوجية بفعل عملية تكيف الأنواع المختلفة مع متطلبات البيئة الطبيعية المحيطة بهم.

التعبئة Mobilization

تحريك الجماعات المختلفة للانخراط فى للعمل الجمعى المشترك.

تعدد الأزواج Polyandry

نوع من الزواج يمكن فيه للمرأة فيه أن تقترن بأكثر من زوج واحد فى نفس الوقت.

تعدد الآلهة
Polytheism

الاعتقاد فى اثنين أو أكثر من الآلهة.

تعدد الزوجات Ploygyny

نوع من الزواج يمكن للرجل فيه أن يتزوج بأكثر من زوجة في نفس الوقت.

التعددية الثقافية Cultural Pluralism

تطلق على الموقف الذى تتعايش فيه عدة ثقافات فرعية مع بعضها البعض، داخل مجتمع معين، وعلى قدم المساواة.

تعصب Prejudice

الإيمان بأفكار مسبقة عن فرد أو جماعة بطريقة تستعصى على التغير رغم توافر معلومات جديدة عنهم. وقد يكون التعصب تعصباً إيجابياً أو سلبيا.

التعصب ضد كبار السن Ageism

التمييز أو التعصب الموجه ضد شخص ما على أساس سنه.

التعليم العالى Higher Education

التعليم الذى يتجاوز مستوى التعليم الثانوى، ويتم فى الجامعات والمعاهد العليا.

تغير اجتماعى Social Change

تحول فى البنى الأساسية للجماعة الاجتماعية أو المجتمع. ولقد كان التغير الاجتماعى ظاهرة ملازمة على الدوام للحياة الاجتماعية، ولكنها أصبحت أكثر حدة فى العصور الحديثة خاصة. ويمكن رد أصول علم الاجتماع الحديث إلى محاولات فهم التغيرات الدرامية التى قوضت المجتمعات التقليدية وشجعت على نشأة الأشكال الجديدة للنظام الاجتماعى.

التفاعل الاجتماعى Social Interaction

أى شكل من أشكال المواجهة الاجتماعية بين الأفراد. وتتشكل معظم حياتنا من تفاعلات اجتماعية من نوع أو آخر. ويشير مصطلح التفاعل الاجتماعى إلى كل من المواقف الرسمية وغير الرسمية التى يقابل الناس فيها بعضهم البعض. ويعد الفصل المدرسى نموذجاً لموقف التفاعل الاجتماعى الرسمى؛ فى حين تقف المقابلة بين الشخصين فى الشارع أو فى إحدى الحفلات كنموذج على التفاعل غير الرسمى.

التفاعل الأحادى (عبر وسائل الاتصال)

Mediated Quasi - Interaction

يرتبط المصطلح بالكاتب الإنجليزى جون تومسون. ويشير إلى التفاعل الأحادى الجزئى، كما يحدث عندما يقوم شخص بمشاهدة برامج التليفزيون.

التفاعل عن بعد (الاتصالى)

Mediated Interaction

التفاعل بين أفراد لا يتواجدون فى مكان واحد من الناحية الفيزيقية – والمثال عليه الاتصال التليفونى.

التفاعل غير المركز

Unfocused Interaction

التفاعل الذى يظهر بين أفراد يتواجدون فى مكان معين ، ولكنهم لا يدخلون فى اتصال قائم على علاقات مباشرة (أى علاقات الوجه للوجه)

تفاعل مباشر (وجها لوجه)

Face - to - Face Interaction

التفاعل الذى يتم بين أفراد متواجدين فيزيقيا داخل نفس السياق.

التفاعل المركز

Focused Interaction

هو ذلك التفاعل الذى يتم بين أفراد مشاركين فى نشاط مشترك، أو فى حديث مباشر مع بعضهم البعض.

التفاعلية الرمزية

Symbolic Interaction

منحى نظرى فى علم الاجتماع تم تطويره على يد عالم الاجتماع جورج هربرت ميد، وهو منحى يولى اهتماما كبيرا لدور الرموز واللغة كعناصر أساسية فى مجمل التفاعل البشرى.

التفكير المضاد للبداهة

Counterintuitive Thinking

التفكير الذى يوحى بأفكار مناقضة للفروض أو المقدمات البديهية.

التفكير النمطى

Stereotypical Thinking

عمليات التفكير التى تتضمن مقولات جامدة غير مرنة.

تقارب الزمان والمكان

Time - Space Convergence

العملية التى بمقتضاها تختصر

المسافات زمنيا، مع زيادة سرعة وسائل المواصلات.

تقسيم التلاميذ إلى مجموعات متجانسة (حسب القدرة)
Streaming
تقسيم التلاميذ فى المدارس إلى مجموعات متجانسة وفقا لقدراتهم.

تقسيم العمل
Division of Labour
عملية تقسيم نظام الإنتاج إلى مجموعة من مهام العمل أو المهن المتخصصة، بما يؤدى إلى خلق اعتماد اقتصادى متبادل. وتعرف كافة المجتمعات - على الأقل - شكلا أوليا من تقسيم العمل، وخاصة بين المهام الموكلة إلى الرجال وتلك التى تؤديها النساء. إلا أنه، ومع نمو الصناعة، يصبح تقسيم العمل أكثر تعقيداً بكثير مقارنة بما كان عليه الحال فى ظل أى نظام إنتاجى آخر. وفى العالم الحديث، أصبح تقسيم العمل يتم على صعيد عالمى أو دولى.

تقسيم العمل الدولى International Division of Labour
عبارة تشير إلى الاعتماد المتبادل بين الدول أو الأقاليم التى تتاجر مع بعضها البعض فى الأسواق العالمية.

تقنيات التكاثر
Reproductive Technologies
تقنيات تؤثر على عملية التكاثر البشرى، مثل استخدام وسائل منع الحمل أو التخصيب فى الأنابيب.

التكاثر النووى
Nuclear Proliferation
انتشار الأسلحة النووية عبر مختلف أرجاء العالم.

التكنولوجيا
Technology
تطبيق المعرفة على عمليات الإنتاج فى العالم المادى. وتتضمن التكنولوجيا خلق الأدوات المادية (مثل الآلات) التى تستخدم فى التفاعل البشرى مع الطبيعة.

التمايز العرقى المكانى
Mezzosegnegation
الفصل بين الجماعات العرقية فى ضوء مكان الإقامة والجيرة.

التمثّل Assimilation

تقبل جماعة الأقلية للأغلبية السكانية التى تعيش بينها، حيث تتبنى تلك الأقلية قيم ومعايير الثقافة المسيطرة.

التمركز حول الذات Egocentrism

فى رأى بياجيه يميز التمركز حول الذات نظرة الطفل خلال السنوات الأولى من حياته. ويقوم التفكير المتمركز حول الذات على فهم الموضوعات والأحداث الموجودة فى البيئة المحيطة بالطفل فى ضوء وضع الطفل نفسه فقط.

تمييز، تفرقة Discrimination

تلك الأنشطة التى تنكر على أعضاء جماعة معينة النفاذ إلى الموارد أو المكافآت التى يمكن لجماعة أخرى الحصول عليها. وينبغى التفرقة بين التمييز أو التفرقة من ناحية، والتعصب من ناحية أخرى، على الرغم من أنه عادة ما يتم الربط بين الاثنين. فمن الممكن ألا يخبر أولئك الأفراد الذين يعانون من التعصب ممارسات تمييز ضدهم. وعلى العكس من ذلك، فقد يتصرف الناس بطريقة فيها نوع من التمييز، بالرغم من أنهم غير متعصبين لهؤلاء الأشخاص موضوع التمييز.

التناقض Contradiction

مصطلح استخدمه كارل ماركس للإشارة إلى الاتجاهات التصادمية المتبادلة الموجودة فى المجتمع.

التنشئة الاجتماعية .Socialization

العمليات الاجتماعية التى يطور من خلالها الأطفال وعيا بالمعايير والقيم الاجتماعية، ويكونون إحساسا متميزا بالذات. وعلى الرغم من أن عمليات التنشئة الاجتماعية تكتسب أهمية خاصة خلال الأطوار الأولى للطفولة المبكرة ومرحلة الطفولة المتأخرة، إلا أنها تتواصل بدرجة ما على مدار الحياة. وليس هناك كائنات بشرية معصومة من ردود أفعال الآخرين المحيطين بهم، وتدفعهم ردود الأفعال إلى التعديل من سلوكهم فى كافة مراحل دورة الحياة.

تنشئة الطبيعة

Socialization of Nature

تأثير القوى الاجتماعية والتكنولوجية على العالم الطبيعى.

تنشئة النوع

Gender Socialization

التنشئة التى يُعلم فيها الأفـراد مختلف السمات المميزة للنوع (ذكـور أو إناث) فى أثناء عمليـات التنشـئة الاجتماعية.

تنظيم Organization

مجموعة كبيرة مـن الأفـراد تسود بينهم مجموعـة محـددة مـن علاقات السلطة. وتوجد العديـد مـن أشكال التنظيمـات فـى المجتمعـات الصناعية، وهى تؤثـر فـى أغلـب جوانب حياتنا. وعلى حين أنه ليسـت كل التنظيمات ذات طابع بيروقراطى- بالمعنى الرسمى للكلمة - إلا أن هناك روابط وثيقة جداً بين تطور التنظيمات والتوجهات البيروقراطية.

التنوير الذاتى

Self - Enlightenment

الفهم المتزايد لأحوال وظروف الحياة الاجتماعية الذى يبلغـه النـاس بفضل البحث الاجتمـاعى وعـن طريقه. ومن المحتمل أن يدعوهم هـذا الفـهم إلى اتخـاذ أفعـال مـن أجـل تغـيير ظروفهم.

التوتمية Totemism

نسق من المعتقـدات الدينيـة يضفى خصائص مقدسة على أنـواع معينة من النباتات أو الحيوانات.

التوحيد Monotheism

الإيمان بإله واحد فقط.

توزيع الموارد

Resource Allocation

كيف تستخدم الموارد الماديـة والاجتماعية المختلفة بواسطة الجماعات أو الحركات الاجتماعية القائمة.

توقع أمد الحياة (العمر المتوقع عنـد الميلاد) Life Expectancy

متوسط عدد السـنوات التـى يمكن للفرد أن يعيشها فى أى مرحلـة محددة من العمر.

الثروة Wealth

الممتلكات المادية والنقدية التى يحوزها فرد أو جماعة.

ثقافة Culture

القيم والمعايير والسلع الماديـة

التى تميز جماعة ما. ويشيع استخدام فكرة الثقافة فى علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية الأخرى، وعلى وجه الخصوص الأنثروبولوجيا، شأنها فى ذلك شأن مفهوم المجتمع. وتعتبر الثقافة واحدة من أهم الخصائص المميزة للتجمعات الاجتماعية الإنسانية.

ثقافة انحراف فرعية

Deviant Subculture

تطلق على الثقافة الفرعية التى يؤمن أفرادها بقيم تختلف اختلافا جوهريا عن القيم التى يؤمن بها غالبية أفراد المجتمع.

ثقافة جماهيرية، ثقافة شعبية

Popular Culture

وسائل ترفيه موجهة لأعداد كبيرة من المشاهدين مثل الأفلام الجماهيرية، والاستعراضات، والموسيقى وأشرطة الفيديو والبرامج التليفزيونية. وعادة ما تتم المقابلة بين الثقافة الجماهيرية والثقافة الرفيعة أو ثقافة الصفوة، التى تشير إلى أذواق الأقليات المتعلمة. وتعد الموسيقى الكلاسيكية والأوبرا والفن التشكيلى (الرسم) أمثلة على الثقافة الرفيعة.

الثقافة الفرعية Subculture

القيم والمعايير التى تعتنقها جماعة معينة، والتى تميزها عن بقية سكان المجتمع الأوسع.

ثورة Revolution

علمية تغير سياسى تنطوى على تعبئة الحركات الاجتماعية الجماهيرية، التى تفضى - من خلال استخدام القوة - إلى النجاح فى قلب النظام القائم وتشكيل حكومة جديدة. وتختلف الثورة عن الانقلاب، نظراً لأنها تنطوى على حركة جماهيرية، وحدوث تغيرات جوهرية فى النظام السياسى ككل. ويشير مصطلح الانقلاب إلى الاستيلاء على القوة باستخدام السلاح من قبل أفراد يحلون بعد ذلك محل القادة السياسيين، دون أن يحدثوا تغييراً راديكالياً فى نظام الحكم. كما يمكن أيضاً التفرقة ما بين الثورات وحركات التمرد التى تنطوى على تحدى السلطات السياسية القائمة، ولكنها تهدف أيضاً إلى تغيير الأشخاص أكثر من مجرد إحداث تحولات فى البناء السياسى بحد ذاته.

جامعة المتقاعدين (العمر الثالث)
University Of The Third Age

يشير مفهوم العمر الثالث إلى الأفراد الذين يعيشون مرحلة التقاعد. وجامعة العمر الثالث (أو المتقاعدين) هى الجامعة التى تقدم برامج دراسية لمثل هؤلاء الأفراد.

جرائم الأقوياء
Crimes of The Powerful

يقصد بها الأنشطة الإجرامية التى يمارسها أولئك الذين يشغلون مواقع مهمة فى بناء القوة.

جرائم الخاصة
White - Collor Crime

الأنشطة الإجرامية التى يقوم بها أصحاب الياقات البيضاء أى الموظفين غير اليدويين، أو أصحاب المهن الفنية المتخصصة.

جريمة
Crime

أى فعل يخرق القوانين التى شرعتها السلطة السياسية. وعلى الرغم من أننا نميل إلى النظر إلى "المجرمين" باعتبارهم مجموعة فرعية متميزة من السكان، فإن هناك عددا محدودا من الناس لم يسبق لهم خرق القانون بطريقة أو بأخرى خلال حياتهم. وعلى حين أن سلطات الدولة هى التى تسن القوانين، فإن هذا لا يحول دون انخراط هذه السلطات فى أنشطة إجرامية فى ظل سياقات بعينها.

الجريمة المنظمة
Organized Crime

الأنشطة الإجرامية التى تنفذها تنظيمات تتأسس بغرض ممارسة الجريمة، وتتعيش من ذلك.

الجزاء **Sanction**

نظام للثواب أو العقاب يدعم الصور المتوقعة من السلوك.

جماعات اجتماعية Social Groups

مجموعات من الأفراد الذين يتفاعلون بأساليب منتظمة مع بعضهم البعض. وقد تتفاوت الجماعات من حيث الحجم، فتتراوح بين روابط بالغة الصغر، وتنظيمات كبيرة، أو مجتمعات. وأيا ما كان حجمها، فإن الملمح المحدد للجماعة هو وعن أعضائها بوجود هوية مشتركة بينهم.

ونحن نقضى معظم حياتنا فى علاقات مع جماعات اجتماعية. وفى المجتمعات الحديثة ينتمى معظم الناس إلى جماعات ذات أنماط عديدة متباينة.

جماعات المنبوذين

Pariah Groups

الجماعات التى تعانى من المكانة السلبية أو التمييز. وبكلمات أخرى فهى جماعات ينظر إليها معظم أعضاء المجتمع على أنها جماعات دنيا. ولقد كان اليهود جماعة منبوذة خلال فترة غير قصيرة من التاريخ الأوروبى(*) .

جماعة أقلية (أو الأقلية العرقية)

Minority Group (or Ethnic Group)

جماعة من الناس تشكل أقلية فى مجتمع ما، يجدون أنفسهم – بسبب خصائص فيزيقية أو ثقافية تميزهم– فى موقف لا يتسم بالعدالة داخل هذا المجتمع.

الجنس **Sex**

الاختلافات فى الصفة التشريحية التى تميز الرجال عن النساء. والغالب أن يقابل علماء الاجتماع بين الجنس والنوع. ويشير مصطلح الجنس إلى الخصائص الفيزيقية للجسد، أما النوع فيتعلق بأشكال السلوك المكتسبة اجتماعياً. وأوجه التباين الجنسية والنوعية ليست شيئا واحدا. فالمخنث، على سبيل المثال، هو شخص يصنف فيزيقيا باعتباره رجلاً، ولكنه أحياناً ما يلعب الدور النوعى للمرأة.

الجنسية

Sexuality

مصطلح فضفاض يشير إلى الخصائص الجنسية، و إلى السلوك الجنسى للبشر.

(*)على خلاف ما كان جاريا فى العالمين العربى والإسلامى، حيث عاش اليهود على قدم المساواة مع مواطنيهم من المسيحيين والمسلمين. ولكن الحركة الصهيونية استغلت اضطهاد بعض اليهود فى بعض الدول الأوربية فى فترات معينة من التاريخ، وضخمته، ونسجت حوله الأساطير، لكى تبرر هجرة ملايين من اليهود إلى فلسطين، تحت حجة الهروب من الاضطهاد، وعلى حساب شعب لم يشارك فى هذا الاضطهاد. (المحرر)

الجنسية الغيرية Heterosexuality

توجه النشاط الجنسى أو المشاعر الجنسية نحو أفراد من الجنس الآخر.

الجنسية المثلية omosexuality

توجه النشاط الجنسى أو المشاعر الجنسية نحو أفراد من نفس الجنس.

الحجز فى سجن أو مستشفى
Incarceration

وضع الأفراد داخل مؤسسات مغلقة ذات أسوار وأبواب، كالسجون أو الملاجئ.

الحراك الاجتماعى
Social Mobility

انتقال الأفراد أو الجماعات بين المواقع الاجتماعية المختلفة. ويشير مصطلح الحراك الرأسى إلى الانتقال إلى أعلى أو إلى أسفل فى نظام التدرج الاجتماعى. فى حين يشير مصطلح الحراك الأفقى إلى الانتقال الفيزيقى للأفراد أو الجماعات من إقليم إلى آخر. ويميز علماء الاجتماع عند تحليلهم للحراك الرأسى بين مدى الحراك الذى يحققه الفرد خلال حياته المهنية، وإلى أى مدى يختلف الموقع الذى ينتهى إليه ذلك الفرد عن الموقع الذى حققه والداه.

الحراك الاجتماعى النازل
Downward Mobility

هو ذلك النوع من الحراك الاجتماعى الذى يجد الأفراد أنفسهم - فى ظله - فى وظائف أسوأ، أو فى أوضاع اقتصادية أدنى مما كانوا عليه، أو كان آباؤهم يحظون بها من قبل.

حراك أفقى Lateral Mobility

حركة الأفراد من أحد أقاليم الدولة إلى إقليم آخر، أو حركتهم عبر الدول.

حراك جيلى
Intergenerational Mobility

هو الحركة صعودا أو هبوطا على سلم التدرج الطبقى الاجتماعى من جيل إلى جيل.

الحراك الرأسى
Vertical Mobility

حركة الصعود إلى أعلى أو الهبوط إلى أسفل نظام التدرج الهرمى للأوضاع فى نظام التدرج الطبقى القائم.

حراك فى نفس الجيل
Intergenerational Mobility
الحركة صعودا أو هبوطا على سلم التدرج الطبقى الاجتماعى خلال حياة السياق المهنى للشخص.

الحرب الباردة **Cold War**
يطلق المصطلح على موقف الصراع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى، وكذلك بين معسكر كل منهما والآخر، والتى استمرت منذ أواخر أربعينيات القرن العشرين وحتى عام ١٩٩٠. وقد سمى هذا الموقف "بالحرب الباردة" لأن طرفيه لم يدخلا فى مواجهة مسلحة مع بعضهما البعض.

الحرب الشاملة **Total War**
حرب ينخرط فيها عدد كبير من السكان، بشكل مباشر أو غير مباشر، والتى يجند فيها مئات الآلاف أو الملايين من الجنود.

الحرب المحدودة **Limited War**
حرب لا ينخرط فيها إلا عدد صغير نسبياً من أعضاء السكان (المجتمع)، وهى حرب تتم من حيث المبدأ بواسطة الجنود النظاميين.

حركات اجتماعية
Social Movements
جماعات كبيرة من الناس الذين ينخرطون فى السعى لتحقيق عملية التغير الاجتماعى أو الوقوف فى وجهها. وعادة ما ترتبط الحركلت الاجتماعية بعلاقات صراعية مع تلك التنظيمات التى تتبنى أهدافا ورؤى معارضة لها. ومع ذلك، فما أن تنجح الحركات فى تحدى القوة، وما أن تتخذ شكلا مؤسسيا حتى تتحول إلى تنظيمات.

الحركات الإحيائية **Millenarianism**
معتقدات يتبناها أعضاء بعض أنماط الحركات الاجتماعية، والتى ترى أن تغيرات درامية (كاسحة) سوف تحدث فى المستقبل القريب، مؤذنة بدخول مرحلة تاريخية جديدة.

الحركة الاجتماعية الارتدادية
Redemptive Movement
حركة اجتماعية تهدف إلى الرجوع إلى حالة من الماضى يفترض

أن الأوضاع فيها كانت أفضل من الوضع الراهن(*).

حركة بديلة

Alternative Movement

حركة تهتم بتغيير سلوك الأفراد أو وعيهم.

حركة تغيير جذرى (تحويل)

Transformative Movement

حركة اجتماعية تهدف إلى إحداث عمليات رئيسية للتغير الاجتماعى.

حركة مقاومة شعبية

Guerrilla Movement

تنظيم عسكرى غير حكومى (شعبى).

الحركة النسائية

Feminist Movement

الحركة التى تهتم بدعم وتطوير حقوق ومصالح المرأة فى المجتمع.

الحرمان النسبى

Relative Deprivation

الشعور بالحرمان نسبة إلى جماعة يقارن الفرد نفسه بها.

الحزب السياسى Political Panty

تنظيم يقوم بهدف الوصول إلى القوة الحكومية (السلطة)، ويستخدم هذه السلطة لتحقيق برنامج محدد.

الحضرية

Urbanism

مصطلح استخدمه لويس ويرث للإشارة إلى الخصائص المميزة للحيلة الاجتماعية الحضرية، كخاصية اللاشخصية على سبيل المثال.

حكومة

Government

عملية وضع السياسات والقرارات موضع التنفيذ من قبل الموظفين الرسميين فى إطار الجهاز السياسى. ويمكن لنا الحديث عن

(*) قدم مارشال جوردون فى موسوعة علم الاجتماع (ترجمة محمد الجوهرى وزملاؤه، المشروع القومى للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٠، مجلد(٢) مادة: حركات اجتماعية) تعريفا لهذا المصطلح بأنه حركات إنقاذ وتحرير تسعى إلى أن تستنقذ أعضاءها من حياة فاسدة، كما نجد فى حالة العديد من الجماعات الدينية الطائفية. فالارتداد أو استعادة الماضى هو من أجل الإنقاذ أو التخلص من شرور الحاضر. (المحرر)

"الحكومة" باعتبارها عملية، أو للإشارة إلى الشخص المسئول عن اتخاذ قرارات ملزمة سياسياً. وبينما كان يترأس معظم الحكومات فى الماضى تقريباً ملك أو إمبراطور، فإنها تدار فى معظم المجتمعات الحديثة بواسطة موظفين رسميين لا يرثون مواقع القوة التى يشغلونها، بل يتم انتخابهم أو تعيينهم استنادا إلى خبراتهم ومؤهلاتهم.

الحيز الشخصى Personal Space

المسافة الفيزيقية التى يحتفظ بها الأفراد بينهم وبين الآخرين عندما يعرفونهم على أساس شخصى.

الخدمة الصحية العامة
Public Health Care

الخدمات الصحية التى تتاح لكل أفراد السكان، بدعم من التمويل الحكومى.

الخيال السوسيولوجى
Sociological Imagination

تطبيق الفكر الخيالى فى طرح التساؤلات السوسيولوجية ومحاولات الإجابة عليها. ويتضمن الخيال السوسيولوجى عملية الارتقاء بتفكير الأفراد فوق مستوى الأمور العادية من الحياة اليومية.

الدخل Income

الإيراد الذى يتحقق من الأجور، أو المرتبات، أو الاستثمارات.

الدراسة الاجتماعية للجسد
Sociology of The Body

دراسة التأثيرات الاجتماعية على بنائنا الفيزيقى.

دراسة إمبيريقية
Empirical Investigation

دراسة واقعية - تستند إلى حقائق - مما يجرى تنفيذه فى ميدان علم الاجتماع.

الدور الاجتماعى Social Role

السلوك المتوقع من الفرد الذى يشغل وضعا اجتماعياً معيناً. وقد نبعث فكرة الدور الاجتماعى فى الأصل من المسرح، حيث تشير إلى

الأدوار التى يلعبها الممثلون فى العمل المسرحى. ويلعب الأفراد فى كافة المجتمعات عدداً من الأدوار الاجتماعية المختلفة، طبقاً للسياقات المتباينة للأنشطة التى يمارسونها.

دورة العمر Life Course

المراحل المختلفة فى حياة فرد منذ الولادة إلى المراهقة إلى النضوج (البلوغ) ثم الموت.

الدول التقليدية

Traditional States

مجتمعات تتأسس على نظام الدولة تشكل فيها الزراعة أو الرعى القاعدة الرئيسية للإنتاج. وغالباً ما يشار إلى الدول التقليدية "بالحضارات القديمة"(*).

الدول حديثة التصنيع Newly Industrializing Countries

دول العالم الثالث والتى بدأت خلال العقود القليلة الماضية فى تطوير قاعدة صناعية قوية مثل سنغافورة وهونج كونج.

الدولة The State

جهاز سياسى يضم الحكومة والمؤسسات، (بالإضافة إلى موظفى الخدمة المدنية) يسيطر على حيز مكانى معين، ويدعم سلطته القانون والقدرة على استخدام القوة. ولا تتسم كافة المجتمعات بوجود الدولة. فثقافات الصيد والالتقاط وكذلك المجتمعات الزراعية الصغيرة الحجم، تفتقر إلى وجود مؤسسات الدولة. ويمثل نشوء الدولة معلماً مميزاً فى تحول المجتمعات البشرية، نظراً لأن تركز القوة السياسية الذى ينطوى عليه تشكل الدولة قد أدخل ديناميات جديدة على عملية التغير الاجتماعى.

الدولة القومية Nation - State

نمط خاص من الدولة، يميز عالمنا الحديث، تمتلك فيه حكومة قوة سيادية على مساحة محددة من الأرض، وتشكل جماهير السكان مواطنين ينظرون إلى أنفسهم على أنهم جزء من أمة واحدة. وارتبطت الدولة القومية ارتباطا وثيقاً بظهور القومية، هذا على الرغم من أن الولاءات القومية لا تشكل دائماً حدود

(*) والأمثلة على ذلك: الهند، والصين، ومصر. (المحرر)

بعض الدول القائمة الآن. ولقد تطورت الدولة القومية كجزء من نظام للدولة القومية ظهر فى أوروبا وانتشر فى الوقت الراهن فى معظم أرجاء العالم.

ديموقراطية Democracy

نظام سياسى يسمح للمواطنين بالمشاركة فى صنع القرار السياسى، أو بانتخاب ممثلين لهم فى الهيئات الحكومية.

الديموقراطية الليبرالية

Liberal Democracy

نظام من نظم الديموقراطية يقوم على المؤسسات البرلمانية، ويقترن بنظام الاقتصاد الحر فى ميدان الإنتاج الاقتصادى.

ديموقراطية المشاركة

Participatory Democracy

نظام للديموقراطية يشترك فيه كل أعضاء الجماعة أو المجتمع المحلى فى اتخاذ القرارات الهامة بشكل جمعى.

الدين Religion

مجموعة من المعتقدات التى يعتنقها أعضاء المجتمع، والتى تنطوى على رموز ينظر إليها بنوع من الهيبة أو الإجلال، بالإضافة إلى الطقوس التى يمارسها أعضاء المجتمع. ولا تنطوى الديانات بصفة عامة على الإيمان بوجود كائنات ما وراء طبيعية. وعلى الرغم من صعوبة التمييز بين الدين والسحر، إلا أنه يدعى - عادة - أن السحر يمارس بواسطة أفراد فى المحل الأول، كما أنه لا يمثل بؤرة اهتمام الطقوس المجتمعية.

الدين المدنى Civil Religion

بعض أشكال الشعائر والمعتقدات تشبه تلك المعروفة فى الدين، ولكنها تدور حول بعض الأنشطة الدنيوية (العلمانية) وليس الدينية، كالاستعراضات السياسية أو الاحتفالات العامة المتعلقة ببعض المناسبات الدنيوية.

الذات الاجتماعية Social Self

أساس الوعى الذاتى فى الأفراد، وفقاً لنظرية جورج هربرت ميد. والذات الاجتماعية هى الهوية التى تميز الفرد من خلال استجاباته

للآخرين. ويحقق الفرد وعياً ذاتياً من خلال وعيه بتلك الهوية الاجتماعية.

نكاء Intelligence

مستوى القدرة الذهنية، خاصة تلك التي يتم قياسها باستخدام اختبارات معدل الذكاء.

الذكاء العاطفى
Emotional Intelligence

يشير هذا النوع من الذكاء إلى مدى قدرة الفرد على تحقيق التناغم بين عواطفه وعواطف الآخرين.

الرأسمالية Capitalism

نظام للنشاط الاقتصادى يقوم على التبادل فى السوق. ويشير "رأس المال" إلى الثروة أو النقود التى تستخدم فى نشاط اقتصادى فى السوق على أمل تحقيق الربح. وتكاد تكون كل المجتمعات الصناعية قد أصبحت اليوم ذات توجه رأسمالى، فأنظمتها الاقتصادية تقوم على المشروع الحر وعلى المنافسة الاقتصادية.

الرأسماليون Capitalists

هم أولئك الذين يملكون الشركات، أو الأراضى، أو الأسهم والسندات. وهم يستخدمون هذه الثروة لتحقيق عائدات اقتصادية.

الرأى العام Public Opinion

الآراء التى يبديها أعضاء الجمهور العام حول بعض أحداث الساعة.

الرجولة
Masculinity

الصور المميزة للسلوك المتوقع من الرجال فى ثقافة محددة.

الرعاية الصحية الخاصة
Private Health Care

خدمات الرعاية الصحية التى تتاح فقط لأولئك الذين يدفعون تكاليف علاجهم بالكامل.

رصيف الهجرة من العالم الثالث(*)
Third World Entrepot

مدينة تتخذ كنقطة دخول

(*) لهذا المصطلح ثلاثة معان متميزة، وإن تكن متشابهة، أحدها هذا الذى ذكره جيدنز، والمعنى الأصلى للكلمة: ميناء كانت تستخدمه الدول الاستعمارية لتخزين السلع التى تكون مخصصة للبيع فى أماكن أخرى. أما المعنى الثالث فيستخدم -فى الغالب- للإشارة إلى المدن أو الأقاليم - خاصة تلك التى تقع فى دول فقيرة - التى يوجد بها قطاع تجارى ضخم موجه بالأساس لتصدير المنتجات الأولية من داخل الدولة. ولذلك ترجمناها عن جوردون مارشال: **مركز تجارى فى العالم الثالث**، انظر موسوعة علم الاجتماع، المشروع القومى للترجمة، مجلد ٣، مرجع سابق (المحرر)

للمهاجرين المتجهين من الدول الأقل نمواً إلى الدول الأكثر نمواً.

الرق، العبودية Slavery

صورة من التدرج الاجتماعى بمقتضاها يتملك أفراد رقاب أفراد آخرين، بحيث يعاملونهم كممتلكات خاصة بهم.

الرقابة Surveillance

الإشراف على أنشطة الأفراد والجماعات من قبل أفراد أو جماعات أخرى من أجل التأكد من امتثالهم سلوكيا (أو التزامهم).

الرمز Symbol

عنصر يمثل عنصراً آخر أو يشير إليه، كما فى حالة العلم الذى يرمز إلى الأمة.

الرموز اللغوية المتأنقة أو المحدودة Elaborated Code

شكل من أشكال الكلام يقوم على الاستخدام القصدى والمنظم لكلمات معينة لإضفاء الدقة على المعانى.

زلات اللسان Slips of the Tongue

سوء نطق الكلمات، كأن يقصد القائل كلمة "ستة" (الإنجليزية = Six) ولكنه يقول بدلاً منها "كلمة جنس" Sex. وكان فرويد يعتقد أن زلات اللسان تخفى بعض العواطف وبعض مظاهر القلق الخبيئة.

الزنا بالمحارم Incest

العلاقات الجنسية بين الأقارب الأقربين، كما بين الأب وبناته أو الإخوة وأخواتهم. ولدى كل مجتمع إنسانى نوع أو آخر من قواعد تحريم الزنا بالمحارم.

زواج Marriage

علاقة جنسية بين فردين تحظى بالقبول الاجتماعى. ويجمع الزواج دائما -تقريبا- بين شخصين مختلفين فى النوع، وإن كانت هناك بعض الثقافات التى تتسامح مع أنماط زواج المثليين الجنسيين. وعادة ما يشكل الزواج الأساس الذى ينهض عليه الإنجاب، أى أنه يكون من المتوقع أن ينجب الزوجان وأن يقوموا

بتربية الأطفال. وتسمح العديد من المجتمعات بالزواج التعددى، حيث يمكن للمرء أن يتخذ عدة أزواج أو زوجات فى ذات الوقت.

الزواج الأحادى Monogamy

صورة من الزواج لا يسمح فيها لشريك الحياة إلا بالارتباط بعلاقة زواجية مع شريك واحد فى نفس الوقت.

الزواج الأحادى المتتابع

Serial Monogamy

ممارسة الزواج عدة مرات بالتتابع، بحيث لا يكون فى عصمة الشخص إلا شريك حياة واحد فى ذات الوقت.

الزواج التعددى (الأزواج أو الزوجات)

Polygamy

يعنى هذا المصطلح حرفيا جمع الفرد فى الزواج بأكثر من قرين من الجنس الآخر فى نفس العلاقة الزوجية.

السحاق Lesbianism

الأنشطة الجنسية، أو الارتباط الجنسى، بين النساء.

السحر Magic

الطقوس التى تحاول أن تؤثر على الأرواح أو الكائنات فوق الطبيعية من أجل تحقيق أهداف بشرية. ويوجد السحر فى معظم المجتمعات فى علاقة متوترة مع الدين. فعلى عكس الدين، فإن السحر يميل إلى أن يكون نشاطاً فردياً يمارس من خلال الكهنة والمشعوذين.

سلطة Authority

القوة المشروعة التى يحوزها شخص أو جماعة فى مواجهة شخص أو جماعة أخرى. ويعد مكون المشروعية مكونا حيويا بالنسبة لفكرة السلطة، وهو الوسيلة الرئيسية التى تتميز بها السلطة عن مفهوم القوة الأكثر عمومية. فالقوة يمكن أن تمارس من خلال استخدام القسر أو العنف. أما السلطة فتعتمد- على خلاف القوة- على قبول الخاضعين لحق أولئك الذين يشغلون مواقع أعلى فى إصدار الأوامر والتوجيهات لهم.

السلوك الانتخابى

Voting Behaviour

أنماط التصويت المتبعة فى

الانتخابات السياسية.

السيادة
Sovereignty
الحكم السياسى المعترف بــــه لدولة على مساحة محددة من الأرض.

السيادة المتعددة
Multiple Sovereignty
موقف لا توجد فيه قوة سيادية واحدة فى المجتمع .

السياسة **Politics**
الوســـائل التـــى تســــــتخدم بواسطتها القوة للتأثير فـــى طبيعـــة ومحتوى الأنشطة الحكومية. ويشـــتمل المجال "السياسى" على تلك الأنشـــطة الحكومية، ولكنه يشتمل أيضـــا علـــى أفعال العديد من الجماعات والأفـــراد الآخرين. وهناك العديد من الوســـائل التى يسعى من خلالها أولئك الذيـــن لا يعملون فى الحكومة لمحاولة التـــأثير عليها.

السيكوباتى **Psychopath**
نمـــط خـــاص مـــن أنمـــاط الشخصية. والأفـــراد الســـيكوباتيون يفتقدون إلى الحس الأخلاقى والاهتمام بالآخرين، وهى المشاعر التى تســـود بين أغلب الأفراد الطبيعيين.

السيموطيقا (علم العلامات)
Semiotics
دراسة الطرق التى من خلالها يمكن أن تولد الظواهر غير اللغويـــة معان، كما فى حالة إشارات المرور.

الشامان (الكاهن) **Shaman**
فرد يُعتقد أنـــه يمتلـــك قـــوى سحرية خاصـــة، يعمـــل مشـــعوذا أو مطببا سحريا.

الشخصية التسلطية
Authoritarian Personality
مجموعة معينة من الســـمات الشخصية التى تنطوى على نظرة تتسم بالصرامة، وعدم التسامح، وبـــالقدرة على قبول الغموض والالتباس.

شرعية **Legitimacy**
الاعتقاد بأن نظامـــا سياســـيا معينا عادل وصحيح.

الشركات الدولية (المتعدية القوميات) المركزية

Ethnocentric Transnationals

أى الشركات المتعدية القومية (أو المتعددة الجنسية) التى تدار بشكل أساسى من المركز الرئيسى للشركة الأم.

الشركات عابرة القارات

Transnational Companies

شركات أعمال يقع نشاطها فى دولة أو أكثر.

الشركات عابرة القوميات ذات المراكز المتعددة

Polycentric Transnationals

شركات عابرة القارات يتم إدارتها من مركزين أو أكثر وتكون موجودة فى دول مختلفة.

الشركات العالمية

Global Corporations

هى شركات الأعمال التى تمارس عملها على نطاق كونى.

الشركات الكونية المتعدية الجنسية

Geocentric Transnationals

شركات متعدية الجنسية يتسم بناؤها الإدارى بالطابع الكونى، فلا يتم توجيهه من أية دولة بعينها.

الشره المرضى (الضّور) Bulimia

اضطراب فى تناول الطعام يعمد فيه بعض الأفراد إلى الإفراط فى تناول الطعام، دون أن يهضموه هضما جيدا سليما. وتجد الشخص المصاب بالشره المرضى يقوم - مثلا - بتناول طعام كثير، ثم قد يعمد إلى إجبار نفسه على التقيوء قبل أن يتم هضم الطعام على الوجه السليم.

شعيرة، شعائر Ritual

أنماط سلوكية ذات طابع رسمى ينخرط فيها أعضاء المجتمع بصفة منتظمة. ويمثل الدين واحداً من السياقات الرئيسية التى تمارس فيها الشعائر، ولكن مجال ممارسة الشعائر قد يتسع إلى ما هو أبعد بكثير من نطاق الدين ذاته. ولدى أغلب الجماعات نوع أو آخر من الممارسات الشعائرية.

الشغب Riot

انفجار لعنف غير قانونى،

يوجه إلى الاعتداء على الأشخاص أو الممتلكات أو على كليهما.

الشيوعية Communism

مجموعة من الأفكار السياسية التي ترتبط بكارل ماركس، والتي أسهم لينين بدور بارز في تطويرها، وهي موضوعة موضع التطبيق في الصين، وكانت كذلك في الاتحاد السوفيتي (السابق) وبلاد أوروبا الشرقية حتى عام ١٩٩٠.

صراع Conflict

علاقة عدائية بين أفراد أو جماعات في المجتمع. وقد يتخذ الصراع أحد شكلين. يحدث الأول حيث يكون هناك صدام أو تعارض في المصالح بين شخصين أو جماعتين أو أكثر؛ أما الآخر فيحدث عندما ينخرط الناس أو الجماعات في التقاتل فعليا مع بعضهم البعض. ولا يؤدي صراع المصالح دائماً إلى الصراع الصريح، في حين أن الصراع الفعلي قد يحدث أحيانا بين الجماعات التي قد تعتقد خطأ أن لها مصالح متعارضة.

الصراع الطبقي Class Conflict

أشكال الصراع بين طبقات المجتمع المختلفة. وكان كارل ماركس يعتقد أن الصراع الطبقي هو السبب الأساسي في حدوث كثير من صور الانقسام والعداء الأخرى في المجتمع.

الصورة الممسوخة Simulacrum

فكرة قدمها الكاتب الفرنسي جين بودريار. والصورة الممسوخة هي نسخة من شئ لم يعد أصله الواقعي موجودا بالفعل. فالمنزل الذي يقلد منازل أسرة تيودور في انجلترا لا يشبه بحال من الأحوال المباني التيودورية الأصلية.

صيحات المفاجأة Response Cries

التعبيرات غير الطوعية التي تصدر عن الأشخاص عندما يؤخذون بالمفاجأة، كأن يلقون –مثلا– بالأشياء التي في أيديهم أو يعبرون عن فرحتهم.

ضبط وسائل الاتصال الجماهيري
Media Regulation

استخدام الوسائل القانونية

للتحكم فى ملكية وسائل الاتصال الجماهيرى، وفى المضمون الذى تقدمه تلك الوسائل.

طائفة (فى الهند)، طبقة مغلقة
Caste
شكل من أشكال التدرج الاجتماعى يتحدد فيه وضع الفرد الاجتماعى منذ مولده وبحكم مولده، ولا يمكن تغيير ذلك الوضع أبدا. ولا يوجد فى الواقع أى تزاوج بين أفراد الطوائف المختلفة.

طائفة دينية، عبادة **Cult**
جماعة دينية غير محكمة التنظيم، يكون انتماء الأفراد إليها غير واهيا، ولكنها تفتقر إلى أى شكل من أشكال البنية المستمرة الدائمة.

الطبقات فى مرحلة التحول
Transitional Classes
مصطلح استخدمه ماركس ليشير إلى الطبقات التى تنتمى إلى نموذج آخر من المجتمعات يسلم الروح لنموذج آخر، كما هو الحال فى طبقات الفلاحين أو كبار الملاك فى نظام تحول بالفعل إلى النظام الرأسمالى.

طبقة **Class**
على الرغم من أن مصطلح الطبقة يعتبر واحد من أكثر المصطلحات شيوعاً فى علم الاجتماع، إلا أنه لا يوجد اتفاق واضح حول أفضل السبل لتعريف هذه الفكرة. ومع ذلك، يستخدم أغلب علماء الاجتماع المصطلح للإشارة إلى الاختلافات الاجتماعية الاقتصادية بين الجماعات والأفراد التى تخلق صور التفاوت بينها فى الرفاهية المادية والقوة.

الطبقة الدنيا (المطحونة)
Underclass
طبقة من الأفراد تقع فى قاع النظام الطبقى، وغالباً ما تتكون من أفراد ينحدرون من أقلية عرقية.

طبقة ذات وضع رسمى **Estate**
شكل من أشكال التدرج الطبقى الاجتماعى ينطوى على أشكال من عدم المساواة بين مجموعات من الأفراد (أى طبقات) مستمدة من نصوص قانونية أو أوضاع قانونية مستقرة.

الطبقة العاملة **Working Class**
طبقة اجتماعية تتكون من

الأفراد ذوى الياقات الزرقاء -أى العمال اليدويين- أو الذين يشتغلون بمهن يدوية.

الطبقة العليا Upper Class

طبقة اجتماعية تتكون بشكل عام من الأعضاء الأكثر ثراء فى المجتمع، خاصة أولئك الذين يرثون الثروة أو يمتلكون الأعمال أو يحوزون على كميات كبيرة من الأسهم والسندات.

الطبقة الوسطى Middle Class

طبقة اجتماعية تتكون من أولئك الذين يشغلون الأعمال غير اليدوية والمهن الإدارية فى مستوياتها الدنيا.

الطبيعة Nature

الخصائص الفيزيقية للعالم الخارجى أو للجسد التى لا تتأثر بالتدخل الإنسانى. وتعد الواقعة أو الموقف "طبيعيا" إذا ما وجد أو حدث بطريقة مستقلة عن الإرادة الإنسانية. ولم يعد الجزء الأكبر من البيئة الخارجية التى نعيش فيها جزء من الطبيعة، نظرا لأن البشر يتدخلون فى العديد من جوانبها. ويعد الدفء الكونى (الناجم عن الاحتباس الحرارى) مثالا على هذه العملية : فالدفء الكونى ليس وضعية طبيعية، بل هو نتاج للتلوث الذى يتسبب فيه البشر. كما أن الكثير مما يحدث لأجسادنا اليوم ليس أمرا طبيعياً. فعلى سبيل المثال، أصبحت أجسادنا نتيجة للأشكال الجديدة لتكنولوجيا التكاثر، مثل الوسائل الحديثة لمنع الحمل، أو الهندسة الوراثية، أقل خضوعا لعمليات الطبيعة.

طرق البحث Research Methods

طرائق متنوعة للبحث تستخدم لجمع البيانات الإمبيريقية (الواقعية). وهناك العديد من الطرق البحثية فى علم الاجتماع، ولكن ربما كان أكثرها شيوعاً هو: العمل الميدانى (أو الملاحظة بالمشاركة) والمسوح. ومن المفيد الجمع ما بين اثنتين أو أكثر من هذه الطرق فى المشروع البحثى الواحد بغرض تحقيق عدة أهداف فى الآن معاً.

الطفرة Mutation

عملية من التغير الجينى

العشوائى تحدث تبدلا فى الخصائص الفيزيقية لحيوان أو نبات معين. ولم تؤد أغلب الطفرات التى حدثت فى مسار التطور إلى شئ - حيث عجزت الكائنات العضوية الطفرية عن أن تبقى وتستمر. ومع ذلك فإن الطفرة تحدث فى نسبة صغيرة من الحالات خصائص تسمح بظهور أنواع جديدة.

العالم الأول First World

مجموعة الدول القومية التى تمتلك اقتصاديات صناعية ناضجة متطورة، قائمة على أساس الإنتاج الرأسمالى.

العالم الثالث Third World

المجتمعات الأقل نمواً، والتى لا يوجد فيها إنتاج صناعى، وإن وجد فإنه لا يكون على درجة كبيرة من النمو. ويعيش معظم سكان العالم فى بلدان تنتمى إلى العالم الثالث.

العالم الثانى Second World

الدول الصناعية التى كانت تدين -فى الماضى- بالاشتراكية فى شرق أوروبا والاتحاد السوفيتى.

العامل متعدد المهارات

Portfolio Worker

عامل يمتلك مهارات متعددة أو كفاءات متعددة، ومن ثم يكون قادرا على الانتقال بسهولة من عمل إلى آخر.

العداء الإثنى

Ethnic Antagonism

يقصد به العداوات أو الصراعات التى تنشب بين جماعات أو مجتمعات مختلفة إثنيا عن بعضها البعض.

العرق

Race

الفروق فى الخصائص الفيزيقية البشرية، والتى ينظر إليها على أنها تميز عددا كبيرا من الأفراد.

عصابة، زمرة Gang

جماعة غير رسمية من الأفراد يلتقون بانتظام لأداء أنشطة مشتركة، قد تكون خارج الإطار الذى يقره القانون فى ذلك المجتمع.

عقدة أوديب Oedipus Complex

مرحلة من المراحل الأولى للارتقاء النفسى لدى البشر، طبقاً لما ذهب إليه فرويد، حيث يخبر الطفل مشاعر عميقة لحب الأم، مع كراهية الأب. وتعد عملية التغلب على عقدة أوديب - فى رأى فرويد- نقطة تحول حاسمة فى نمو الطفل ككائن مستقل. ولقد أخذ فرويد كلمة "أوديب" من قصة أوديب الشهيرة الذى قتل أباه وتزوج أمه، دون أن يعرف حقيقة علاقته بكل منهما، حسبما تذهب الأسطورة.

علاقات رسمية Formal Relations

تلك العلاقات التى توجد فى الجماعات والتنظيمات التى يتم صياغتها بواسطة المعايير أو القواعد الرسمية لنظام السلطة.

علاقات غير رسمية Informal Relations

العلاقات التى تنشأ بين الجماعات والتنظيمات استنادا إلى الروابط الشخصية؛ أو أساليب أداء الأشياء بمعزل عن الإجراءات الرسمية المتعارف عليها.

علاقة، ارتباط Correlation

العلاقة المنتظمة (أو المعتادة) بين بعدين أو متغيرين، وتصاغ عادة بمصطلحات وعلى أسس إحصائية. وقد تكون العلاقات إيجابية أو سلبية. وتعنى العلاقة الإيجابية بين متغيرين أن الزيادة فى أحد المتغيرين تعنى زيادة فى المتغير الآخر. أما العلاقة السلبية فتعنى أن زيادة أحد المتغيرين تعنى انخفاض المتغير الآخر.

علم Science

يعنى بالمعنى الشائع فى العلوم الفيزيقية، الدراسة المنظمة للعالم الطبيعى. وينطوى العلم على التوليد

المنظم للبيانات الإمبيريقية، مصحوبا ببناء المقاربات النظرية والنظريات التى يسترشد بها فى تفسير البيانات. ويجمع النشاط العلمى ما بين خلق أشكال جديدة وجريئة من الفكر، والاختبار الدقيق للفروض والأفكار. ويمثل الادعاء القائل بأن الأفكار العلمية هى تلك الأفكار المعرضة للنقد

المتبادل والمراجعة من جانب أعضاء المجتمع العلمى، أحد الملامح الأساسية التى تعين على تميز العلم عن الأشكال الأخرى من أنساق الفكر.

علم الاجتماع Sociology

العلم الذى يدرس الجماعات والمجتمعات البشرية، مع التركيز - على وجه الخصوص- على تحليل العالم الصناعى. وهو أحد فروع العلوم الاجتماعية التى تشتمل على الأنثروبولوجيا والاقتصاد والعلوم السياسية والجغرافيا البشرية. والواقع أن الفروق بين العلوم الاجتماعية المختلفة ليست واضحة، وهى جميعا تشترك فى عدد من مجالات الاهتمام والمفاهيم ومناهج البحث المتماثلة.

العلمانى Profane

ذلك الذى يتصل بالعالم الدنيوى، بعالم الحياة اليومية.

العمل Work

النشاط الذى ينتج من خلال البشر من عالم الطبيعية، وبفضله يحافظون على بقائهم. ولا ينبغى التفكير فى العمل باعتباره يقتصر فقط على العمل مدفوع الأجر. فقد كانت الثقافات التقليدية ذات نسق نقدى متدن ولم يكن هناك سوى عددا محدودا جدا من الناس الذين يعملون لقاء أجر نقدى. وفى المجتمعات الحديثة ، ما يزال هناك العديد من أنماط العمل - مثل العمل المنزلى- التى لا تنطوى على الحصول على أجر نقدى أو رواتب.

العمل التطوعى Voluntary Work

العمل الذى يؤدى دون أجر ودون أى صورة من صور الجبر الاقتصادى، من ذلك مثلا العمل غير مدفوع الأجر فى مجال الإحسان الاجتماعى.

العمل الجمعى Collective Action

عمل يتسم نسبياً بالتلقائية، يقوم به عدد كبير من الناس الذين يتجمعون فى مكان أو منطقة ما. ويعتبر سلوك الحشد واحداً من أهم أشكال العمل الجمعى أهمية. ويمكن للأفراد فى ظل الحشود أن يسعوا لتحقيق أهداف يُحال بينهم وبين تحقيقها فى ظل الظروف الطبيعية.

العمل المنزلى Housework (Domestic Labour)

هو العمل غير مدفوع الأجر الذى تؤديه النساء عادة داخل البيت، ويشمل الأغراض والمهام المنزلية اليومية كالطهو، والتنظيف، والتسوق.

العنصرية (التعصب للسلالة)

Racism

إلصاق خصائص متفوقة أو دونية بجماعة سكانية تشترك فى سمات فيزيقية متوارثة بعينها. وتعد العنصرية شكلا من أشكال التعصب، وهى تركز على الفروق الفيزيقية بين الناس. وقد أصبحت الاتجاهات العنصرية متجذرة خلال فترة التوسع الاستعمارى الغربى. ولكنها تستند، فيما يبدو، إلى آليات التعصب والتمييز التى توجد فى العديد من السياقات الاجتماعية البشرية أيضا.

عنف Violence

استخدام القوة الفيزيقية أو (المادية)، أو التهديد باستخدامها من جانب فرد أو جماعة ضد فرد آخر أو جماعة أخرى. وتعد الحرب أكثر أشكال العنف تطرفا. ومع ذلك، يشيع العنف فى العديد من المواقف غير الرسمية فى الحياة الاجتماعية. فعلى سبيل المثال، تتسم العديد من الزيجات بوجود تاريخ لممارسة العنف من قبل أحد الزوجين ضد الآخر.

العنف الأسرى

Domestic Violence

السلوك العنيف الذى يمارسه أحد أفراد الأسرة (أو وحدة المعيشة) ضد عضو آخر فى نفس الأسرة. ويلاحظ أن أخطر أنواع العنف الأسرى يقترفها الذكور عادة ضد الإناث.

عنة الكلام لدى الذكور

Male Inexpressiveness

الصعوبات التى يواجهها الرجال فى التعبير عن مشاعرهم للآخرين أو الحديث معهم.

العود (إلى الجريمة)

Recidivism

عودة إلى المثول أمام العدالة لأفراد سبق إدانتهم بارتكاب جريمة.

العولمة Globalization

تعاظم الاعتماد المتبادل بين شعوب، وأقاليم وبلدان العالم.

العينة الممثلة Representative Sample

وسيلة فى البحث الاجتماعى تحاول أن تختار جماعات للدراسة تمثل مجموع السكان، وذلك عن طريق المزاوجة بين خصائص السكان وخصائص تلك العينة.

غريزة Instinct

نمط ثابت (ومحدد) من السلوك قائم على أساس تكوينى تحكمه المورثات أو الجينات، ويظهر لدى كل الكائنات الطبيعية داخل نفس النوع الواحد.

فائض القيمة Surplus Value

يعنى فى النظرية الماركسية قيمة قوة العمل الخاصة بفرد معينه، وهو الفائض الذى يتوفر بعد أن يدفع صاحب العمل تكلفة أجر العامل.

الفردية العاطفية Affective Individualism

هى الإيمان بالارتباط العاطفى الرومانسى كأساس لإقامة العلاقة الزوجية بين طرفين.

فرض Hypothesis

فكرة أو تخمين عن أمر أو موضوع أو ظرف معين، يصبح هو نفسه منطلقا لاختباره إمبيريقيا.

الفرقة (الطائفة) الدينية Sect

حركة دينية تنفصل عن التيار الأرثوذكسى (أى التيار الأساسى الذى تعده الغالبية الصحيح).

الفصل بين التجمعات الكبيرة (الفصل الماكرو) Macrosegnegation

الفصل بين أعداد كبيرة من أفراد الجماعات العرقية المختلفة، والتى تعيش فى أماكن منعزلة عن بعضها البعض.

فصل دراسى بلاد جدران Classroom Without Walls.

يطلق هذا المصطلح على عملية التعليم باستخدام وسائل الاتصال الإلكترونية الحديثة.

الفصل (أو العزل) العرقى (فى الحياة اليومية) Microsegregation

التمييز (الفصل) بين الجماعات العرقية فى تفاصيل الحياة اليومية، كأن يخصص لكل جماعة حجرة انتظار خاصة فى محطات السكك الحديدية أو الحافلات.

الفصل العنصرى Apartheid

نظام يقوم على الفصل بين الأعراق، تأسس وذاع فى جنوب أفريقيا، ويكاد يكون قد تم القضاء عليه تماما فى عالم اليوم(*).

الفضاء الإلكترونى Cyberspace

شبكة من الاتصالات الإلكترونية التى تحقق التفاعل بين أفراد من خلال أجهزة الحاسب الشخصى.

فقد الشهوة إلى الطعام (الحلْقة) Anorexia

ويعرف أيضا باسم "مرض النحافة" أو الراغبين فى النحافة، حيث يمتنع الأفراد بإرادتهم عن تناول الطعام، من أجل الرشاقة.

الفقر المطلق Absolute Poverty

الفقر فى ضوء أدنى حد ممكن من ضرورات الحفاظ على وجود صحى للفرد.

فقر المعلومات Information Poverty

الشخص "الفقير معلوماتياً" هو ذلك الذى يفتقر إلى استخدام تكنولوجيا المعلومات، كالكومبيوتر مثلا، أو يكون اتصاله بها ضعيفا.

الفقر النسبى Relative Poverty

الفقر معرفاً بالإشارة إلى مستويات حياة الأغلبية فى مجتمع من المجتمعات.

الفلاحون (زارعو الأرض) Peasants

الأفراد الذين ينتجون الطعام من الأرض، باستخدام أساليب تقليدية

(*) ما زالت توجد – مع ذلك – بقايا مهمة لنظام الفصل العنصرى، لعل أكثرها قسوة ومساسا بنا ما يجرى على الفلسطينيين -أصحاب الأرض – من دولة إسرائيل، حيث تقيد حركتهم، ويقيد دخولهم إلى سوق العمل، وتقيد ممارساتهم السياسية والمدنية ... الخ. (المحرر)

فى الزراعة.

الفوردية (نظام الإنتاج الرأسمالى المتقدم) Fordism

يقصد به نظام الإنتاج الذى اضطلع بريادته هنرى فورد، وكان من أبرز معالمه ابتكار نظام خط التجميع فى الإنتاج الصناعى.

القانون Law

القواعد التى تحكم السلوك، والتى تضعها السلطة السياسية، وتستند إلى قوة الدولة.

القراءة والكتابة Literacy

قدرة الفرد على أن يقرأ ويكتب.

القرابة Kinship

علاقة تربط ما بين الأفراد بروابط الدم، أو الزواج أو التبنى. وتعد العلاقات القرابية -بحكم التعريف- ذات علاقة بالزواج والأسرة، ولكنها تتسع لما هو أبعد من هذه النظم. وعلى حين أن هناك عددا محدودا من الالتزامات الاجتماعية المرتبطة بعلاقات القرابة التى تتجاوز نطاق الأسرة النووية فى المجتمعات الحديثة، إلا أن القرابة تعد فى العديد من الثقافات الأخرى ذات أهمية بالغة بالنسبة لمعظم جوانب الحياة الاجتماعية.

القرية الكونية Global Village

مفهوم يرتبط بالكاتب الكندى (المتخصص فى الدراسات الإعلامية) مارشال ماكلوهان. فيرى ماكلوهان أن العالم قد أصبح أشبه بقرية صغيرة، كنتيجة - بالأساس - لانتشار عمليات الاتصال الإلكترونى. وهكذا أصبح الناس فى شتى أنحاء العالم يتابعون - مثلا- نفس وقائع الأخبار التى تبثها البرامج الإخبارية فى التلفزيون.

قضايا التنمية Developmental Questions

الأمور والمسائل التى يطرحها علماء الاجتماع عندما يتناولون أصول بعض النظم الاجتماعية ومسار تطورها من الماضى حتى الحاضر.

قضايا (أو موضوعات) المقارنة Comparative Questions

ويقصد بها تلك القضايا أو

الموضوعات التى تجرى حولها المقارنة بين مجتمعات إنسانية مختلفة لأغراض دعم النظرية أو البحث فى علم الاجتماع.

قضايا واقعية
Factual Questions
يقصد بها القضايا التى تطوح أسئلة عن أمور واقعية موجودة فعلا (وليست أمورا نظرية أو أخلاقية).

القومية Nationalism
مجموعة من المعتقدات والرموز التى تعبر عن التوحد مع جماعة قومية محددة.

القوة Power
قدرة الأفراد أو أعضاء الجماعة على تحقيق أهدافهم، أو قدرتهم على تطوير المصالح التى يتمتعون بها. وتتخلل القوة جميع جوانب العلاقات الإنسانية. ويمكن النظر إلى كثير من الصراعات التى تدور فى المجتمع بوصفها صراعات من أجل الاستحواذ على القوة، نظراً لأن قدر القوة الذى يمكن للفرد أو الجماعة أن يحوزه، هو الذى يحدد قدرتهم على تحويل أمانيهم إلى واقع فعلى على حساب الآخرين.

القوة الرمزية Symbolic Power
القوة التى تمارس من خلال استخدام الرموز دون اللجوء إلى الضبط المباشر. وعلى سبيل المثال فإن أولئك الذين يديرون صناعة الثقافة يمتلكون الكثير من القوة الرمزية تجاه جمهور مشاهدى برامج التلفزيون أو قراء الصحف.

القوة العسكرية Military Power
القوة التى تتحقق من خلال التحكم فى القوات المسلحة وفى السلاح.

قياس الوقت بالساعة Clock Time
ويقصد به حساب الوقت بالساعة، أى بالساعات، أو الدقائق، أو الثوانى. فقبل اختراع الساعات كان الوقت يحسب بالاستعانة بالأحداث التى تقع فى العالم الطبيعى، مثل شروق الشمس وغروبها.

قيم Values
أفكار يعتنقها الأفراد أو الجماعات البشرية تتعلق بما هو

مرغوب، ومناسب، وطيب أو سيئ. ويمثل الاختلاف فى القيم جانباً رئيسياً من جوانب التباين فى الثقافة الإنسانية. كما يتأثر ما يثمنه الأفراد بشدة برؤية الثقافة الخاصة التى يعيشون فيها.

الكابح الاجتماعى
Social Constraint

مصطلح يشير إلى الحقيقة التى مؤداها أن الجماعات والمجتمعات التى ننتمى إليها تمارس تأثيراً فعلا يسهم فى تشكيل سلوكنا.ولقد اعتبر دوركايم أن الكابح الاجتماعى يمثل أحد الخصائص المميزة للظواهر الاجتماعية.

الكلام **Talk**

القيام بمحادثات أو تبادلات لفظية فى مجرى الحياة الاجتماعية اليومية.

الكلام المقنن **Riskicted Code**

نمط من الكلام يعتمد على مظاهر فائقة التطور للفهم الثقافى، ولا يتطلب الأمر فيه صياغة كثير من الأفكار بالكلمات.

كنيسة (طائفة دينية)، دار عبادة
Church

جماعة كبيرة من الناس الذين ينتمون إلى أحد التنظيمات الدينية القائمة المستقرة. كما يستخدم نفس المصطلح للإشارة إلى المكان الذى تمارس فيه الشعائر الدينية.

الكيبوتز **Kibbutzim**

مجتمعات محلية أنشئت فى إسرائيل، يتم فيها الإنتاج بأسلوب تعاونى، وتكون فيها أشكال عدم المساواة فى الثروة والدخل فى أدنى حد لها.

اللاشعور **The Unconscious**

الدوافع والأفكار التى لا يدركها العقل الواعى للفرد. ويعد الكبت آلية نفسية أساسية مسئولة عن اللاشعور، حيث يتم حجب أجزاء من العقل عن الوعى المباشر للفرد. وطبقا لنظرية فرويد، تتشكل رغبات ونزعات اللا شعور خلال مرحلة الطفولة، ولكنها تظل تلعب دوراً أساسياً فى حياة الأشخاص البالغين.

اللامعيارية **Anomie**

مفهوم نشره لأول مرة في حقل علم الاجتماع على نطاق واسع إميل دوركايم، ويقصد به الموقف الذى تفقد فيه المعايير الاجتماعية سيطرتها على سلوك الأفراد.

الماركسية **Marxism**

كيان من الفكر يشتق عناصره الأساسية من أفكار كارل ماركس.

الماكروسوسيولوجيا (الدراسات الاجتماعية للوحدات الكبرى)

Macrosociology

دراسة جماعات وتنظيمات وأنساق اجتماعية دراسة واسعة النطاق.

المجال الأمامى (الظاهر)

Front Region

ذلك المجال من النشاط الاجتماعى الذى يحرص فيه الأفراد على الظهور بأداء معين أمام الآخرين.

المجال الخلفى **Back Region**

منطقة بعيدة عن الممارسات التى تتم فى "المجال الأمامى" أو العلنى، على نحو ما عبر إرفنج جوفمان. وفى هذا المجال الخلفى يستطيع الأفراد أن يستمتعوا بالاسترخاء والتصرف بطريقة غير رسمية وغير متحفظة.

المجتمع **Society**

يعتبر مفهوم المجتمع واحداً من أهم مفاهيم الفكر السوسيولوجى. والمجتمع عبارة عن مجموعة من الناس يعيشون فى حيز معين، ويخضعون لنظام واحد من السلطة السياسية، وهم على وعى بأن لهم هوية تميزهم عن الجماعات الأخرى المحيطة بهم. وتتسم بعض المجتمعات - مثل مجتمعات الصيد والالتقاط - بالصغر الشديد، حيث لا يزيد عدد سكانها عن عدة عشرات من الأفراد. وهناك مجتمعات أخرى بالغة الكبر، حيث تشتمل على عدة ملايين من البشر. فالمجتمع الصينى الحديث، على سبيل المثال، يزيد تعداد سكانه على المليار نسمة.

مجتمع الرقابة

Surveillance Society

مجتمع به مراقبة الأفراد بشكل

دائم، وفيه يتم تسجيل أنشطتهم. وتعد عملية انتشار كاميرات الفيديو على الطرق السريعة، وفى الشوارع والمحلات التجارية أحد مظاهر انتشار الرقابة.

مجتمع ما بعد الصناعة

Postindustrial Society

فكرة يتشيع لها أولئك الذين يعتقدون بأن عمليات التغير الاجتماعى قد مضت بنا إلى ما وراء النظام الصناعى. وينهض مجتمع ما بعد الصناعة على إنتاج المعلومات، أكثر من إنتاج السلع المادية. وفى رأى أولئك الذين يحبذون هذا المفهوم، أننا نشهد الآن سلسلة من التغيرات الاجتماعية ذات الآثار العميقة شبيهة بتلك التى أطلقت عصر الصناعة من عقاله منذ حوالى مائتى سنة تقريباً.

مجتمع المخاطرة Risk Society

فكرة ارتبطت بعالم الاجتماع الألمانى أولريش بيك. ويذهب بيك إلى أن المجتمع قد خلق عديدا من الأخطار الجديدة التى تعرضنا لمخاطر لم تكن معروفة فى العصور الماضية. من ذلك المخاطر المرتبطة بظاهرة الاحتباس الحرارى على المستوى الكونى.

مجتمع المعلومات

Information Society

هو ذلك المجتمع الذى لم يعد يعتمد بالأساس على إنتاج المادية، وإنما أصبح يقوم على إنتاج المعرفة. ويلاحظ أن فكرة مجتمع المعلومات ترتبط أوثق الارتباط بنشأة "تكنولوجيا المعلومات"، كأجهزة الكومبيوتر، ونظم الاتصالات الإلكترونية.

المجتمعات الرعوية

Pastoral Societies

المجتمعات التى يقوم معاشها على تربية الحيوانات المستأنسة.

المجتمعات الزراعية

Agrarian Societies

هى تلك المجتمعات التى تقوم سبل معيشتها بالأساس على الإنتاج الزراعى (زراعة المحاصيل).

المجتمعات الصناعية

Industrial Societies

تلك المجتمعات التى تعمل فيها

الأغلبية العظمى من قوة العمل في الإنتاج الصناعي.

مجتمعات الصيد والالتقاط Hunting and Gathering Societies

تلك المجتمعات التي تعيش على قنص الحيوانات، وصيد السمك، وجمع النباتات القابلة للأكل.

مجمع حضري Conurbation

مجموعة من المدن الصغيرة أو الكبيرة التي توجد في بيئة حضرية متصلة أجزاؤها ببعضها البعض.

محادثة Conversation

الاتصال الشفاهي بين فردين أو أكثر.

المخالطة الفارقة
Differential Association

أحد التفسيرات المطروحة لتحليل السلوك الإجرامي، قدمها العالم الأمريكي إدوين سذرلاند. وهو يرى أن السلوك الإجرامي يتم تعلمه عن طريق مخالطة بعض الناس الذين يمارسون النشاط الإجرامي بانتظام.

مدينة ضخمة (مدينة المدن)
Megalopolis

مدينة كل المدن في بلاد الإغريق القديمة - ويستخدم في العصر الحديث ليشير إلى عمليات تكون المجمعات الحضرية Conurbations.

المدينة العالمية Global City

المدينة العالمية - مثل لندن، أو نيويورك، أو طوكيو - هي تلك التي تعد مركزا من مراكز تنظيم الاقتصاد العالمي الجديد.

مدينة للمتقاعدين
Retirement Centre

مدينة أو بلدة، غالبا ما تتمتع بمناخ معتدل، ينتقل إليها عدد كبير من الناس بعد أن يحالوا إلى التقاعد.

مدينة مركزية في النظام العالمي
Headquarters City

مدينة تلعب دورا تنسيقيا في تقسيم العمل الدولي، فتكون مركزا للتجارة العالمية، أو لإدارة الأموال العالمية.

الإدراك المادى للعالم المحيط به. وفى هذه المرحلة لا يكون الطفل قد طور بعد القدرة على استخدام المفاهيم المجردة أو المواقف الافتراضية (التى ليس لها وجود واقعى ملموس).

مذهب أو طائفة Denomination

الطائفة الدينية عندما تفقد قدراتها الإحيائية، وتتحول إلى تنظيم مستقر الأوضاع، يتطلب الولاء من أعداد كبيرة من الناس فى المجتمع.

المرحلة الحركية الحسية

Sensorimotor Stage

مرحلة من مراحل الارتقاء المعرفى – وفقا لنظرية بياجيه – والتى يتحدد فيها وعى الطفل ببيئته من خلال الإدراك واللمس.

المرحلة ما قبل الإجرائية

Pre - Operational Stage

مرحلة من الارتقاء الإدراكى (أو المعرفى)، فى نظرية بياجيه، يتقدم فيها الطفل بشكل كاف نحو التمكن من أساليب التفكير المنطقى.

مرحلة العمليات الشكلية

Formal Operational Period

مرحلة من مراحل النمو الإدراكى فى نظرية جان بياجيه، وفيها يصبح الطفل الناشئ قادرا على التعامل مع المفاهيم المجردة، والمواقف الافتراضية.

مرحلة العمليات الملموسة (أو المشخصة)

Concrete Operational Stage

مرحلة من مراحل النمو المعرفى عند جان بياجيه، التى يعتمد فيها تفكير الطفل اعتمادا أساسيا على

مركز الإبداع (التكنولوجى)

Innovation Centre

مدينة أو مركز حضرى تستمد ثروتها وشهرتها من كونها مركزا للإبداع أو التجديد التكنولوجى.

المركزية السلالية

Ethnocentrism

يقصد بها عملية فهم أفكار أو ممارسات أبناء ثقافة أخرى فى ضوء أفكار وممارسات الثقافة الخاصة التى ينتمى إليها الشخص. من هنا تخفق الأحكام المتمركزة سلاليا فى فهم وتقدير مميزات الثقافات الأخرى. أما

الشخص المتمركز سلاليا فهو ذلك الفرد الذى يعجز، أو لا يرغب، فى فهم الثقافات الأخرى فى ضوء معاييرها وعلى أسسها هى.

المسافة الاجتماعية

Social Distance

مستوى الانفصال المكانى الذى يحافظ عليه الأفراد أثناء عملية التفاعل مع الآخرين ممن لا يعرفونهم جيداً.

المسافة العامة Public Distance

الحيز الفيزيقى الذى يحتفظ به الأفراد بينهم وبين الآخرين عندما يدخلون معهم فى تفاعل عام، على نحو ما يحدث عن إلقاء محاضرة مثلا.

المسح Survey

طريقة فى البحث فى علم الاجتماع تتضمن تطبيق الاستبيانات على المبحوثين الذين تتم دراستهم.

مصالح Interests

تعنى المصالح - فى الإطار السياسى - اهتمامات أو دوافع الأفراد أو الجماعات المتفاعلين فى هذا الموقف.

مظاهر الفهم المشترك

Shared Understanding

الأفكار (المفهومات) العامة المشتركة بين الناس، والتى تسمح لهم بأن يتفاعلوا بطريقة منظمة بعضهم مع البعض الآخر.

المعاشرة Cohabitation

رجل وامرأة يعيشان معا فى سكن واحد، تربطهما علاقة جنسية على قدر من الاستمرار، ولكن دون أن يرتبطا برابطة الزواج.

المعاينة Sampling

أخذ نسبة من الأفراد أو الحالات من مجتمع أكبر، لدراستها بوصفها عينة ممثلة لمجموع السكان.

المعاينة العشوائية

Random Sampling

أسلوب فى البحث الاجتماعى، يحاول من خلاله الباحث أن يتأكد أن الجماعة التى يدرسها تمثل مجموع السكان أو غالبيتهم، وذلك باختيار

أفراد للبحث وفقا للمبادئ العشوائية.

معايير **Norms**

قواعد للتصرف تحدد السلوك الملائم في عدد من السياقات الاجتماعية. وقد يسمح المعيار بنمط ما من السلوك أو يمنعه. وتتبع كافة الجماعات البشرية أنماط محددة من المعايير التي دائما ما تكون مدعومة بعقوبات من نوع أو آخر تتراوح ما بين عدم التقبل غير الرسمي إلى العقاب البدني أو الإعدام.

معدل الذكاء
IQ (Intelligence Quotient)

الدرجة التي يحصل عليها الفرد في اختبارات القدرات الرمزية أو التفسيرية Reasoning.

المعرفة المرمزة
Codified Knowledge

مفهوم جديد يرتبط بعالم الاجتماع دانيل بيل. وهو يشير إلى أشكال المعرفة الحديثة التي ينتجها العلم الحديث. ويعتقد بيل أن إنتاج مثل هذه المعرفة يمثل أقوى عوامل صياغة المجتمع الحديث تأثيرا وديناميةً.

المعضلة النظرية
The Oretical Dilemma

مشكلة نظرية رئيسية تشكل أساسا لمناظرات مطولة في حقل علم الاجتماع.

المقدس **Sacred**

كل ما يغذي مشاعر الورع أو التقديس في نفوس المؤمنين بنسق من الأفكار الدينية.

مكان إنتاج المكونات
Module Production Place

منطقة حضرية يتم فيها تصنيع أجزاء من منتج معين، يتم تجميعه هو نفسه بشكل نهائي في مكان آخر بعيدا عن تلك المنطقة.

مكانة **Status**

الشرف الاجتماعي أو الهيبة الاجتماعية التي يضفيها بعض أعضاء المجتمع على جماعة بعينها. وعادة ما تنطوي جماعات المكانة على أسلوب مميز للحياة، أي أنماط السلوك التي يتبعها أعضاء الجماعة. وقد تكون الامتيازات المصاحبة للمكانة إيجابية

أو سلبية. فجماعات المنبوذين ينظر إليها باحتقار، و/ أو تعامل باعتبارها جماعات طريدة من قبل أغلبية السكان.

الملاحظ بالمشاركة (فى العمل الميدانى) Participant Observation (Field Work)
طريقة للبحث تستخدم على نطاق واسع فى علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، يقوم فيها الباحث بالانخراط فى الأنشطة التى تقوم بها الجماعة التى يدرسها.

الملكية الدستورية Constitutional Monarch
النظام الملكى الذى يكون فيه الملك - أو الملكة - مجرد "رمز" فى الأساس، بينما تكون القوة الحقيقية فى أيدى زعماء وقادة سياسيين آخرين.

المنهج الخفى Hidden Curriculum
العناصر والسمات السلوكية أو الاتجاهية التى تعلم فى المدرسة، دون أن تكون جزءا من المنهج الرسمى. فالمنهج الخفى هو "جدول الأعمال المسكوت عنه" فى العملية التعليمية. من ذلك مثلا الجوانب المختلفة للفروق بين النوعين التى تعلم للتلاميذ.

المهنة Occupation
أى شكل من أشكال العمل المدفوع الأجر، يقوم فيه الفرد بعمل منتظم يخضع لقواعد محددة.

مواجهة Encounter
مقابلة بين فردين أو أكثر فى موقف تفاعل مباشر (وجها لوجه). ومن الممكن النظر إلى حياتنا اليومية باعتبارها سلسلة من المواجهات المختلفة التى تمتد على مدار اليوم. وعادة ما تكون المواجهات التى نخوضها فى المجتمعات الحديثة مع أشخاص غرباء عنا أكثر من تلك التى تجمعنا مع أناس معروفين لنا جيدا.

مواطن Citizen
عضو فى جماعة سياسية، يتمتع بالحقوق والواجبات المرتبطة

بتلك العضوية والمترتبة عليها.

الموظفون الرسميون Officials

الأفراد الذين يشغلون مواقع رسمية فى التنظيمات الكبرى.

الميدان العام Public Sphere

فكرة ترتبط بعالم الاجتماع الألمانى يورجن هابر ماس. ويشير الميدان العام إلى نطاق من التفاعل تظهر فيه مناقشات عامة ومناظرات عامة فى المجتمع الحديث.

الميكروسوسيولوجيا (الدراسة الاجتماعية للوحدات الصغرى)
Microsociology

دراسة السلوك البشرى فى سياقات التفاعل المباشر (تفاعل الوجه للوجه).

النتائج غير المقصودة (أو غير المتوقعة)
Anintended Consequences

النتائج التى تترتب على السلوك الذى يتجه لتحقيق أغراض أخرى. والكثير من ملامح النشاط الاجتماعى يكون غير مقصود من قبل الذين يشاركون فيه.

النسق الاقتصادى
Economic System

نسق إنتاج، وتوزيع السلع الاقتصادية فى المجتمع.

النسق التربوى
Educational System

نسق الإعداد التربوى القائم فى المجتمع.

النسق المهنى
Occupational System

تقسيم العمل بين المهن فى المجتمع.

النظام العالمى للمعلومات
World Information Order

نظام كونى للاتصالات، يعمل عبر شبكات الأقمار الصناعية، والبث الإذاعى والتليفزيونى، والتليفون وشبكات الكومبيوتر.

نظرية Theory

محاولة تحديد الخصائص العامة التى تفسر الانتظام فى الوقائع

الملاحظة. ويشكل بناء النظرية مكوناً جوهرياً من مكونات كافة الأعمال السوسيولوجية. وبينما تميل النظريات إلى الارتباط بتوجهات نظرية أرحب، فإنها تتأثر كذلك -بشدة- بنتائج البحوث التى تعمل على توليدها.

نظرية الوصم Labelling Theory

اتجاه فى دراسة الانحراف يرى أن الناس "تنحرف" لأن السلطات السياسية وغير السياسية تسم سلوكها بوصمات معينة.

النظم عالية المصداقية

High - Trust Systems

هى تلك التنظيمات أو ترتيبات العمل التى يسمح فيها للأفراد بقدر كبير من الاستقلال والتحكم فى إنجاز الأعمال.

النقابة العمالية Trade Union

مجموعة من الأفراد تتجمع لتمثيل مصالح العمال فى موقع صناعى.

نمو سكنى الضواحى

Suburbanization

تطور الضواحى، أى مناطق الإسكان التى تنمو خارج منطقة قلب المدنية.

نموذج مثالى، نمط مثالى

Ideal Type

هو "نمط خالص" أو "نقى" تتم صياغته بتأكيد وإبراز بعض سمات - أو عناصر - موضوع اجتماعى معين، قد لا يكون له وجود فعلى فى الواقع بالضرورة.

النموذج المسرحى، المنظورالمسرحى

Dramaturgical Model

اتجاه فى دراسة التفاعل الاجتماعى يقوم على استخدام استعارات مستمدة من عالم المسرح.

نهاية التاريخ End of History

فكرة ترتبط بالمفكر الأمريكى فرانسيس فوكوياما. ويرى فوكوياما أن التاريخ قد انتهى بعد سقوط النظام الشيوعى، وذلك لأننا لا نرى أى شكل من أشكال المجتمعات يمكن أن يحل

محل الرأسمالية الغربية.

النوع Gender

التوقعات الاجتماعية للسلوك الذى يعتبر مناسباً لكل من الجنسين. ولا يشير النوع هنا إلى الخصائص الجسدية التى يختلف فيها الرجال والنساء، بل إلى السمات المصاغة اجتماعياً لكل من الذكورة والأنوثة. ولقد أصبحت دراسة العلاقات بين النوعين واحدة من أهم ميادين علم الاجتماع فى السنوات الأخيرة، على الرغم من أنها ظلت لفترة لا تلقى سوى اهتماماً ضئيلا.

النوع (الفنى) Genre

مفهوم يستخدم فى دراسات وبحوث وسائل الاتصال للإشارة إلى نوع متميز من منتجات وسائل الاتصال، أو من الموضوعات الثقافية. ففى عالم التليفزيون - على سبيل المثال - هناك عدة أنواع فنية معروفة، مثل : التمثيليات الصباحية، الكوميديا، البرامج الإخبارية، البرامج الرياضية، والدراما.

هوية Identity

السمات المميزة لطابع الشخص أو الجماعة. وتنشأ كل من الهوية الشخصية والجماعية بواسطة عناصر الصياغة الاجتماعية. وهكذا يمثل اسم الشخص واحداً من أهم عناصر صياغة الهوية الاجتماعية. فالاسم جزء مهم من تفرد الشخصية. كما أن اختيار الاسم (أو عملية التسمية) يعد شأناً مهما أيضا بالنسبة لهوية الجماعة. فعلى سبيل المثال، تعد الهوية القومية نتاجاً لما إذا كان الشخص إنجليزياً أو فرنسياً أو أمريكياً وهكذا دواليك.

الهيبة Prestige

الاحترام الذى يحظى به فرد أو جماعة، بسبب ما يتمتع (أو تتمتع) به من مكانة.

الواقع المصنوع Hyperreality

فكرة ترتبط بالعالم الفرنسى جان بودريار. ويذهب بودريار إلى أن انتشار وسائل الاتصال الإلكترونية قد أدى إلى أنه لم يعد هناك ثمة "واقع" منفصل أو مستقل تقدمه لنا البرامج التليفزيونية وغيرها من المنتجات الثقافية الأخرى. وعوضا عن ذلك فإن ما نعتقد أنه "واقع" إنما هو من صنع

وسائل الاتصال تلك. فالموضوعات التى تصورها لنا الأخبار - مثلا - لا تدور حول وقائع منفصلة أو مستقلة، بل هى التى تحدد وتؤسس تلك الوقائع فى عقولنا بالفعل.

الوراثة فى فرع الأب

Patrilineal Inheritance

وراثة الملكية أو الألقاب عبر الخط الذكورى.

الوراثة فى فرع الأم

Matrilineal Inheritance

وراثة الملكية أو الألقاب عبر الخط الأنثوى.

الوسائط الاتصالية المتعددة

Multimedia

توليف وسائط اتصالية مختلفة يتطلب كل منها تقنيات مختلفة (مثل الوسائط السمعية والبصرية) فى وسيط واحد مثل الأسطوانة الممغنطة التى يمكن أن تستخدم فى الكومبيوتر.

وسائل الاتصال الجماهيرى

Mass Media

أشكال الاتصال مثل الجرائد والمجلات والراديو والتليفزيون المصممة لكى تصل إلى جمهور عريض من المتلقين.

وسائل الإنتاج

Means of Production

الوسائل التى يتم بها إنتاج السلع المادية فى المجتمع، والتى لا تضم التكنولوجيا فحسب، وإنما تضم كذلك العلاقات الاجتماعية بين المنتجين.

وسط المدينة **Inner City**

هى تلك المناطق التى تشكل الأحياء المركزية فى داخل المدينة، والتى تتسم بصفات وخصائص تميزها عن سائر أحياء المدينة الأخرى. ونلاحظ فى كثير من المراكز الحضرية الحديثة فى بلاد العالم الأول (الصناعى الرأسمالى المتقدم) أن مناطق وسط المدينة تتعرض للتهدم والتحلل، حيث يهجرها السكان الموسرون إلى المناطق الجديدة الواقعة على أطراف المدينة.

الوصمة **Stigma**

أية خصيصة فيزيقية أو

اجتماعية يعتقد أنها تقلل من شأن الشخص.

وضع اجتماعى Social Position

الهوية الاجتماعية التى يحوزها الفرد فى جماعة أو مجتمع ما. وقد يكون الوضع الاجتماعى بالغ العمومية بطبيعته (كما هى الحال فى تلك المسائل المتعلقة بالأدوار النوعية)، أو قد يكون أكثر تحديداً (مثلما هو الحال بالنسبة للأوضاع المهنية).

الوظائف الظاهرة
Manifest Functions

وظائف جانب أو نمط من النشاط الاجتماعى تكون معروفة للأفراد الذين ينخرطون فى موقف معين فى الحياة الاجتماعية، وتكون مقصودة (فى حد ذاتها).

وظائف كامنة Latent Functions

الآثار الوظيفية التى تتحقق عن غير قصد، أو حتى بدون وعى من جانب أفراد النسق الاجتماعى الذى تحدث فيه.

الوظيفية Functionalism

توجه نظرى ينهض على فكرة أن الوقائع والأحداث الاجتماعية يمكن تفسيرها على الوجه الأفضل على أساس الوظائف التى تؤديها، أى الدور الذى تؤديه من أجل تحقيق استمرار المجتمع واستدامته.

الوعى بالذات
Self - Consciousness

وعى المرء بتميز هويته الاجتماعية باعتباره شخصا مستقلا عن الآخرين. ولا يولد البشر محملين بوعى بذواتهم، بل إنهم يكتسبونه كنتيجة للتنشئة الاجتماعية فى المرحلة المبكرة من العمر. ويعد تعلم اللغة ذا أهمية جوهرية للعمليات التى يتعلم من خلالها الطفل أن يصبح كائناً واعياً بذاته.

قائمة المصطلحات الواردة فى الكتاب
مرتبة حسب الأبجدية الإفرنجية

(A)

1 - Ability	قدرة
2 - Absolute Deprivation	الحرمان المطلق
3 - Absolute Mobility	الحراك المطلق
4 - Absolute Poverty	الفقر المطلق
5 - Absolutism, Absolute State	استبداد، دولة مستبدة (تحكم حكما مطلقا)
6 - Abstracted Empiricism	النزعة الإمبيريقية المجردة
7 -Accommodation	تلاؤم. ملاءمة
8 -Acculturation	تثقف (تكيف ثقافى)
9 -Accumulation	تراكم
10-Achieved Status	المكانة المكتسبة
11-Achievement	إنجاز
12-Achievement Motivation	دافعية الإنجاز
13-Act, Action, Social Act	فعل، فعل اجتماعى
14-Action Frame of Reference	الإطار المرجعى للفعل
15-Action Research	البحث الإجرائى
16-Action Theory	نظرية الفعل
17-Actor, Social Actor	فاعل، فاعل اجتماعى
18-Adaptation	التكيف
19-Adaptive Culture	ثقافة تكيفية
20-Addiction	إدمان
21-Adolescence	مراهقة
22-Advocacy Research	بحوث الدعوة (إلى رأى)
23-Affect, Affective, Affectivity	شعور(عاطفة)،شعورى(عاطفى)، عاطفية
24-Affective Individualism	النزعة الفردية العاطفية
25-Affine, Affinity	صهر، رابطة مصاهرة
26-Affluent Society	مجتمع الوفرة
27-Age-Sets, Age-Grades	طبقات العمر، مراتب العمر
28-Age Stratification	تدرج عمرى
29-Ageing, Sociology of	الدراسة الاجتماعية للشيخوخة

30-Ageism	التعصب ضد كبار السن
31-Agency	الفعل، التأثير
32-Aggregate (Collectivity)	تجمع (كيان جمعى)
33-Aggregate Data	بيانات إجمالية
34-Aggression	عدوان
35-Agrarian Capitalism	رأسمالية زراعية
36-Agrarian Societies	مجتمعات زراعية
37-Agriculture, Sociology of	علم اجتماع الزراعة، سوسيولوجيا الزراعة
38-AIDS, Sociological Studies of	الدراسات الاجتماعية للإيدز
39-Alienation	إغتراب
40-Alliance Theory	(نظرية) التحالف
41-Alternative Movement	حركة بديلة
42-Alternative Technology	تكنولوجيا بديلة
43-Ambivalence	ازدواج وجدانى
44-Anarchism	فوضوية
45-Ancestry	الأسلاف، سلسلة النسب
46-Animatism	الإحيائية
47-Animism	الأنيميزم، المذهب الحيوى
48-Anomie, Anomy	اللامعيارية
49-Anthropology	الأنثروبولوجيا
50-Anticipatory Socialization	تنشئة توقعية
51-Antinomianism	(نزعة)التناقض (تناقض القوانين أو المبادئ)
52-Anti-Naturalism	النزعة المضادة للمذهب الطبيعى
53-Apartheid	الفصل العنصرى
54-Applied Sociology	علم الاجتماع التطبيقى
55-Appropriate Technologies	تكنولوجيا ملائمة
56-Ascribed Status	مكانة موروثة
57-Asiatic Mode of Production	نمط الانتاج الآسيوى
58-Assimilation	تمثّل
59-Association	رابطة، ارتباط

60-Association Coefficients	معاملات الارتباط
61-Asymmetric Society	المجتمع اللامتماثل
62-Attitudes, Attitude Research	اتجاهات، بحوث الاتجاهات
63-Authenticity	أصالة، صحة
64-Authoritarian	تسلطى
65-Authoritarian Personality	شخصية تسلطية
66-Authoritarianism	النزعة التسلطية
67-Authoritative Power	قوة رسمية
68-Authority	سلطة
69-Autobiography	سيرة ذاتية
70-Autocracy	أتوقراطية، حكم مطلق
71-Automation	أتوميشن، الآلية
72-Autonomy	استقلال ذاتى
73-Avoidance Relationships	علاقات التحاشى
74-Axiom, Axiomatic	بديهية، بديهى

(B)

75-Balance Theory	(نظرية) التوازن
76-Banks, Data	بنوك المعلومات أو البيانات
77-Bar-Chart	لوحة الأعمدة البيانية
78-Base	قاعدة، بناء تحتى
79-Behaviour	سلوك
80-Behaviour, Political	السلوك السياسى
81-Behavioural Conformity	الامتثال السلوكى
82-Behaviourism	النزعة السلوكية
83-Benefits, Welfare	مزاياها الرفاهية
84-Bias	تحيز، انحياز
85-Biography	تاريخ الحياة، السيرة الشخصية
86-Biological Analogy	المماثلة الحيوية
87-Birth-Rate	معدل المواليد
88-Bivariate Analysis	تحليل المتغيرين

89-Black Economy	اقتصاد أسود
90-Blue-Collar Work	عمل الطبقة العاملة (الكادحة)
91-Body, Sociology of	الدراسة الاجتماعية للجسد
92-Body Language	لغة الجسم
93-Bogardus Social Distance Scale	مقياس بوجاردوس للمسافة الاجتماعية
94-Bourgeoisie	برجوازية
95-Bride Price, Bride-Wealth	مهر
96-Buddhism	بوذية
97-Bureaucracy	بيروقراطية
98-Bureaucratic Socialism	الاشتراكية البيروقراطية

(C)

99-Canonical Analysis	تحليل مقنن
100-CAPI (Computer Assisted Presonal Interviewing)	المقابلات الشخصية عن طريق الحاسب الآلى
101-Capital	رأس المال
102-Capital Accumulation	تراكم رأس المال
103-Capital-Intensive Production	الانتاج كثيف رأس المال
104-Capitalism	رأسمالية
105-Capitalist, Capitalist Class	رأسمالى، طبقة رأسمالية
106-Career	سلك مهنى، مهنة
107-Career Mobility	حراك السلك المهنى
108-Case	حالة
109-Case History	تاريخ الحالة
110-Case-Study, Case-Study Method	دراسة الحالة، منهج دراسة الحالة
111-Casework	خدمة الفرد
112-Caste	طائفة (فى الهند)، طبقة مغلقة
113-Categoric Variable	متغير فئوى
114-Category	فئة، مقولة
115-CATI (Computer Assisted Telefon Interviews)	المقابلات التليفونية عن طريق الحاسب الآلى

116-Causal Modelling	**بناء النماذج العلّية**
117-Cause, Causal Explanation	**علّه، تفسير علّى**
118-Census	**تعداد**
119-Central Life Interest	**الاهتمام الأساسى فى الحياة**
120-Central Tendency (Measures of)	**مقاييس النزعة المركزية**
121-Centre-Periphery Model	**نموذج المركز والأطراف**
122-Chain Migration	**هجرة متتابعة**
123-Change, Social Change	**تغير، تغير اجتماعى**
124-Charisma	**الكاريزما**
125-Child Abuse	**الإساءة إلى الطفل**
126-Childhood	**طفولة**
127-Circulating Capital	**رأس المال الدائر**
128-Circulation Mobility	**حراك دورى**
129-Circulation of Elites	**دورة الصفوة**
130-Citizenship	**مواطنة**
131-City, Sociology of	**علم اجتماع المدينة (علم الاجتماع الحضرى)**
132-Civil Liberties	**حريات مدنية**
133-Civil Religion, Civil Religion thesis	**دين مدنى، قضية الدين المدنى**
134-Civil Rights	**حقوق مدنية**
135-Civil Society	**مجتمع مدنى**
136-Class, Social Class	**طبقة، طبقة اجتماعية**
137-Class Awareness	**هوية طبقية**
138-Class Conciousness	**وعى طبقى**
139-Class Culture	**ثقافة الطبقة**
140-Class Interest	**مصلحة طبقية**
141-Class Position	**وضع طبقى**
142-Classification	**تصنيف**
143-Clinical Sociology	**علم الاجتماع الاكلينيكى**
144-Closed Response	**اجابة مغلقة**
145-Closure, Social Closure	**الانغلاق الاجتماعى**

146-Code, Codes	قاعدة، قانون
147-Coding	ترميز
148-Coding Frame	إطار الترميز
149-Coefficient	مُعامل
150-Coercion	قسر، قهر
151-Coercive Power	قوة الإلزام
152-Cognition, Cognitive	إدراك، إدراكى، معرفى
153-Cognitive Consistency	اتساق معرفى
154-Cognitive Dissonance	تنافر معرفى
155-Cognitive Sociology	علم الاجتماع المعرفى (الإدراكى)
156-Cognitive Theory	النظرية المعرفية
157-Cohabitation	معاشرة
158-Cohort, Cohort Analysis	فوج (فى السكان)، تحليل الفوج
159-Cohort Rates	معدلات الفوج
160-Collective Bargaining	مساومة جماعية
161-Collective Behaviour	سلوك جمعى
162-Collective Conscience	وعى جمعى
163-Collective Consumption	استهلاك جمعى
164-Collective Representations	تصورات جمعية (عند دوركايم)
165-Collectivism	جماعية
166-Colonialism	الاستعمار
167-Command Economy	الاقتصاد المركزى (المدار مركزيا)
168-Commodification, Commoditization	إنتاج السلع للسوق
169-Commodity Chains	الشبكات الاقتصادية (العالمية)
170-Commodity Fetishism	تقديس السلع (فتشية السلع)
171-Commonsense Knowledge	المعرفة الفطرية، أو البادهة، أو المبنية على حسن التقدير
172-Communication	اتصال
173-Communism	شيوعية
174-Community	مجتمع محلى

175-Community Care	رعاية المجتمع المحلى
176-Community Control	ضبط المجتمع المحلى
177-Community Power	قوة المجتمع المحلى
178-Community Safety	تأمين المجتمع المحلى
179 -Comparative Sociology, Comparative Method	علم الاجتماع المقارن، المنهج المقارن
180 -Competition, Economic and Social	منافسة اقتصادية واجتماعية
181 -Complex Sampling	المعاينة المركبة
182 -Compliance	خضوع (إذعان)
183 -Computer Packages	حزم (برامج جاهزة) للكومبيوتر
184 -Concepts	مفاهيم
185 -Concomitant Variation, Method of	منهج التلازم فى التغير أو منهج التغير المصاحب
186 -Concrete Operations Stage	مرحلة العمليات الملموسة (أو المشخصة)
187 -Conditioned or Conditional Response	استجابة شرطية
188 -Conditioned or Conditional Stimulus	المنبه (المثير) الشرطى
189 -Conditioning	تشريط (ارتباط شرطى)
190 -Confidence intervals, Confience Limits	فترات الثقة، حدود الثقة
191 -Conflict, Social	صراع اجتماعى
192 -Conforming Personality	شخصية ممتثلة
193 -Conformity	امتثال
194 -Conjugal Role	دور زواجى
195 -Connotative Versus Denotative Meaning	المعنى الضمنى (المفهومى)فى مقابل المعنى الدلالى
196 -Consciousness, Social	وعى اجتماعى
197 -Consensus, Social	الاجماع الاجتماعى
198 -Consensus Theory	نظرية الاجماع
199 -Conservatism	النزعة المحافظة
200 -Constructionism, Constructivism	النزعة التصورية
201 -Consumer Society	مجتمع استهلاكى

202 -Consumption, Sociology of	الدراسة الاجتماعية للاستهلاك
203 -Content Analysis	تحليل المضمون
204 -Contingency Theory	نظرية التوافق
205 -Contra-Culture	ثقافة مضادة
206 -Contradiction	تناقض
207 -Contradictory Class Location	وضع طبقى متناقض
208 -Control (Experimental)	ضبط تجريبى
209 -Control Group	جماعة ضابطة
210 -Conurbation	مجمع حضرى، بقعة حضرية
211 -Conversation Analysis	تحليل المحادثة
212 -Co-operative	تعاونى، جمعية تعاونية
213 -Corporte Capitalism	رأسمالية المؤسسات (المشروعات)
214 -Corporate Crime	جرائم الشركات (الاقتصادية)
215 -Corporate Groups	جماعات مؤسسية
216 -Corporatism	النزعة المؤسسية
217 -Correlation	علاقة، ارتباط
218 -Cost-Benefit Analysis	تحليل التكلفة والعائد
219 -Counter Culture	ثقافة مضادة
220 -Counter Movement	حركة مضادة
221 -Countervailing Power	قوة مضادة
222 -Cousins	أبناء العمومة أو الخؤولة
223 -Covariation	التغاير
224 -Covert Observation	الملاحظة المستترة
225 -Crime	جريمة
226 -Crime Prevention	منع الجريمة
227 -Crime-Rate	معدل الجريمة
228 -Criminal Statistics	احصاءات الجريمة
229 -Criminology	علم الاجرام
230 -Critical Theory	النظرية النقدية
231 -Cross-Tabulation, Cross-Classification	تبويب مزدوج، تصنيف مزدوج

232 -Crowding تزاحم
233 -Crowds حشود
234 -Crude Birth Rate معدل المواليد الخام
235 -Crude Death Rate معدل الوفيات الخام
236 -Crude Divorce Rate معدل الطلاق الخام
237 -Cult عباده، طائفة دينية
238 -Cultural Anthropology الانثروبولوجيا الثقافية
239 -Cultural Assimilation تمثيل ثقافى
240 -Cultural Capital رأس المال الثقافى
241 -Cultural Diffusion انتشار ثقافى
242 -Cultural Integration تكامل ثقافى
243 -Cultural Lag تخلف ثقافى
244 -Cultural Materialism المادية الثقافية
245 -Cultural Pluralism تعددية ثقافية
246 -Cultural Relativism نسبية ثقافية
247 -Cultural Studies الدراسات الثقافية
248 -Cultural Theory النظرية الثقافية
249 -Culture ثقافة
250 -Culture and Personality School مدرسة الثقافة والشخصية
251 -Culture Area منطقة ثقافية
252 -Culture of Poverty ثقافة الفقر
253 -Culture Shock صدمة ثقافية
254 -Curriculum منهج مدرسى
255 -Customs عادات اجتماعية
256 -Cyber Society المجتمع السبرنطيقى (ذو أنساق الاتصال والضبط الآلية)
257 -Cybernetic Hierarchy التدرج السبرنطيقى
258 -Cybernetics السيبرنطيقا
259 -Cycle of Deprivation دورة الحرمان
260 -Cyclical Change تغير دورى
261 -Cyclical Unemployment بطالة دورية

(D)

262 -Darwinism, Social	الداروينية الاجتماعية
263 -Data	بيانات، معلومات
264 -Data Archive, Data Bank	أرشيف معلومات، بنك معلومات
265 -De Facto segregation	الفصل الفعلى
266 -De Jure Segregation	الفصل القانونى
267 -Death-Rate	معدل الوفيات
268 -Decarceration	التخلص من الحجز، (التخليص)
269 -Decision Making	صنع القرار
270 -Deconstruction	تحلل البنية
271 -Deduction, Deductive	قياس، قياسى
272 -Defence Mechanisms	حيل دفاعية
273 -Deference	إذعان
274 -Deferred Gratification	اشباع مرجأ/ مؤجل
275 -Definition of the Situation	تعريف الموقف
276 -Deindustrialization	تراجع التصنيع (خاصة فى القطاعين الأولى والثانوى)
277 -Delinquency	جناح
278 -Democracy	ديموقراطية
279 -Democratic Socialism	الاشتراكية الديموقراطية
280 -Demographic Transition	تحول ديموجرافى
281 -Demography	ديموجرافيا
282 -Density	الكثافة
283 -Dependence, Dependency	تبعية -اعتماد- إعالة
284 -Dependency Ratio	معدل الإعالة
285 -Dependency Theory	نظرية التبعية
286 -Dependent Population	السكان المعالون
287 -Dependent Variable	متغير تابع
288 -Depression, Clinical Depression	الاكتئاب، الاكتئاب الاكلينيكى
289 -Deprivation	حرمان
290 -Descent Theory	نظرية النسب (أو الانحدار القرابى)

291 -Descriptive Statistics	إحصاء وصفى
292 -Desires	رغبات
293 -Despotism	استبداد، حكم مطلق
294 -Determinism	حتمية
295 -Development, Sociology of	علم اجتماع التنمية
296 -Development, Uneven	التنمية المتفاوتة
297 -Development Banks	بنوك التنمية
298 -Deviance	إنحراف
299 -Deviance Career	سلك الإنحراف
300 -Deviant Subculture	ثقافة إنحراف فرعية
301 -Diachrony	تتابع (تسلسل تاريخى)
302 -Dialect, Dialectical Materialism	جدل، مادية جدلية
303 -Diaspora	الشتات
304 -Diaspora Identities	هويات الشتات
305 -Dichotomy	ثنائية
306 -Dictatorship of The Proletariat	ديكتاتورية البروليتاريا
307 -Differential Association	المخالطة الفارقة
308 -Differential Opportunity Structure	بناء الفرصة المتفاوتة
309 -Diffusion, Diffusionism	انتشار، مذهب الانتشار
310 -Direct Correlation	ارتباط مباشر
311 -Direct Democracy	ديموقراطية مباشرة
312 -Disability	عجز
313 -Disarmament	نزع السلاح
314 -Disasters, Sociological Aspects of	الجوانب الاجتماعية للكوارث
315 -Discourse Analysis	تحليل الخطاب
316 -Discrimination	تمييز، تفرقة
317 -Discursive Formation	تكوين الخطاب
318 -Disease	مرض
319 -Disequilibrium	اختلال، لا توازن
320 -Dispersion, Measures of	مقاييس التشتت

321 -Displacement	إزاحة
322 -Distribution (Statistical or Frequence)	توزيع (احصائى أو تكرارى)
323 -Distributive Justice	عدالة التوزيع
324 -Distributive Power	قوة موزعة
325 -Divination	عرافة
326 -Division of Labour	تقسيم العمل
327 -Divorce	طلاق
328 -Divorce-Rate	معدل الطلاق
329 -Documentary Research	بحوث وثائقية
330 -Domestic Colonialism	الاستعمار الداخلى
331 -Domestic Division of Labour	تقسيم العمل المنزلى
332 -Domestic Labour	العمل المنزل
333 -Domestic Violence	العنف الأسرى
334 -Dominant Culture	ثقافة مسيطرة
335 -Domination	سيطرة، هيمنة.
336 -Dramaturgy, Dramaturgical Perspective	الفن المسرحى، المنظور المسرحى
337 -Dream Work	عمل الحلم (تحليل نفسى)
338 -Drinking and Alcoholism	شرب الكحوليات وإدمان الخمر
339 -Drives, Innate and Acquired	الدوافع (المورثة والمكتسبة)
340 -Drug Addiction	ادمان المخدرات
341 -Dual Economy	اقتصاد ثنائى
342 -Dualism	ثنائية، ازدواجية
343 -Dysfunction, Dysfunctional	اختلال وظيفى

(E)

344 -Ecological Competition	منافسة بيئية
345 -Ecological Fallacy	الوهم البيئى
346 -Ecological Invasion	غزو بيئى
347 -Ecological Succession	تتابع بيئى
348 -Ecology	ايكولوجيا، علم البيئة

349 -Econometrics	القياس الاقتصادى أو الاقتصاد القياسى
350 -Economic Activity	نشاط اقتصادى
351 -Economic Determinism	حتمية اقتصادية
352 -Economic Development	تنمية اقتصادية
353 -Economic Growth	نمو اقتصادى
354 -Economic Life, Sociolgy of	علم الاجتماع الاقتصادى
355 -Economic Man	الإنسان الاقتصادى
356 -Economics	علم الاقتصاد
357 -Education, Sociology of	علم الاجتماع التربوى
358 -Efficiency	كفاءة، كفاية، قدرة
359 -Egalitarianism	مذهب المساواة
360 -Ego	الأنا
361 -Egocentrism	أنانية (تمركز حول الذات)
362 -Egoism	أثرة، أنانية
363 -Elite, Elite Theory	الصفوة، نظرية الصفوة
364 -Emigration	الهجرة النازحة
365 -Emotion, Sociology of	الدراسة الاجتماعية للعواطف
366 -Emotional Labour	العمل العاطفى المأجور
367 -Empathy	التقمص الوجدانى
368 -Empirical	إمبيريقى (تجربى)
369 -Empiricism	(النزعة) الإمبيريقية
370 -Empiricism, Logical	(النزعة) الإمبيريقية المنطقية
371 -Employment	عمالة / تشغيل
372 -Employment Status	الحالة العملية
373 -Enclave	جيب (اقتصادى أو اجتماعى)
374 -Enculturation	تنشئة ثقافية، تكيف ثقافى
375 -Endogamy	زواج داخلى (إضواء)
376 -Enlightenment, The	عصر التنوير
377 -Entrepreneur	منظم
378 -Environment	بيئة

English	Arabic
379 -Environmental Sociology	علم الاجتماع البيئى
380 -Epidemiology	علم الوبائيات
381 -Epistemology	نظرية المعرفة
382 -Equality of Opportunity	تكافؤ الفرص
383 -Equality, Social	مساواة اجتماعية
384 -Equilibrium, Social	التوازن الاجتماعى
385 -Equity Theory	نظرية العدالة الطبيعية
386 -Error	خطأ (فى المعاينة وفى غير المعاينة)
387 -Ethics	الأخلاق
388 -Ethnic Group	جماعة إثنية (سلالية)
389 -Ethnicity	إثنية
390 -Ethnocentrism	التمركز حول السلالة (المركزية السلالية)
391 -Ethnography	الإثنوجرافيا
392 -Ethnomedicine	الطب السلالى
393 -Ethnomethodology	الإثنوميثودولوجيا (منهجية الجماعة)
394 -Eugenics	علم تحسين النسل
395 -Evaluation Research	بحوث تقويمية
396 -Event-History Analysis	تحليل تاريخ الحدث
397 -Everyday Life, Sociologies of	الدراسات الاجتماعية للحياة اليومية
398 -Evolutionary Universals	العموميات التطورية
399 -Evolutionism, Evolutionary Theory	مذهب التطور، النظرية التطورية
400 -Exchange	تبادل
401 -Exchange Theory	نظرية التبادل
402 -Exchange Value	قيمة تبادلية
403 -Exclusion, Social	استبعاد اجتماعى
404 -Existential Sociology	علم الاجتماع الوجودى
405 -Existentialism	المذهب الوجودى/ الوجودية
406 -Exogamy	زواج اغترابى (من خارج الجماعة)
407 -Experiment	تجربة
408 -Experimental Control	ضبط تجريبى

409 -Experimental Design	تصميم تجريبى
410 -Experimental Method	المنهج التجريبى
411 -Explanation	تفسير
412 -Extroversion and Introversion	انبساط وانطواء

(F)

413 -Face-To-Face Interaction	تفاعل مباشر (وجها لوجه)
414 -Fact, Social	ظاهرة اجتماعية
415 -Factor Analysis	تحليل عاملى
416 False Consciousness	وعى زائف
417 -Family, Conjugal	الأسرة الزواجية
418 -Family, Extended	الأسرة الممتدة
419 -Family, Nuclear	الأسرة النووية
420 -Family, Sociology of	علم الاجتماع العائلى
421 -Fatherhood	الأبوة
422 -Fecundity	الخصوبة البيولوجية
423 -Feedback	التغذية (المرتدة)
424 -Femininity	الأنوثة
425 -Feminism	الحركة النسوية (النسائية)
426 -Fertility	الخصوبة
427 -Fertility Rate	معدلات الخصوبة
428 -Feudalism	الإقطاعية (النظام الإقطاعى)
429 -Field Experiment	تجربة ميدانية
430 -Fieldwork	العمل الميدانى
431 -Figurational Sociology	علم الاجتماع التشكيلى (المعتمد على فكرة التشكيل)
432 -First World	العالم الأول
433 -Fixed Choice Question	السؤال ذو الاختيارات الثابتة (المحددة)
434 -Flexible Employment	التشغيل المرن
435 -Flexible Employment	الإنتاج المرن
436 -Flexible Specialization	التخصص المرن
437 -Flexible Work	العمل المرن

438 -Folk Society	المجتمع الشعبى
439 -Folk-Urban continuum	المتصل الشعبى الحضرى
440 -Folkways	العادات الشعبية
441 -Food, Sociological Studies of	الدراسة الاجتماعية للطعام
442 -Forces of Production	قوى الإنتاج
443 -Fordism	الفودرية (نظام الإنتاج الرأسمالية المتقدم)
444 -Foreign Aid	معونة أجنبية
445 -Formal Justice	العدالة الصورية
446 -Formal Organization	التنظيم الرسمى
447 -Formal Structure	البناء الرسمى
448 -Formalism, Formal Sociology	الصورية، علم الاجتماع الصورى
449 -Frame, Framing, Frame Analysis	إطار، وضع الاطار، تحليل الإطار
450 -Frnkfurt School	مدرسة فرانكفورت (فى النظرية الاجتماعية)
451 -Free Market	سوق حر
452 -Friendship	صداقة
453 -Function	وظيفة
454 -Function, Latent	الوظيفة الكامنة
455 -Function, Manifest	الوظيفة الظاهرة
456 -Functional Equivalents	المعادل الوظيفى
457 -Functional Flexibility	المرونة الوظيفية
458 -Functional Imperatives	الضرورات الوظيفية
459 -Functional Prerequisites	المتطلبات الوظيفية
460 -Fundamentalism (Religious)	الأصولية (الدينية)
461 -Futurology	دراسة المستقبل، علم المستقبل

(G)

462-Game Theory	نظرية اللعب
463-Gangs	عصابات، زمرات
464-Gemeinschaft and Gesellschaft	المجتمع المحلى والمجتمع (تونيز)
465-Gender	النوع
466-Gender Discrimination	التمييز على أساس النوع

467-Gender Roles	أدوار الجنسين
468-Gender Segregation (in Employment)	التحيز الجنسى (فى العمل)
469-Gender Stereotypes	الصور النمطية للنوع
470-Gene, Genotype	المورّث، النمط الوراثى
471-Genealogy	سلسلة نسب، علم الأنساب
472-General Fertility Rate	معدل الخصوبة العام (الخام)
473-Generation	جيل
474-Genetics	علم الوراثة
475-Genocide	إبادة جماعية
476-Gerontocracy	حكم كبار السن
477-Gerontology	علم الشيخوخة
478-Gestalt Theory	نظرية الجشطالت
479-Gesture	إيماءة، إشارة
480-Ghetto	جيتو
481-Globalization	العولمة
482-Globalization Theory	نظرية العولمة
483 -Goal	هدف
484 -Grand Theory	نظرية كبرى
485 -Graph Theory	نظرية بيانية
486 -Green Revolution	ثورة خضراء
487 -Gross National Product	الناتج القومى الاجمالى، اجمالى الناتج القومى
488 -Group	جماعة
489 -Group, Primary	جماعة أولية
490 -Group, Status	جماعة المكانة
491 -Group Dynamics	ديناميات الجماعة
492 -Group Marriage	زواج الجماعة
493 -Group Therapy	علاج جماعى
494 -Group Work	خدمة الجماعة
495 -Guilds	طوائف حرفية

(H)

496 -Habitus	الطابع الاجتماعى الثقافى (بورديو)
497 -Health and Illness, Sociology of	الدراسة الاجتماعية للصحة والمرض
498 -Hegemony	هيمنة
499 -Heredity	وراثة
500 -Hermeneutic Circle	دائرة التأويل
501 -Hermeneutics	التأويل
502 -Heterosexism	الجنسية الغيرية
503 -Hidden Crime	جريمة خفية
504 -Hidden Curriculum	المنهج الخفى
505 -Historical Demography	الديموجرافيا التاريخية
506 -Historical Materialism	المادية التاريخية
507 -Historical Sociology	علم الاجتماع التاريخى
508 -Historicism	(النزعة) التاريخية
509 -Homework, Homeworking	العمل فى المنزل
510 -Homosexuality	الجنسية المثلية
511 -Household	عائلة، أسرة معيشية
512 -Household Allocative System	نظام توزيع الموارد داخل الأسرة
513 -Household Dynamics	الديناميات المنزلية
514 -Household Work Strategy	توزيع العمل المنزلى
515 -Housework, Sociology of	الدراسة الاجتماعية للعمل المنزلى
516 -Housing, Sociology of	الدراسة الاجتماعية للإسكان، سوسيولوجيا الإسكان
517 -Human -Capital Theory	نظرية رأس المال البشرى
518 -Human Ecology	الإيكولوجيا البشرية
519 -Human Geography	الجغرافيا البشرية
520 -Human Rights	حقوق الإنسان
521 -Humanism	المذهب الإنسانى
522 -Humanistic Sociology	الاتجاهات الإنسانية فى علم الاجتماع
523 -Hunting and Gathering Societies	مجتمعات الصيد والالتقاط
524 -Hyper-Inflation	التضخم الجامح (أو المفرط)

525 -Hypothesis	الفرض
526 -Hypothesis Testing	اختبار الفرض
527 -Hypthesis,Null	الفرض الصفرى
528 -Hypothetico - Deductive Method	المنهج الاستنباطى الفرضى

(I)

529 -Ideal Type	نموذج مثالى، نمط مثالى
530 -Idealism	(النزعة) المثالية
531 -Identity	هوية
532 -Identity Crisis	أزمة هوية
533 -Ideological State Apparatus	أجهزة الدولة الإيديولوجية
534 -Ideology	الإيديولوجيا
535 -Images of Society	صور المجتمع، تصورات المجتمع
536 -Imperialism	الإمبريالية
537 -Impression Formation	تكوين الانطباع
538 -Impression Management	التحكم فى الانطباع
539 -Incarceration	الحجز (فى سجن أو مستشفى)
540 -Incentive Payments	الأجور التشجيعية
541 -Incest Taboo	تحريم الزنا بالمحارم
542 -Income Distribution	توزيع الدخل
543 -Incorporation	اندماج
544 -Independence	استقلال (إحصائى)
545 -Independent Variable	متغير مستقل
546 -Index	مؤشر، دليل تجميعى
547 -Indicator	مؤشر
548 -Individualism	الفردية (مذهب)
549 -Induction	استقراء
550 -Industrial Action	العمل (النقابى) الصناعى
551 -Industial Capitalism	الرأسمالية الصناعية
552 -Industrial Conflict	الصراع الصناعى
553 -Industrial Democracy	الديموقراطية الصناعية

554 -Industrial Relations	العلاقات الصناعية
555 -Industrial Revolution, The	الثورة الصناعية
556 -Industrial Sector	القطاع الصناعى
557 -Industrial Society	المجتمع الصناعى
558 -Industrial Sociology	علم الاجتماع الصناعى
559 -Industrialism, Industrialization	الصناعية، التصنيع
560 -Industry, Sociology of	علم الاجتماع الصناعى
561 -Inequality, Social	اللامساواة الاجتماعية
562 -Infancy, Infant Development	مرحلة الرضاعة، نمو الرضيع
563 -Infant Mortality Rate	معدل وفيات الأطفال الرضع
564 -Inflation	تضخم
565 -Informal Care	رعاية غير رسمية
566 -Informal Economy	الاقتصاد غير الرسمى
567 -Informal Social Controls	ضوابط اجتماعية غير رسمية
568 -Informant	إخبارى
569 -Information Society	مجتمع المعلومات
570 -Information Technology	تكنولوجيا المعلومات
571 -In-Group	جماعة داخلية
572 -Initiation Rites	طقوس التكريس
573 -Inner City	وسط المدينة
574 -Inner-Directedness	التوجه نحو الذات، التوجه للداخل
575 -Instincts	غرائز
576 -Institution, Social	نظام اجتماعى - مؤسسة اجتماعية
577 -Institutionalized Discrimination	تنظيم أو (تأسيس) التحيز الاجتماعى
578 -Instrumental Reason	التفكير الذرائعى
579 -Instrumental Tie	رابطة نفعية
580 -Instrumentalism	الذرائعية
581 -Integration	تكامل (اجتماعى)
582 -Intellectuals	المثقفون
583 -Intelligence	ذكـــاء

584 -Intelligentsia	انتلجنسيا (طليعة المثقفين)
585 -Interaction	تفاعل
586 -Interactionism, Interactionist Perspective	التفاعلية، المنظور التفاعلى
587 -Interest Group	جماعات المصلحة
588 -Interests	مصالح
589 -Intergenerational Mobility	حراك جيلى
590 -Intermediate Technology	تكنولوجيا وسيطة
591 -Internal Migration	هجرة داخلية
592 -International Division of Labour	تقسيم العمل الدولى
593 -Internet	الإنترنت
594 -Interpretation, Interpretive Sociology	تفسير، تأويل، علم الاجتماع التأويلى
595 -Intervening Variable	متغير وسيط
596 -Interview	مقابلة، استبار
597 -Intragenerational Mobility	حراك فى نفس الجيل
598 -Introspection	الاستبطان
599 -Introversion	انطواء
600 -Invasion - Succession model	نموذج الغزو والتتابع
601 -Inverse Correlation	ارتباط عكسى
602 -Invisible Religion	الدين الخفى

(J)

603 -Job Satisfaction	الإشباع الوظيفى
604 -Joking Relationships	علاقات المزاح
605 -Justice, Social	عدالة اجتماعية
606 -Juvenile Delinquency	جناح الأحداث

(K)

607-Kibbutzim	كيبوتز
608-Kinesics	علم الحركة

609-Kinship	قرابة
610-Knowledge, Sociology of	علم الاجتماع المعرفى

(L)

611 -Labelling Theory	نظرية الوصم
612 -Labour	عمل
613 -Labour-Market	سوق العمل
614 -Labour Market Flexibility	مرونة سوق العمل
615 -Labour Market Segmentation	تجزؤ سوق العمل
616 -Labour Movement	الحركة العمالية
617 -Labour Power	قوة العمل
618 -Labour Relations	علاقات العمل
619 -Labour Union	نقابة عمالية
620 -Laissez-Faire Economics	الاقتصاد الحر
621 -Language	لغة
622 -Latent Function	وظيفة كامنة
623 -Law, Sociology of	علم الاجتماع القانونى
624 1070-Learning Difficulties	صعوبات التعلم
625 1071-Learning Theory	نظرية التعلم
626 -Legitimacy, Legitimation	شرعية، إضفاء الشرعية
627 -Legitimation Crisis	أزمة الشرعية
628 -Leisure, Sociological Studies of	الدراسات الاجتماعية لوقت الفراغ
629 -Lesbian and Gay Studies	دراسات السحاقيات والشواذ
630 -Less Developed Countries	البلاد النامية
631 -Levels of Measurement	مستويات القياس
632 -Liberalism	مذهب الحرية، التحررية
633 -Life-Chances	فرص الحياة
634 -Life-Course	دورة العمر
635 -Life-Cycle	دورة الحياة
636 -Life-Event	حدث (مهم) فى الحياة
637 -Life-Expectancy	توقع أمد الحياة

638 -Life-History	تاريخ الحياة
639 -Life-Style	أسلوب المعيشة
640 -Life-World	عالم الحياة
641 -Linear Correlation	إرتباط مستقيم
642 -Linear Growth	نمو خطى (مستقيم)
643 -Linear Regression	انحدار مستقيم
644 -Linguistics	علم اللغة
645 -Longitudinal Study	دراسة طولية
646 -Lumpen Blurgeoisie	البورجوازية الرثة
647 -Lumpen Proletariat	البروليتاريا الرثة

(M)

648 -McDonalization	مجتمع الماكدونالد
649 -Macrosociology	الماكروسوسيولوجيا، الدراسة السوسيولوجية للوحدات الكبرى
650 -Magic, Witcharaft and Sorcery	سحر، شعوذة، السحر (الضار)
651 -Management	الإدارة
652 -Management of Knowledge	إدارة المعرفة
653 -Managerial Revolution	الثورة الإدارية
654 -Manifest Function	وظيفة ظاهرة
655 -Marginalization	تهميش
656 -Market	سوق
657 -Market Economy	اقتصاد السوق
658 -Marriage	زواج
659 -Mass Communication	الاتصال الجماهيرى
660 -Mass Culture	ثقافة جماهيرية
661 -Mass Media, Sociology of	الدراسة الاجتماعية لوسائل الاتصال
662 -Mass Observation	ملاحظة الأعداد الكبيرة
663 -Mass Society	مجتمع جماهيرى
664 -Master Status	المكانة الغالبة
665 -Material Culture	ثقافة مادية
666 -Materialism	مادية

667 -Materialism, Dialectical	المادية الجدلية
668 -Maternal Mortality Rate	معدل وفيات الأمهات
669 -Mathematical Sociology	علم الاجتماع الرياضى
670 -Matriarchy	نظام سلطة الأم
671 -Mean	متوسط، الوسط الحسابى
672 -Meaning, Meaningful Action	معنى، فعل له معنى
673 -Means of Production	وسائل الانتاج
674 -Measurement	قياس
675 -Measures of Dispersion	مقاييس التشتت
676 -Measures of Similarity and Dissimilarity	مقاييس التشابه والاختلاف
677 -Mechanical Solidarity	التضامن الآلى
678 -Media	وسائل الاتصال
679 -Medical Model	نموذج طبى
680 -Medical Sociology	علم الاجتماع الطبى
681 -Medicine, Sociology of	علم الاجتماع الطبى
682 -Megalopolis	مدينة ضخمة
683 -Mercantile Capitalism	رأسمالية تجارية
684 -Mercantilism	مذهب التجاريين
685 -Meritocracy	نظام الحكم لأهل الكفاءة، نظام الجدارة
686 -Messianic Movement	حركة إنقاذ دينى
687 -Meta-Narrative	نسق التفسير
688 -Metaphysics	الميتافيزيقا
689 -Metatheory, Metatheoretical Beliefs	مابعد النظرية، معتقدات ما بعد التنظير
690 -Methodology	علم المناهج، مناهج البحث
691 -Methodology, Feminist	المنهجية النسوية
692 -Metropolis	مدينة كبرى
693 -Metropolis - Satellite Relationship	علاقة المركز والتابع
694 -Metropolitan Area	منطقة متروبوليتانية
695 -Microdata	بيانات جزئية
696 -Microsociology	علم اجتماع الوحدات الصغرى، سوسيولوجيا الجماعات الصغيرة

697 -Middle Class	طبقة وسطى
698 -Middle-Range Theory	نظرية متوسطة المدى
699 -Migration	الهجرة
700 -Military and Militarism, Sociological Studies of	الدراسات السوسيولوجية العسكرية (علم الاجتماع العسكرى)
701 -Military Capitalism	الرأسمالية العسكرية
702 -Minority Group	جماعة أقلية
703 -Mixed Economy	اقتصاد مختلط
704 -Mob	غوغاء
705 -Mobility, Social	الحراك الاجتماعى
706 -Mode	المنوال
707 -Mode of Production	نمط الانتاج
708 -Model	نموذج
709 -Modelling	بناء النماذج
710 -Modernism	الحداثة
711 -Modernity	عصرية
712 -Modernization Theory	نظرية التحديث
713 -Monogamy	الزواج الأحادى
714 -Monopoly	احتكار
715 -Monopoly Capitalism	الرأسمالية الاحتكارية
716 -Moral Career	السلك المهنى الأخلاقى
717 -Moral Community	مجتمع أخلاقى
718 -Mores	سنن أخلاقية
719 -Mortality Rate	معدل الوفيات
720 -Motherhood	أمومة
721 -Motive, Motivatio	دافع، دافعية
722 -Multi-Cultural Society	مجتمع متعدد الثقافات
723 -Multinational Corporations	شركات متعددة الجنسية
724 -Multivariate Analysis	التحليل المتعدد المتغيرات
725 -Myth	أسطورة، خرافة

(N)

726 -National Bourgeoisie	البورجوازية القومية
727 -National Character	الشخصية القومية، الطابع القومى
728 -National Socialism	الاشتراكية القومية
729 -Nationalism	القومية
730 -Naturalism	المذهب الطبيعى
731 -Nature Versus Nurture Debate	قضية العلاقة بين الوراثة والبيئة
732 -Need	حاجة
733 -Negative Correlation	ارتباط سالب
734 -Neighbourhood	جيرة
735 -Neo-Colonialism	الاستعمار الجديد
736 -Neo-Imperialism	الامبريالية الجديدة
737 -Neo-Liberalism	الليبرالية الجديدة
738 -Neo-Marxism	الماركسية الجديدة
739 -Neonatal Mortality Rate	معدل وفيات المواليد المبكرة
740 -Neo-Positivism	الوضعية المحدثة
741 -Net Mobility	الحراك الصافى
742 -Network, Social	شبكة اجتماعية
743 -New Left	اليسار الجديد
744 -New Middle Class	الطبقة الوسطى الجديدة
745 -New Right	اليمين الجديد
746 -New Social Movements	الحركات الاجتماعية الجديدة
747 -New Structuralism	البنيوية الجديدة
748 -Newly Industrializing Countries	البلاد الحديثة التصنيع
749 -Non-Material Culture	ثقافة لا مادية
750 -Norm,Normative	معيار، معيارى
751 -Normal Curve	منحنى معتدل
752 -Normal Distribution	توزيع اعتدالى
753 -Normative Theory	نظرية معيارية
754 -Null Hypothesis	الفرض الصفرى

(O)

755 -Objective, Objectivism	موضوعى، موضوعية
756 -Observation	ملاحظة
757 -Occupation	مهنة
758 -Occupational Career	السلك المهنى
759 -Occupational Mobility	حراك مهنى
760 -Occupational Prestige	هيبة مهنية
761 -Official Statistics	الإحصاءات الرسمية
762 -Open Response, Open-Ended Question	إجابة مفتوحة، سؤال مفتوح
763 -Open Societies	مجتمعات مفتوحة
764 -Operational Definition	تعريف إجرائى
765 -Operational Model	نموذج إجرائى
766 -Opinion Polls	استطلاعات الرأى
767 -Oral History	التاريخ الشفاهى
768 -Organic (or Biological) Analogy	المماثلة العضوية أو البيولوجية
769 -Organic Solidarity	تضامن عضوى
770 -Organization	تنظيم
771 -Organization, Formal	التنظيم الرسمى
772 -Organization Theory	(نظرية)التنظيم
773 -Organizational Culture	ثقافة تنظيمية
774 -Organized Crime	الجريمة المنظمة
775 -Oriental Despotism	الاستبداد الشرقى
776 -Out Group	جماعة خارجية
777 -Over-Urbanization	التحضر الزائد

(P)

778 -Panel Study	دراسة تتبعية
779 -Paradigm, Paradigmatic	نموذج، صيغة، شكل تحليلى
780 -Paradigmatic and Syntagmatic	الإحلالى والتركيبى
781 -Participant Observation	الملاحظة المشاركة
782 -Participatory Democracy	ديموقراطية المشاركة

783 -Paternalism	الأبوية، السلطة الأبوية
784 -Patriarchy	نظام سلطة الأب
785 -Patrilineal	الانتساب للأب
786 -Patron-Client Relationship	علاقة الولى بالتابع
787 -Pattern Variables	متغيرات النمط
788 -Peasants	فلاحون، قرويون
789 -Peer Group	جماعة الرفاق
790 -Penology	علم العقاب
791 -Personal Documents	الوثائق الشخصية
792 -Personal Income	الدخل الشخصى
793 -Personality	الشخصية
794 -Personnel Management	إدارة الأفراد
795 -Petite (or Petty) Bourgeoisie	البورجوازية الصغيرة
796 -Phenomenology, Phenomenological Sociology	الفلسفة الظاهراتية، علم الاجتماع الظاهراتى
797 -Pilot Study	دراسة استطلاعية
798 -Planned economy	اقتصاد مخطط
799 -Plural Social Systems	أنساق اجتماعية تعددية
800 -Plural Societies	مجتمعات تعددية
801 -Pluralism	تعددية
802 -Polarization	استقطاب
803 -Policy Research	بحوث تطبيقية (السياسات)
804 -Political Behaviour	السلوك السياسى
805 -Political Crime	الجريمة السياسية
806 -Political Culture	الثقافة السياسية
807 -Political Economy	الاقتصاد السياسى
808 -Political Parties	الأحزاب السياسية
809 -Political Science	علم السياسة
810 -Political Socialization	التنشئة السياسية
811 -Political Sociology	علم الاجتماع السياسى

812 -Poll	استطلاع رأى، اقتراع
813 -Pop Sociology	الكتابة السوسيولوجية للعامة
814 -Popular Culture	ثقافة جماهيرية، ثقافة شعبية
815 -Population	مجتمع البحث، سكان
816 -Population Studies	دراسات سكانية
817 -Populism	الجماهيرية
818 -Positive Correlation	ارتباط موجب
819 -Positive Discrimination	تمييز إيجابى
820 -Positivism	الوضعية
821 -Post-Industrial Society	مجتمع ما بعد الصناعة
822 -Post-Modernism	ما بعد الحداثة
823 -Post-Structuralism	ما بعد البنيوية
824 -Poverty	الفقر
825 -Poverty Line	خط الفقر
826 -Poverty Trap	مصيدة الفقر
827 -Power	القوة
828 -Power Elite	صفوة القوة
829 -Pargmatism (Philosophy of)	البراجماتية (فلسفة)
830 -Prejudice	تعصب
831 -Pressure Groups	جماعات الضغط
832 -Prestige	هيبة
833 -Primary Group	جماعة أولية
834 -Primary Sector	القطاع الأولى (الأساسى)
835 -Primitive Society	المجتمع البدائى
836 -Privatization	الخصخصة
837 -Production	إنتاج
838 -Productivity	الإنتاجية
839 -Progress	تقدم
840 -Progressive Tax	ضريبة تصاعدية
841 -Prohibition	التحريم، الحظر

842 -Projection	إسقاط
843 -Proletariat	البروليتاريا
844 -Prostitution, Sociological Studies of	الدراسة الاجتماعية للبغاء
845 -Protestant Ethic	الأخلاق البروتستانتية
846 -Psychiatry	الطب النفسى
847 -Psychoanalysis	التحليل النفسى
848 -Psychology	علم النفس
849 -Psychometrics	القياس النفسى
850 -Psychosis	ذهان، المرض العقلى
851 -Psychosomatic Illness	مرض جسمى نفسى (سيكوسوماتى)
852 -Psychotherapy	العلاج النفسى
853 -Public Administration	الإدارة العامة
854 -Public Good, Collective Good	سلعة عامة أو جماعية
855 -Public Interest	الصالح العام
856 -Public Opinion	الرأى العام

(Q)

857-Qualitative Comparative Analysis (QCA)	التحليل الكيفى المقارن
858-Qualitative Versus Quantitative Debate	قضية المناهج الكمية فى مقابل الكيفية
859-Quality of Life	نوعية الحياة
860-Qestionnaire	استبيان
861-Quota Sample	عينة حصية، عينة بالحصة

(R)

862-Race, Sociology of	الدراسة الاجتماعية للأعراق، سوسيولوجيا العنصر (العرق)
863-Racialism, Racism	العنصرية (التعصب للسلالة)
864-Racialization	التشئة العنصرية
865-Random Sample	عينة عشوائية
866-Ranking, Ranking Scales	ترتيب، مقاييس الترتيب
867-Rating	تقدير

868-Rating Scales	مقاييس التقدير
869-Ratio Measurement	قياس النسبة (أو المعدل)
870-Rationalism	المذهب العقلى
871-Rationality, Rational Action	الرشد، فعل رشيد
872-Rationality, Substantive	الرشد الفعلى
873-Rationalization	الترشيد
874-Real Socialism	الاشتراكية الواقعية
875-Realism	الواقعية
876-Rebellion, Revolution	تمرد، ثورة
877-Reductionism	الرد (المنطقى)، الاختزال
878-Reference Group	جماعة مرجعية
879-Reflexive Sociology	علم الاجتماع الانعكاسى، (النقدى)
880-Reflexivity	انعكاسية
881-Reformative Movement	حركة إصلاحية
882-Regression	انحدار (احصائى)
883-Relations of Production	علاقات الإنتاج
884 -Relative Poverty	الفقر النسبى
885 -Relativism	النسبية
886 -Reliability	ثبات (منهجى)
887 -Religion	الدين
888 -Religion, Sociology of	علم الاجتماع الدينى
889 -Religiosity	التدين
890 -Religious innovation	التجديد الدينى
891 -Representation	تصور، تمثيل
892 -Representative Sample	عينة ممثلة
893 -Repression	كبت
894 -Repressive State Apparatus	أجهزة القمع الحكومية
895 -Research Design	تصميم البحث
896 -Research Ethics	أخلاقيات البحث
897 -Research Methods	طرق البحث

898	-Resocialization	إعادة التنشئة الاجتماعية
899	-Respondent	المبحوث، الإخبارى
900	-Response-Rate	معدل الاستجابة
901	-Revitalization Movement	حركة إحيائية
902	-Revolution	ثورة
903	-Rights	الحقوق
904	-Riot	شغب
905	-Risk Society	مجتمع المخاطر
906	-Rites of Passage	شعائر الانتقال أو المرور
907	-Ritual	شعيرة، شعائرى
908	-Role, Social	الدور الاجتماعى
909	-Role, Conjugal	الدور الزواجى
910	-Role Conflict	صراع الدور
911	-Role Playing	أداء الدور، القيام بالدور
912	-Rural Sociology	علم الاجتماع الريفى
913	-Rural-Urban Continuum	المتصل الريفى الحضرى

(S)

914	-Sample, Snowball	عينة كرة الثلج
915	-Sample Selection Bias	تحيز اختيار العينة
916	-Sample Survey	مسح بالعينة
917	-Sampling	معاينة، سحب العينة
918	-Sampling Bias	تحيز المعاينة
919	-Sampling Error	خطأ المعاينة
920	-Sampling Frame	إطار المعاينة
921	-Sampling Weights	أوزان المعاينة
922	-Sanction, Social	الجزاء الاجتماعى
923	-Scales	المقاييس
924	-Scaling	القياس، وضع المقاييس
925	-Science, Sociology of	علم اجتماع العلم
926	-Scientific Knowledge,	سوسيولوجيا المعرفة العلمية، علم اجتماع

Sociology of	المعرفة العلمية
927 -Scientific Management	الادارة العلمية
928 -Scientific Method	المنهج العلمى
929 -Seasonal Unemployment	البطالة الموسمية
930 -Second Industrial Revolution	الثورة الصناعية الثانية
931 -Second World	العالم الثانى
932 -Secondary Analysis	تحليل ثانوى
933 -Secondary Groups	جماعات ثانوية
934 -Secondary Sector	القطاع الثانوى
935 -Sect, Sectarianism	فرقة دينية، نزعة تكوين الفرق الدينية
936 -Secular	علمانى
937 -Secularization	تحول علمانى
938 -Segmentary Societies	مجتمعات انقسامية
939 -Segregated Conjugal Roles	فصل أو تقسيم الأدوار حسب النوع
940 -Segregation	فصل، أو عزل
941 -Selective Versus Universal Benefits	المزايا الخاصة فى مقابل العامة
942 -Self, The Self	الذات، الأنا
943 -Self-Awareness	الوعى بالذات
944 -Self-Conception	تصور الذات
945 -Self-Destroying Prophecy	النبوءة التى تكذب نفسها بنفسها
946 -Self-Fulfilling Prophecy	النبوءة ذاتية التحقيق
947 -Self-Image	صورة الذات
948 -Semiology, Semiotics	علم العلامات، السيميولوجيا، السيميوطيقا
949 -Semi-Periphery	شبه المحيط، أشباه الأطراف
950 -Semi-Proletariat	شبه البروليتاريا
951 -Sequence Analysis	تحليل تتابعى
952 -Service Industries	صناعات الخدمات
953 -Service Sector	قطاع الخدمات
954 -Sex, Sociological Studies of	الدراسة الاجتماعية للجنس
955 -Sex Discrimination	التحيز للنوع (ذكر أو أنثى)

956	-Sex-Ratio	نسبة النوع
957	-Sex Roles	أدوار نوعية (للرجال أو النساء)
958	-Significance Tests	اختبارات الدلالة
959	-Simple Random Sampling	معاينة عشوائية بسيطة
960	-Slavery	الرق
961	-Snowballing Technique	طريقة كرة الثلج
962	-Snowball Sample	عينة كرة الثلج
963	-Social Action	الفعل الاجتماعى
964	-Social Administration	الإدارة الاجتماعية
965	-Social Anthropology	الأنثروبولوجيا الاجتماعية
966	-Social Behaviorism	النزعة السلوكية الاجتماعية
967	-Social Capital	رأس المال الاجتماعى
968	-Social Categories	فئات اجتماعية
969	-Social Constructionism	النزعة التصورية الاجتماعية
970	-Social Contract	عقد اجتماعى
971	-Social Contorl	ضبط اجتماعى
972	-Social Differentiation	التمايز الاجتماعى
973	-Social Distance	المسافة الاجتماعية
974	-Social Dynamics and Social Statics	الديناميكا الاجتماعية والاستاتيكا الاجتماعية
975	-Social Ecology	الإيكولوجيا الاجتماعية
976	-Social Equality	المساواة الاجتماعية
977	-Social Evolution	التطور الاجتماعى
978	-Social Exchange	التبادل الاجتماعى
979	-Social Fact	الظاهرة الاجتماعية
980	-Social Forecasting	التنبؤ الاجتماعى
981	-Social Formation	تكوين اجتماعى
982	-Social Geography	الجغرافيا الاجتماعية
983	-Social Group	جماعة اجتماعية
984	-Social History	التاريخ الاجتماعى

985 -Social Identity Theory	نظرية الهوية الاجتماعية
986 - Social Indicators	المؤشرات الاجتماعية
987 -Social Interaction	التفاعل الاجتماعى
988 -Social Institution	نظام اجتماعى
989 -Social Movements	حركات اجتماعية
990 -Social Needs	حاجات اجتماعية
991 -Social Order	النظام الاجتماعى
992 -Social Organization	تنظيم اجتماعى
993 -Social Pathology	الباثولوجيا الاجتماعية
994 -Social Policy	السياسة الاجتماعية
995 -Social Problems	المشكلات الاجتماعية
996 -Social Protest	احتجاج اجتماعى
997 -Social Psychology	علم النفس الاجتماعى
998 -Social Revolution	ثورة اجتماعية
999 -Social Science	علم اجتماعى
1000 -Social Security	ضمان اجتماعى
1001 -Social Solidarity	تضامن اجتماعى
1002 -Social Stability	استقرار اجتماعى
1003 -Social Statics and Social Dynamics	الاستاتيكا الاجتماعية والديناميكا الاجتماعية
1004 -Social Statistics	الإحصاءات الاجتماعية
1005 -Social System	نسق اجتماعى
1006 -Social Trend	اتجاه (تيار) اجتماعى
1007 -Social Work	الخدمة الاجتماعية
1008 -Socialism	الاشتراكية
1009 -Socialization	التنشئة الاجتماعية
1010 -Society	المجتمع
1011 -Sociobiology	البيولوجيا الاجتماعية
1012 -Sociogram	خريطة العلاقات الاجتماعية
1013 -Sociolinguistics	علم اللغة الاجتماعى

1014 -Sociological Imagination	الخيال السوسيولوجى
1015 -Sociological Intervention	تدخل عالم الاجتماع
1016 -Sociologie du Travail	سوسيولوجيا العمل، علم اجتماع العمل
1017 -Sociology	علم الاجتماع
1018 -Sociomatrix	مصفوفة العلاقات الاجتماعية
1019 -Sociometry	القياس الاجتماعى
1020 -Sponsored Mobility	الحراك الميسّر
1021 -SPSS (the Statistical Package For The Social Sciences)	الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية
1022 -State	الدولة
1023 -State Capitalism	رأسمالية الدولة
1024 -State Socialism	اشتراكية الدولة
1025 -Statistics	الإحصاء
1026 -Status, Social	مكانة اجتماعية
1027 -Status, Achieved	مكانة مكتسبة
1028 -Status, Ascribed	مكانة موروثة
1029 -Status Group	جماعة المكانة
1030 -Status Set	مركب المكانة
1031 1939-Stereotype	صورة نمطية، نمط ثابت
1032 -Stigma	وصمة
1033 -Stratificaion	تدرج طبقى
1034 -Stratified Sample	عينة طبقية
1035 -Stress	ضغط، مشقة
1036 -Strike	إضراب
1037 -Structural Adjustment	التكيف الهيكلى
1038 -Structural Differentiation	التفاوت البنائى
1039 -Structural Equations	معدلات هيكلية
1040 -Structural Functionalism	الوظيفية البنائية
1041 -Structural Mobility	الحراك البنائى
1042 -Structural Unemployment	البطالة البنائية

1043 -Structuralism	البنيوية، البنائية
1044 -Structuration	الصياغة البنائية
1045 -Structure, Social	البناء الاجتماعى
1046 -Structured Interview	المقابلة المقننة
1047 -Structured Questionnaire	استبيان مقنن
1048 -Subculture	ثقافة فرعية
1049 -Subemployment	بطالة جزئية
1050 -Subject, the	الموضوع (الفاعل)
1051 -Subjectivity	الذاتية
1052 -Subsistence Economy	اقتصاد الكفاف، اقتصاد الاعاشة
1053 -Suburbanization	سكنى الضواحى
1054 -Suicide	الانتحار
1055 -Superstructure	البناء الفوقى
1056 -Surplus Value	فائض القيمة
1057 -Survey, Social	مسح اجتماعى
1058 -Sustainable Development	التنمية المستدامة
1059 -Symbol	رمز
1060 -Symbolic Interactionism	التفاعلية الرمزية
1061 -Syntagmatic and Paradigmatic	التركيبى، والإحلالى
1062 -Synthesis	التركيب
1063 -Systems Theory, Systems Analysis	نظرية النظم، تحليل النظم

(T)

1064 -Taboo	تابو، محرم
1065 -Taxonomy	تصنيف
1066 -Technocracy	حكم التكنوقراط
1067 -Technology	تكنولوجيا
1068 -Theory, Social	النظرية الاجتماعية
1069 -Thick Description	الوصف المكثف (التفصيلى)
1070 -Third World	العالم الثالث
1071 -Time, Sociological Study of	الدراسة الاجتماعية للزمن

1072 -Time-and-Motion Studies	دراسات الزمن والحركة
1073 -Time-Budget Studies	دراسات ميزانية الوقت
1074 -Totalitarian, Totalitarianism	شمولى، شمولية (مذهب تجميع السلطة)
1075 -Totemism	التوتمية
1076 -Trade Cycle	دورة تجارية
1077 -Trade Union	نقابة عمالية
1078 -Tradition, Traditions	تراث، تقاليد
1079 -Traditional Society	مجتمع تقليدى
1080 -Training, Sociology of	الدراسة الاجتماعية للتدريب، علم اجتماع التدريب
1081 -Trait	سمة
1082 -Transformative Movement	حركة تغيير جذرى (تحويل)
1083 -Typology	تنميط

(U)

1084 -Unconscious	اللاشعور
1085 -Underclass	الطبقة الدنيا
1086 -Under-Development	التخلف
1087 -Underemployment	بطالة جزئية
1088 -Understanding	فهم
1089 -Under-Urbanization	نقص التحضر، التحضر الناقص
1090 -Unemployment	بطالة
1091 -Uneven Development	التنمية المتفاوتة، تفاوت النمو
1092 -Unstructured Interview	مقابلة غير مقننة
1093 -Upper Class	الطبقة العليا
1094 -Urban Ecology	الإيكولوجيا الحضرية
1095 -Urban Sociology	علم الاجتماع الحضرى
1096 -Urbanism	الحضرية
1097 -Urbanization	تحضر
1098 -Use Value	قيمة استعمالية
1099 -Utilitarianism	مذهب المنفعة
1100 -Utility	منفعة

1101 -Utopia, Utopianism	يوتوبيا (الفكر الخيالى)، النزعة اليوتوبية

(V)

1102-Validity	صدق
1103-Value	قيمة
1104-Value Freedom	التحرر من القيمة
1105-Value-Judgements	أحكام قيمية
1106-Value-Neutrality	حياد قيمى
1107-Variable	متغير
1108-Variables Paradigm	نموذج المتغيرات
1109-Variance	تباين
1110-Variation (Statistical)	تباين، تنوع (إحصائى)
1111-Verification	تحقق
1112-Verstehen	فهم (عند فيبر)
1113-Visual Sociology	علم الاجتماع البصرى (استعانة علم الاجتماع بالتصوير الفوتوغرافى)
1114-Vital Statistics	الإحصاءات الحيوية
1115-Voluntary Associations	المنظمات الطوعية (الاختيارية)

(W)

1116-Wage-Labour	العمل المأجور (بأجر)
1117-Wants	حاجات
1118-Wealth	ثروة
1119-Welfare, Sociology of Welfare	رفاهية، علم اجتماع الرفاهية
1120-Welfare Goods	سلع الرفاهية
1121-Welfare Programme, Welfare Provision	برنامج الرفاهية، خطة الرفاهية
1122-Welfare Rights	حقوق الرفاهية
1123-Welfare State	دولة الرفاهية
1124-Weltanschanung	رؤية العالم، فلسفة الحياة
1125-White-Collar Crime	جرائم الخاصة
1126-White-Collar Work	العمل غير اليدوى

1127-Work	العمل
1128-Work Ethics	أخلاقيات العمل
1129-Work Groups	جماعات العمل
1130-Work Orientation	التوجه تبعاً للعمل
1131-Work Satisfaction	إشباع العمل
1132-Work Situation	حالة العمل، الحالة العملية
1133-Work Socialization	تنشئة العمل
1134-Working Class	الطبقة العاملة
1135-World-System, World Systems Theory	النظام العالمى، نظرية النظام العالمى
1136-World-Wide Web	شبكة (اتصالات) عالمية

(Y)

1137-Youth Culture	ثقافة الشباب

إصدارات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية

كلية الآداب - جامعة القاهرة

*****

١- البيليوجرافيا الشارحة للترجمات العربية فى علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، إشراف أحمد زايد، ١٩٩٧.

٢- الملخصات السوسيولوجية العربية: من الأول وحتى السابع، إشراف أحمد زايد، ١٩٩٧.

٣- الملخصات السوسيولوجية العربية: من الثامن وحتى الحادى عشر، إشراف محمد الجوهرى فى عامى ١٩٩٩-٢٠٠٠.

٤- الإنتاج الفكرى العربى فى علم الفولكلور: قائمة ببليوجرافية، إعداد محمد الجوهرى وآخرون، ٢٠٠٠.

٥- الفولكلور العربى: بحوث ودراسات (المجلد الأول)، إشراف محمد الجوهرى، ٢٠٠٠.

٦- الفولكلور العربى: بحوث ودراسات (المجلد الثانى)، تحرير محمد الجوهرى، وإبراهيم عبدالحافظ، ومصطفى جاد، ٢٠٠١.

٧- استخدام الحاسب الآلى فى مجال العلوم الاجتماعية (استخدام برنامج SPSS من خلال Windows)، عبدالحميد عبداللطيف،٢٠٠٠.

٨- البناء السياسى فى إحدى قرى الصعيد، محمود جاد ، ٢٠٠٠.

٩- آثار القبلية على المزاج الغنائى والموسيقى لأهل الصعيد، تأليف محمود جاد، ٢٠٠١.

١٠- العنف فى الأسرة، تأديب مشروع أم انتهاك محظور، تأليف عدلى السمرى، ٢٠٠١.

١١- ملامح التغير فى القصص الشعبى الغنائى، تأليف إبراهيم عبدالحافظ، ٢٠٠١.

١٢- الصحة والبيئة: دراسات اجتماعية وأنثروبولوجية مهداة إلى روح الأستاذ الدكتور نبيل صبحى، تأليف مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بالجامعات المصرية، ٢٠٠١ (ضمن مشروع توثيق الإنتاج العربى فى علم الاجتماع).

١٣- الإنتاج الفكرى العربى فى علم الاجتماع: قائمة ببليوجرافية مشروحة (١٩٢٤-١٩٩٥)/ إشراف أحمد زايد ، ومحمد الجوهرى ،٢٠٠١، (وهى طبعة منقحة ومزيدة من المجلدات السبعة الأولى من الملخصات السوسيولوجية العربية التى سبق أن أصدرها المركز ونفذت) .

١٤- الشباب ومستقبل مصر : الندوة السنوية السابعة لقسم الاجتماع ، كلية الآداب، جامعة القاهرة ، ٢٩-٣٠ أبريل ٢٠٠٠/ تحرير محمود الكردى، ٢٠٠١.

١٥- المجتمع الاستهلاكى ومستقبل التنمية فى مصر: الندوة السنوية الثامنة لقسم الاجتماع، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ٢٢-٢٣ إبريل ٢٠٠١/ تحرير أحمد مجدى حجازى ، ٢٠٠١ .

١٦- الإدراك البيئى عند الطفل: دراسة مقارنة بين الريف والحضر، تأليف أحمد مصطفى العتيق، ٢٠٠١.

١٧- دراسات مصرية فى علم الاجتماع: مهداة إلى روح الأستاذ الدكتور حسن الساعاتى، ٢٠٠٢.

١٨- الجماعات الهامشية: دراسة أنثروبولوجية لجماعات المتسولين بمدينة القاهرة، تأليف ابتسام علام ، تقديم: فاروق العادلى ، ٢٠٠٢ .

١٩- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب الأول: الإطار النظرى وقراءات تأسيسية، تأليف مجموعة من أساتذة الجامعات، ٢٠٠٢.

٢٠- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب الثانى: التراث فى عالم متغير: قراءات تأسيسية، تأليف مجموعة من أساتذة الجامعات، ٢٠٠٢.

٢١- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب الثالث: مقترحات ومحاولات بحثية، تأليف مجموعة من أساتذة الجامعات، ٢٠٠٢.

٢٢- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب الرابع: عمال مصر بين ثقافة التصنيع والثقافة التقليدية: دراسة ميدانية بمجمع الألومنيوم، تأليف محمود عبدالرشيد بدران، أحمد محمد السيد عسكر، ٢٠٠٢.

٢٣- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب الخامس: التيار الإسلامى بين التأييد والمعارضة: قراءة فى الصحافة المصرية، تأليف على ليلة، ٢٠٠٢.

٢٤- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب السادس: تأثير أنماط العمران على تشكيل بعض عناصر الثقافة الشعبية: دراسة ميدانية لسياقات اجتماعية متباينة بمصر، إشراف وتحرير محمود الكردى، ٢٠٠٢.

٢٥- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب السابع: الاحتفالات الشعبية الدينية: دراسة لديناميات التغير وقوى المحافظة والتجديد. تأليف منى الفرنوانى، ٢٠٠٢.

٢٦- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب الثامن: الطب الشعبى: دراسة فى اتجاهات التغير الاجتماعى فى المجتمع المصرى، تأليف سعاد عثمان، ٢٠٠٢.

٢٧- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب التاسع: قوى المحافظة والتجديد في بعض عناصر التراث المادى: دراسة حالة للأزياء الشعبية المصرية. تأليف: فاتن الحناوى، ٢٠٠٢.

٢٨- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب العاشر: ديناميات تغير التراث الشعبى فى المجتمع المصرى: دراسة لعادات الطعام وآداب المائدة. إعداد نجوى عبدالمنعم قاسم، إشراف علياء شكرى. .

٢٩- علم الاجتماع ودراسات المرأة: تحليل استطلاعى، تأليف محمود عبدالرشيد بـدران، ٢٠٠٢.

٣٠- المرأة وقضايا المجتمع، تأليف مجموعة من أساتذة الجامعات، ٢٠٠٢.

٣١- بحوث فى الأنثروبولوجيا العربية، مهداة إلى الأستاذ الدكتور أحمد أبوزيد، تحرير/ ناهد صالح، ٢٠٠٢.

٣٢- دراسات فى علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، مهداة إلى روح الأستاذ الـدكتور أحمـد الخشاب، ٢٠٠٢.

٣٣- القيم كما تعكسها الصحافة المحلية: تحليل مضمون صـفحة (المحليـات) بجريـدة الأهرام، تأليف فاطمة القلينى، ٢٠٠٢.

٣٤- علم الاجتماع والرعاية الاجتماعية، دراسات مهـداة إلـى روح الأسـتاذ الـدكتور عبدالمنعم شوقى، تحرير/ عبدالهادى الجوهرى، ٢٠٠٢.

٣٥- العدالة بين الشريعة والواقع فى مصر فى العصر العثمانى، إشراف رؤوف عبـاس، تحرير/ ناصر إبراهيم، عماد هلال، ٢٠٠٢.

٣٦- علم السكان، تأليف محمد محى الدين، القاهرة، ٢٠٠٢.

٣٧- أنتونى جيدنز: مقدمة نقدية فى علم الاجتماع، ترجمة محمد الجـوهرى وآخـرون، القاهرة، ٢٠٠٢.

٣٨-دراسات فى علم الاجتماع، مهداة إلى روح الأستاذ الـدكتور مصـطفى الخشـاب، تحرير/ أحمد زايد، القاهرة، ٢٠٠٣.

٣٩- رشدى صالح والفولكلور المصرى. دراسة لأعماله وفصـول مـن تأليفـه، محمـد الجوهرى، القاهرة، ٢٠٠٣.

٤٠- الإنتاج العربى فى علم الاجتماع، قائمة ببليوجرافيـة مشـروحة (المجلـد الثـانى: ١٩٩٥-٢٠٠٠)، إشراف محمد الجوهرى وأحمد زايد، القاهرة، ٢٠٠٣.

٤١- الملخصات السوسيولوجية العربية، المجلد الثانى عشر، إشراف محمـد الجـوهرى وأحمد زايد، القاهرة، ٢٠٠٣.

٤٢- التقاء الحضارات فى عالم متغير، حوار أم صراع، تحرير: عبادة كُحيلة، القـاهرة، ٢٠٠٣.

٤٣- الثقافة الثأرية والثقافة المسالمة: تأصيل نظرى ودراسة ميدانية للثقافة الفرعية ومحـددات السلوك الإجرامى، تأليف محمود عبدالرشيد بدران، أحمد محمد السيد عسكر، ٢٠٠٣.

٤٤- قراءات معاصرة فى نظرية علم الاجتماع، ترجمة مصـطفى خلـف عبـدالجواد، مراجعة وتقديم محمد الجوهرى، القاهرة، ٢٠٠٢.

٤٥- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب الحادى عشر: التراث والحداثة فى منظومة القيم المرتبطة بالعمل الأهلى عند قادة المجتمع المدنى، تأليف خالد عبدالفتاح، ٢٠٠٣.

٤٦- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب الثانى عشر: التسامح الاجتماعى بين التراث والتغير، تأليف أشرف عبدالوهاب، ٢٠٠٣.

٤٧- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب الثالث عشر: قضايا المرأة المصرية بين التراث والواقع: دراسة للثبات والتغير الاجتماعى والثقافى، تأليف علياء شكرى، ٢٠٠٣.

٤٨- دراسات بيئية فى المجتمع المصرى، تأليف نجوى عبدالحميد سعدالله، ٢٠٠٢.

٤٩- كتابات اجتماعية معاصرة، مهداة إلى الأستاذ الدكتور السيد محمد بدوى، تحرير: محمد سعيد فرح، ٢٠٠٣.

٥٠- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب الرابع عشر: الثابت والمتغير فى آليات الضبط الاجتماعى، تأليف: عدلى السمرى، ٢٠٠٣.

٥١- الجماعات الهامشية المنحرفة فى تاريخ مصر الاجتماعى الحديث، تأليف: سيد عشماوى، ٢٠٠٣.

٥٢- سخرية الرفض وتهكم الاحتجاج. عوام أهل مصر وتعسف وعنطظة الأتراك. مصر العثمانية ١٥١٧-١٩١٤، تأليف: سيد عشماوى، ٢٠٠٣.

٥٣- الطوائف المهنية والاجتماعية فى مصر فى العصر العثمانى، تحرير: ناصر إبراهيم، إشراف رءوف عباس، ٢٠٠٣.

٥٤- الأسرة المصرية وتحديات العولمة: الندوة السنوية التاسعة لقسم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٧-٨ مايو ٢٠٠٢/ تحرير أحمد زايد وأحمد مجدى حجازى، ٢٠٠٣.

٥٥- الدين والدولة في العالم العربى، أعمال ندوة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، تحرير: عاصم الدسوقى، ٢٠٠٣.

٥٦- العولمة وقضايا المرأة والعمل، أعمال الندوة العلمية لمركز الدراسات والبحوث والخدمات المتكاملة بكلية البنات، جامعة عين شمس، تحرير: عبدالباسط عبدالمعطى واعتماد علام، ٢٠٠٣.

٥٧- اختراع التراث: دراسات عن التقاليد بين الأصالة والنقل والاختراع، تحرير/إيريك هوبسباوم، تيرنس رينجر، مراجعة وتقديم/ عاصم الدسوقى، ٢٠٠٣.

٥٨- إدوارد شيلز، التراث.. تأصيل وتحليل من منظور علم الاجتماع، مراجعة وتقديم/ محمد الجوهرى، ٢٠٠٤.

٥٩- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب الخامس عشر: الفنون الأدبية الشعبية.. دراسة فى ديناميات التغير، تأليف: إبراهيم عبدالحافظ، ٢٠٠٤.

٦٠- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب السادس عشر: صناعة الولى. دراسة أنثروبولوجية فى الصحراء الغربية، تأليف: فاروق أحمد مصطفى، محمد عباس إبراهيم، ٢٠٠٤.

٦١- الرفض والاحتجاج فى المجتمع المصرى فى العصر العثمانى، تحرير: ناصر إبراهيم، إشراف: رؤوف عباس، ٢٠٠٤.

٦٢- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب السابع عشر: الفكاهة وآليات النقد الاجتماعى، تأليف: شاكر عبدالحميد، معتز سيد عبدالله، سيد عشماوى، ٢٠٠٤.

٦٣- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب الثامن عشر: ثقافة التحايل.. دراسة ميدانية لنماذج من التجمعات العشوائية بالقاهرة الكبرى، تأليف:هناء الجوهرى، ٢٠٠٤.

٦٤- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب التاسع عشر: الزواج العرفى. واقعه وآثاره النفسية والاجتماعية، تأليف: معتز سيد عبدالله، جمعة سيد يوسف، ٢٠٠٤.

٦٥- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب العشرون: أطلس دراسات التراث الشعبى، تأليف: مصطفى جاد، ٢٠٠٤.

٦٦- جرائم العنف الأسرى بين الريف والحضر، تأليف: السيد عوض، ٢٠٠٤.

٦٧- المخدرات والأزمة الراهنة للشباب المصرى، تأليف: أحمد مجدى حجازى، ٢٠٠٤.

٦٨- الثورة والتغيير فى الوطن العربى عبر العصور، تحرير: عبادة كحيلة، القاهرة، ٢٠٠٥.

٦٩- النساء المعيلات فى محافظة الفيوم: دراسة اجتماعية ميدانية، تأليف أحمد مجدى حجازى، خليل عبدالمقصود، ٢٠٠٥.

٧٠- الفرد والمجتمع فى مصر فى العصر العثمانى، تحرير/ ناصر إبراهيم، إشراف/ رءوف عباس، ٢٠٠٥.

٧١- اتجاهات بعض فئات الشباب نحو ظاهرة الإرهاب فى المجتمع المصرى وكيفية مواجهتها، تأليف: أحمد فاروق الجهمى، ٢٠٠٥.

٧٢- الفولكلور العربى: بحوث ودراسات (المجلد الثالث)، تحرير محمد الجوهرى، وإبراهيم عبدالحافظ، ومصطفى جاد، ٢٠٠٦.

رقم الإيداع	٢٠٠٢/١٣٩٤٨
الترقيم الدولى	I.S.B.N. 977-223-638-9

مطبعة العمرانية للأوفست
الجيزة ـ المنيب : ٣٧٥٦٢٩٩



يقدم هذا الكتاب صور علمية متكاملة، بأسلوب قريب لكل قارئ، عن مشكلات المجتمع الصناعي المعاصر . وهي في جوهرها بعض الأسباب التي وجهت إلى تبني فلسفة الطريق الثالث، علاجاً لتلك المشكلات وسعياً نحو خلق مجتمع

والطريق الثالث محاولة للبحث عن طريق جديد .أفضل للتنمية الاجتماعية ذات آفاق عالمية ، تأخذ في اعتبارها-كما يقول المؤلف-موت الاشتراكية وانحدار النظام السوفيتي وهي تجربة لم تعرفها بريطانية ولم تعان منها بالمعنى المباشر كذلك ينطلق المؤلف من وإفلاس النزعة المحافظة الكلاسيكية والحديثة أيضاً ونهاية المرحلة التاتشرية والريجانية .